المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة



الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

تخصص / الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب / هاشم بن خاطر عبد الرحمن البركي

الرقم الجامعي (٤٢٨٨٠٢٥٢)

إشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الله بن حسن بركات

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

ملخص أطروحة الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية

للباحث : هاشم بن خاطر بن عبد الرحمن البركي الزهراني .

بدايةً مفهوم التغريب بشكله العام يعني التأثر بالغرب ومحاكاتهم وبمعنى أوضح هو صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الغربية في كل نواحي الحياة ، وهي دعوة لطمس الهوية الإسلامية وإبعاد المسلمين عن قيمهم وصهرهم في بوتقة القيم الغربية وإفساد التميز لهذه الأمة .

المعلم بطرس البستاني : متأثراً بالفكر والمنهج والفهم الغربي .

هو رجل شرقي لكنه متأثر بتصورات غربية عن الشرق ويحاول أن ينشرها بين المجتمعات الشرقية ، وتهدف هذه الرسالة إلى الكشف عن بعض بذور مخططات تغريب الأمة وذلك من خلال استقراء منهج هذا الرجل النصراني في موسوعته الموسومة بدائرة المعارف العربية حيث عمل بشكل دؤوب على محاربة الإسلام من خلال بث الشبهات حوله وغرس الدسائس في تاريخه والدعوة إلى المذاهب الفكرية الغربية المضادة له وإيمان بضرورة التصدي لمثل هذه المخططات رأيت أن أسهم في كشفها وتحذير الأمة من الأخطار المحدقة بها . هذا وقد اشتملت الرسالة على : مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه. ثم التمهيد وفيه تعريف بشخصية البستاني وبيئتها وعلاقته بالإرساليات التبشيرية الأمريكية وموقفه من الغرب والحضارة الغربية .

ثم الفصل الأول : وفيه شبهاته حول الفتح الإسلامي والتشريع والأخلاق في الإسلام وكذلك حول أعلام الإسلام . يليه الفصل الثاني : وفيه جهود البستاني في الترويج للمذاهب الهدامة في الميادين الأخلاقية والفكرية والسياسية . والفصل الثالث : وفيه ذكرت جهود العلماء والدعاة من معاصريه وبعد وفاته في التصدي للدور التغريبي الذي مارسه .

ثم الخاتمة وفيها : خلاصة البحث، وأهم النتائج ، ومنها أن ما خلفه البستاني في دائرته ما هو إلا بمثابة البذور وما آلت إليه الأمور اليوم على أيدي أتباعه تجسدت ثمرته وأصبحت الحرب على الإسلام سافرة مستعرة تستدعي مضاعفة المسؤولية على العلماء والأمراء. ثم اشتملت الخاتمة على أهم التوصيات ومنها : العمل على إبراز الوجه المشرق للفتوحات الإسلامية والتاريخ الإسلامي برمته في شفافية ووضوح وبدون قيود .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكفى بربك هادياً ونصيرا .

الباحث	المشرف	عميد الكلية :
هاشم خاطر البركي	أ.د. عبد الله بن حسن بركات	د. عبد الله الرميان

Abstract

Title: The Westernization role of Boutros Al-Bostani in Arab Encyclopedia.

Researcher Name : Hashim Bin Khatir Bin Abdurrahman Al-BaraKy Az-Zahrany

Initially, the general concept of Westernization; the westernization means influenced by the West and simulate them. In the sense explained, it is dying the Islamic societies by the western dye in the all aspects of life. Westernization is call for obliterate the Islamic identity, exclusion Muslims of their values, smelting Muslims at crucible of West values and corruption the excellence of this nation.

Teacher Boutros Al-Bostani influenced by the thought, approach and understanding western.

Boutros is a man of Middle Eastern but he is influenced by the western perceptions abut the east. He tried to publish them in the eastern communities.

The objective of this research is to show some seeds of nation westernization schemes through extrapolation of this approach Christian man in his encyclopedia which named "Arab Encyclopedia", Where he works hard to fight Islam through the suspicions dissemination about Islam, and implantation of intrigues in Islam history, and call for western ideology which fight The Islam. And belief in the need to confront that plans, I saw that I must contributed in detection of these plans, and warning the nation about dangers surrounding.

This study contains : an introduction, preface, Three chapters and a conclusion.

Introduction containing the important of the subject and the reasons for his choice, and objective, and previous studies, the research plan, and the research methodology. Then the preface and it containing the definition of Bosstani, and his environment, his relation to American missionary consignments. and his position form the West and Western civilization.

Then, the Chapter one : containing the suspicions about The Islamic conquest, legislation, ethics in Islam, as about the greats of Islam.

Followed, Chapter Tow : Al-Bostani's efforts in The promotion of subversive doctrines in the fields of moral, intellectual, and political.

Followed, Chapter Three :

Efforts of scholars and preachers of his contemporaries, and after his death, in addressing of Westernization role done.

Finally, the conclusion, which included: the research summary, the most important results, including those left Al-Bostani on this subject is only the seeds, emerged today at the hands of his followers, in the form of a war on Islam, making greater responsibility on the scientists and the princes.

Then included the conclusion of the most important recommendation : such as highlight the bright face of the Islamic conquests Islamic history clearly and transparently, and without restrictions.

Researcher	Supervisor	Dean
Hashim Bin Khatir Al-BaraKy	PD. Abdullah Bin Hasn Brakat	D. Abdullah Ar-Rmian


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة نبينا محمد وعلى آله والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان أما بعد :

فيعد المعلم بطرس بولس البستاني ١٨١٩م أحد رواد الفكر العربي المعاصر بل اعتبره المعجبون به ((أبا التنوير العربي))[١] ، ولقد أفنى حياته في البحث والتأليف وتنوعت نشاطاته في الميدان في مساع لتغيير نمط المجتمع الذي كانت تسوده الصبغة الإسلامية والعوائد العربية المتوارثة فكان هاجسه الأكبر أن يلفت نظر الأمة إلى المد الحضاري الغربي لكي تتشرب كل ما جاء به بخيره وشره، وكان عليه أولاً أن ينجح في طمس الهوية الإسلامية وزعزة الانتماء للدولة الواحدة المتمثلة في الخلافة الإسلامية العثمانية في ذلك الوقت، ولأجل هذا كانت أطر تجديد الفكر العربي لديه متمثلة في :

أولاً/ إحياء ما اندثر من دعوى الجاهلية وذلك بإثارة النزعات العرقية والدعوات القومية؛ كالفرعونية والبابلية والفينيقة وغيرها ... لكون ذلك أحد السبل التي بها يمكن خلق الفجوة بين المسلمين عربهم وعجمهم ، وتجاوز أثر الإسلام .

ثانياً/ الدعوة إلى الفكرة العلمانية القائمة على فصل الدين عن مجريات الحياة سياسية كانت أو اجتماعية أو حتى اقتصادية حيث يرى هو وغيره كما سيأتي في فصول هذا البحث أن عقدة الدين من أكبر العوائق التي تواجهه الأقليات الدينية في بلاد المسلمين والعرب خاصة كالنصارى واليهود وغيرهم .. ولو دققنا النظر في الفترة الزمنية التي عاشها البستاني لوجدناها متزامنة مع حالة ضعف اعترت الحكم العثماني وبداية للتبشير الأمريكي والغربي في بلاد المسلمين، ولقد كان لهؤلاء المبشرين منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي صولات وجولات في بلاد الشام تحديداً وفي غيرها من بلاد المسلمين فجاؤا بعدتهم وعتادهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم الفكرية يتربصون بأبناء الأمة وينظرون أيهم أقرب مودة وأحسن ملاذاً

---

[١] - كان مما قاله عنه الكاتب يولا فرحات : دعي البستاني (أبو التنوير العربي) وكان أول من أنشأ دائرة معارف وأول من وضع معجماً عربياً بالتسلسل الأبجدي وأول من نادى بتحرير المرأة . أنظر : مجلة رسالة الكلمة : مجلة نصرانية فصلية – دينية – العدد ٣ – تشرين الثاني ٢٠٠٥م - مقال بعنوان (تاريخ وشخصيات المعلم بطرس البستاني) ص ١٥ .

لمد يد العون والمؤازرة، فكان البستاني ممن تعاضد مع أولئك المبشرين وسعى في خـــدمتهم وتحقيق أهدافهم .

لقد حظيت شخصيته باهتمام الباحثين في العالم العربي حيث مـــال كثيـــر مـــنهم إلـــى امتداحه وتمجيده لكونه رمزا وطنيا ينادي كغيره في ذلك الوقت بفصل الدين عـــن الدولـــة . والعمل على وحدة وطنية عربية شعاره في ذلك (حب الوطن من الإيمان) .

إن تعصب المعلم بطرس لعقيدته النصرانية جعلته واضحا في عداوته للإسلام وأهلـــه رغم شعاراته البراقة التي تنادي بتمجيد الأوطان والرفع من شأن اللغـــة والعـــرق العـــربيين، ويستطيع القارئ الكريم أن يستنبط هذا في المنشور من مؤلفاته وبالذات موسوعته الـــشهيرة دائرة المعارف العربية وهي موسوعة ثقافية كتب فيها عن كل فن ورتب موادها على حـــروف المعجم.

وقد لقيت هذه الموسوعة رواجاً واسعاً في الأقطار العربية منذ ذلـــك العـــصر وحتـــى يومنا هذا ومازالت مرجعية ثقافية لا يستهان بها . رغم ما يعتريها من الكثير مـــن النقـــائص والتناقضات والانتقادات التي سيأتي بيانها في البحث بعون الله.

وفي إشارة سريعة إلى ما تحتويه موسوعة البستاني التي هي مدار بحثي هذا فقد تضمنت مـــا يلي :

١ - لقد عني بطرس البستاني بهذه الموسوعة أيما عناية حيث كان الهدف مـــن تأليفهـــا وجمع موادها كما هو مدون في مقدمتها الرقي بمستوى الأمة العربية والمساهمة في تمـــدنها على غرار ما عليه الغرب من حضارة ورقي .

٢ - ساهم في دعم هذه الموسوعة عددٌ من وجهاء الدولة العثمانية وأعيانها في ذلك الوقـــت لكون التكلفة المادية لمثل هذا المشروع باهظة الثمن وقد صـــدر أول مجلـــد منهـــا عـــام ١٨٧٥م.

٣ - دون البستاني في دائرته الكثير والكثير عن حضارة الغرب ومدنـــه وصـــناعاته لتكـــون الأنموذج الذي ينبغي أن يحتذي حذوه أهل الشرق .

٤ - استعان في تدوين معلومات موسوعته بعدد من مؤلفات الأعلام العرب كياقوت الحموي وابن خلكان وابن البيطار وغيرهم .

٥ - تحدث عن علوم وفنون متعددة في مواد موسوعته منها ما يتعلق بالنبات والحيوان ومنها ما يتعلق بالطب والهندسة والفلك والتنجيم وشتى علوم الدنيا ....

٦ - في حديثه عن فتوحات المسلمين ركز على قضايا عدة تدور في الغالب حول وصف الفاتحين بالتعطش لسفك الدماء والبحث عن مطامع دنيوية كالصراع من أجل السلطة....

٧ - دون الكثير من الأفكار الفلسفية الهدامة في موسوعته وأشاد بالعديد من الفلاسفة والشخصيات السياسية الغربية.

٨ - تحدث كثيراً عن الديانة النصرانية وأبرز معالمها كأسماء الكنائس ورجال الدين وأنواع الأناجيل ....

٩ - تطرق في موسوعته إلى العديد من القضايا الشرعية ناقداً لبعضها ومتحدثا عن البعض بما لا دليل عليه وبما يخالف واقع الحال في كثير من المسائل.

١٠ - يلاحظ إنصافه عند إيراد بعض سير أعلام المسلمين بينما يغلب على كتاباته طابع التشويه واختلاق الأكاذيب عند حديثه عن العديد من الشخصيات الإسلامية.

- **هذه بإيجاز أبرز النقاط التي حوتها موسوعة البستاني دائرة المعارف العربية.**

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

إن مما يتوجب على كل مسلم أن يكون على بصيرة فيما يحاك ضد دينه وقيمه ومبادئه من قبل أعدائه وما وسائل الإعلام المقروءة من كتب وموسوعات ومنشورات إلا جزء من النسيج الثقافي الذي يعول عليه ساسة التنصير والتغريب قديما وحديثا تثقيف العقول جاعلين ذلك في قوالب وشعارات تستجيب لها عواطف الشارع العربي دون تمييز بين الحق والباطل وتفريق بين الإصلاح والإفساد.

من هذا المنطلق اعتمد المعلم بطرس البستاني في موسوعته دائرة المعارف العربية على فكرة إذابة القضايا الكلية الإسلامية وخلق فجوة بين المسلم وعقيدته ومبادئه من خلال التشكيك فيها والاستهانة بمضامينها وقد حذا حذوه غيره من نصارى العرب الذين عاصروه ، لذا رأيت من الواجب تتبع تلك الشبهات وسبرها والرد عليها وبيان دوره التغريبي الذي مارسه من خلالها .

سبب اختياري لهذا الموضوع :

كان اختياري لهذا الموضوع راجع للأسباب التالية:

١. ملاحظة مدى انتشار هذه الموسوعة في بلاد المسلمين حيث يثق المثقف العربي بكل ما ينقله منها .
٢. ضرورة التصدي لأطماع المبشرين والمستشرقين في هدم الإسلام والقضاء عليه في نفوس أبناء الأمة.
٣. ضرورة القيام بواجب الدعوة إلى الله وبيان العقيدة الإسلامية الصافية والشريعة المحمدية الخالدة في ظل توالي التطاولات على رموز الإسلام وقيمه .
٤. تبصير المسلمين بما يحاك ضد عقيدتهم وتعاليم دينهم واجب ديني وفرض محتم على كل من يقدر على ذلك.

* الدراسات السابقة :

هناك العديد من الدراسات التي ألف فيها عن شخصية المعلم بطرس غير أن الكثير منها تناولها لكونها شخصية أسهمت إسهاماً كبيرا في العمل النهضوي للأمة العربية كما يزعمون .

ولعل من أهم تلك الدراسات ما يلي :

ـ أثر المعلم بطرس البستاني في النهضة العربية في لبنان رسالة دكتوراه / فايز علم الدين القيس.

ـ رجل سابق لعصره المعلم بطرس البستاني ١٨١٩م –١٨٨٣ م .

المؤلف / يوسف قزماخوري .

ـ المعلم بطرس البستاني: دراسة ووثائق/ جان داية .

ـ المعلم بطرس البستاني: تعليم النساء، آداب العرب المؤلف /فؤاد أفرام البستاني .

بالنظر إلى ما سبق فقد اخترت أن يوجه هذه البحث للتركيز حول مسألة التغريب من خلال تلك الموسوعة لكونها القضية الأهم التي أن ينبغي أن نعي مدى خطورتها، فحملات التغريب ومخططات أعداء الإسلام للقضاء على هوية الأمة ما زالت متوالية ومع تقادم الزمان أصبحت أكثر تقنيناً وتنظيماً حتى أصبحنا نرى اليوم من أبناء المسلمين من يتبنى أفكارهم ويعمل وفق مبتغياتهم، مما يحدوا بكل مسلم غيور أن يعمل على قطع الطريق على أولئك المغرضين فهي حرب فكرية في غير هوادة تأكل الأخضر واليابس وحيث لم ينبوا لها أحد من أبناء الأمة علماؤها ومصلحوها وساستها فالفتنة ماضية والمعصوم من عصمه الله تعالى.

وكخطوة للتصدي لتلك المخططات قام هذا البحث بعد عون الله تعالى ثم بمساندة من شيخي الفاضل الدكتور/عبد الله بركات، الذي تشرفت بأن يقوم على ملاحظة بحثي خطوة بخطوة، حيث كان مدرار الفكرة جواداً في النصيحة، لمست منه حبه لخدمة العلم وتفانيه في الذب عن قضايا الأمة ومهما قلت فلن أوفيه حقه إلا بدوام الدعاء له فبارك الله له في عمره وعمله وجزاه الله عني خيراً .

وعليه فقد جعلت موضوع بحثي عن ((الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية)).

أما منهجي في البحث فهو منهج استقرائي تاريخي تحليلي مراعياً فيه الآتي :

أولاً / أسرد المواد التي هي مدار بحثي من موسوعة البستاني بحيث أذكر موضع الشبهة أو الحدث الذي أريد أن أرد عليه من خلاله فإذا وجدت نقولاته محرفة أو ناقصة أو مبالغ في إيرادها أو مكذوبة أصلاً جئت بنصوص شرعية أو تأرخية للرد على ما نقله، وإذا وجدت نقله نقلاً صحيحاً بينت أنه كذلك وأوردت نصاً شرعياً أو تأريخياً يوضح صحة ما نقله مع بيان الشبهة التي يود إيرادها من خلال ذلك النص المنقول في دائرته والرد عليها وإيضاح ما يستوجب إيضاحه فيها بالاستناد إلى نصوص الوحيين وأقوال العلماء المعتبرين قديماً وحديثاً .

ثانياً/ قمت بتخريج الآيات والأحاديث و ترجمت لكل علم يحتاج إلى ترجمته باختصار مع بيان غريب الألفاظ .

ثالثاً/ اعتمدت في ردي على مجمل ما ورد في هذه الموسوعة على أحاديث الـصحيحين ومـا حكم عليه العلماء المعتبرون بصحته من كتب السنن .

رابعاً/ استشهدت في مواضع من بحثي بنصوص من مؤلفات البستاني الأخرى لتأييد ما ذكرته عنه، ككتابه قطر المحيط وغيره .

خامساً/ بعد الانتهاء من كل مبحث أذكر النتائج المستخلصة مما جمعته من مـواد فـي ذلـك المبحث .

سادساً/ في حديثي عن المذاهب الفكرية التي روج لها في موسوعته أذكر المواد التي دعا من خلالها إلى كل مذهب وأبين أصوله الغربية فكرة ومنهجاً مع بيان مكمن الخطورة فيـه علـى الإسلام وأهله ، ثم الرد عليه وإبطاله بالنصوص الشرعية وأقوال العلماء .ثم أذكـر النتـائج المستخلصة بعد الانتهاء من كل مبحث .

سابعاً/ في الفصل الثالث أقوم بذكر سير العلماء والدعاة الذين تصدوا لأدوار التغريـب التـي مارسها البستاني سواء معاصريه منهم أو من كان من العلماء والمفكرين المعاصرين بحيـث أذكر أولاً اسمه بكامله ثم مولده ونشأته ثم آثاره العلمية والدعوية مع ذكر أشهر مؤلفاته ثـم جهوده في التصدي للتغريب .

*** خطة البحث :**

جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول بمباحثها وخاتمة

*** المقدمة .**

وتشتمل على :

ــ أهمية الموضوع .

ــ سبب اختياره .

ــ الدراسات السابقة .

ــ خطة البحث .

ــ منهج البحث .

*** التمهيد .**

ويتناول :

ــ التعريف بالشخصية وبيئتها .

ــ علاقة المعلم بطرس بالإرساليات التبشيرية الأمريكية في الشام .

ــ موقفه من الغرب والحضارة الغربية .

الفصل الأول :

شبهات دائرة المعارف العربية حول الإسلام وردها.

ويشتمل على :

*** المبحث الأول : شبهات البستاني حول الفتح الإسلامي .**

١ - معنى الجهاد .

٢ - شبهة انتشار الإسلام بحد السيف .

٣ - شبهة فتوحات الإسلام من أجل الحصول على المغانم والمطامع المادية .

٤ - شبهات حول أخلاق الفاتحين .

٥ - شبهة القتال في الأشهر الحرم .

*** المبحث الثاني : شبهات البستاني حول التشريع والأخلاق في الإسلام .**

١ - شبهات حول مصادر التشريع .

٢ - شبهات حول العقيدة الإسلامية .

٤ - شبهات حول تشريعات وأخلاق الإسلام .

* المبحث الثالث : شبهات البستاني حول الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم .

* المبحث الرابع : شبهات البستاني حول أعلام الإسلام .

الفصل الثاني

دور البستاني في الترويج للمذاهب الهدامة

ويشتمل على :

* المبحث الأول : جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان الأخلاقي :

١ - استغلاله لدعوة فلسفة الجمال .

٢ - دعوته للإباحية والتحلل .

* المبحث الثاني : جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان الفكري :

١ - دعوته للعقلانية .

٢ - استغلاله لحق الحريات الدينية .

٣ - دعوته لنظريتي التطور العضوي والعقدي .

* المبحث الثالث : جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان السياسي :

١ - دعوته للقومية .

٢ - دعوته للعلمانية .

الفصل الثالث

جهود العلماء والدعاة في التصدي للدور التغريبي لبطرس البستاني

ويشتمل على :

المبحث الأول : جهود العلماء والدعاة المعاصرين له .

المبحث الثاني : جهود العلماء والدعاة في الوقت الحاضر.

والله تعالى ولي التوفيق

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى إلى جامعة أم القرى الموقرة حاضنة العلم والعلماء وبخاصة كلية الدعوة وأصول الدين عميداً وأعضاء تدريس، حيث كانت عند حسن الظن فذللت الصعوبات وعملت على كل ما من شأنه رفع مستوى البحث العلمي لطلابها، كما لمشايخي بقسم الدعوة أبلغ الامتنان وأجزل الثناء فمن معين علمهم ارتويت ومن حميد خصالهم رأيت فبارك الله في علمهم وأعمارهم. ولشيخنا الجليل الدكتور عبد الله بن حسن بركات الشكر أوفره وأعطره حيث كان لي كالأب الحاني قبل أن يكون مشرفاً، فقد غمرني بحسن أخلاقة و جميل مقاله وجليل فوائده منذ شروعي في هذا البحث وحتى الانتهاء منه فجزاه الله عني خير الجزاء . وأستميحه عذرا إن بدر مني تراخ أو قصور أثناء إشرافه على رسالتي. كما أوجه شكري وتقديري الحارين إلى والديَّ الكريمين إذ كانا أكبر داعم لي باهتمامهما ودعائهما فلهما من الله حسن الجزاء وكريم المثوى. كما لزوجي المعطاء عظيم الفضل بعد فضل الله تعالى علي وإني أقابل صبرها لتشاغلي وتعاونها في إنجاز بحثي بأجزل الشكر وأرجو من الله لها عظيم المثوبة .

ولا أنسى توجيه شكري لكل من تابع مشروعي وشحذ همتي بالسؤال والنصح والدعاء من خاصة الأقارب والأصحاب. وإن كان المقام لا يتسع لذكرهم إلا أني أكن لهم الحب الخالص وحسبي أن أدعو لهم بظهر الغيب. فجزا الله الجميع عن أخيهم خير الجزاء.

والحمد لله أولاً وآخراً .

التمهيد

ويتناول :

أولاً / التعريف بالشخصية وبيئتها .

ثانياً / علاقة المعلم بطرس بالإرساليات التبشيرية الأمريكية في الشام

ثالثا/ موقفه من الغرب والحضارة الغربية .

أولاً- التعريف بالشخصية وبيئتها :

إن دراسة الدور التغريبي للمعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف تستوجب منا التعرض لسيرته والحديث عن مولده ونشأته وبيان أبرز أعماله التي قام بها، قبل الشروع في فصول هذا البحث فنقول :

مولد البستاني ونشأته:

أورد جرجي زيدان[1] في تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر عن حياة البستاني قوله :" ولد المعلم بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ بن أبي محفوظ البستاني في (الدبيَّة)[2] عام ١٨١٩م، وقد ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء منذ نعومة أظفاره فأخذ في تلقي مبادئ العربية والسريانية ثم التحق بمدرسة (عين ورقة)[3] بلبنان لإكمال الدراسة فيها، فقضى فيها عشر سنوات حتى أتقن آداب اللغة العربية مما تيسر الحصول عليه إذ ذاك كقواعد اللغة والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا وتناول اللغة السريانية واللاتينية والإيطالية، وتلقى الفلسفة وغيرها من العلوم ، وحين بلوغه العشرين أراد ذووه إرساله إلى رومية للتبحر في العلوم الدينية غير أن والدته مانعت من ذهابه ليبقى معها بعد وفاة والده فتعين مدرسا في مدرسة عين ورقة عام ١٨٤٠م" [4]

[1] - هو جورجي بن حبيب زيدان البيروتي مؤرخ نصراني وصحفي وقصصي مشارك في بعض العلوم وله العديد من المؤلفات رافق الحملات الاستعمارية إلى السودان وعمل مترجما ثم عاد إلى بيروت لدراسة اللغتين العبرانية والسريانية ١٢٧٨هـ/١٨٦١م . وقد كان لهذا الرجل منهجه في تشويه التاريخ الإسلامي يتضح هذا في افترآته عليه من خلال كتابه تاريخ التمدن الإسلامي . أنظر : معجم المؤلفين (١/٤٨١) .

[2] - قرية في إقليم الخروب بجبل لبنان سكانها من طائفة الموارنة، نشأ فيها غير واحد من مشاهير لبنان من آل البستاني – أنظر : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر. ص٢٣ جرجي زيدان مطبعة الهلال ، مصر، ط٣ ، ١٩٢٢م.

[3] - وهي مدرسة أنشئت عام ١٧٨٩م لتربية الأولاد وحفظ الطقوس الدينية النصرانية، استفاد منها أبناء الموارنة حيث تخرج فيها العديد من البطارقة والأساقفة والأدباء في القرن التاسع عشر. أنظر : تاريخ الآداب العربية (٤/١) .

[4] - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر(٢/ ٢٧) .

- بيئة البستاني الاجتماعية:

عاش المعلم بطرس سنيه الأولى بين عائلة ظلت تتنقل في قرى لبنان إلى أن استقر جزء منها في قرية (الدبيَّة) في أوائل القرن الثامن عشر، هناك تكاثر نسل هذه العائلة حتى أصبحوا أكثر سكانها، لذا بدأت حياة البستاني بسيطة نظراً لبساطة المجتمع القروي الذي عاش فيه.[١]

أما بالنسبة للأوضاع الاجتماعية في بيروت عموماً فمنذ العام ١٨٣٣م لوحظ الميل إلى العيش على النمط الغربي هناك وذلك نتيجة لعدة أمور :

أولاً / توافد الكثير من أبناء الجاليات العربية والتركية والأوروبية إلى بلاد الشام في فترة الحكم العثماني، وكان لتنوع الجنسيات أثره في المنطقة من حيث تناقل العادات والطباع بشكل غير مباشر[٢].

ثانياً / زاد التنوع العقائدي لأهالي المنطقة من سهولة التحول في نمط المعيشة، حيث يسكنها من غير المسلمين طوائف عدة كالنصارى والدروز[٣] وغيرهم .

ثالثاً / تميز المجتمع في بيروت بتنوع لغاته لتعدد فئات السكان وإن كانت اللغة السائدة هناك هي اللغة العربية، إلا أن لغات أخرى استخدمت كاللغات التركية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية مما ساعد على بروز ملامح (التفرنج)[٤] في فئات من المجتمع الشامي[٥] .

- البيئة الاقتصادية:

" تربى المعلم بطرس البستاني في بيت متواضع المعيشة إذ كان أبوه يعمل في الفلاحة إلى أن توفي لذا اشتهرت عائلته بهذه التسمية نسبة إلى مهنتهم التي يقتاتون منها" [٦]، غير أن الوضع الاقتصادي السائد في الشام يتمثل في :

---

[١] - انظر : الروائع : فؤاد أفرام البستاني ص ٦٨ المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ، ط٣- ١٩٦٦م .

[٢]- انظر : التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر د. حسن حلاق (١٧/١) .

[٣] - الدروز : طائفة من الباطنية الإسماعيلية الغلاة ظهروا في بداية القرن الخامس عشر الهجري في مصر ومن عقائدهم جحد يوم القيامة والثواب والعقاب ويقولون بالتناسخ - أنظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام : غالب عواجي (١/ ٣٦٥)

[٤] - التفرنج نعني به الافتتان بتقليد الإفرنج في مظاهر حياتهم وعاداتهم وشكل حكوماتهم . أنظر : الخلافة (١ /٨٩).

[٥] - انظر : التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر (٢٣/١)

[٦] - أنظر : الروائع : فؤاد أفرام البستاني ، ص٦٨.

أولاً / تحسن أوضاع المعيشة في المنطقة على وجه الخصوص نتيجة الوجود الأجنبي الذي كان مرتبطا بالامتيازات[1] التي منحتها الدولة العثمانية للدول الغربية[2] منذ ولاية السلطان سليمان الأول[3] عام ١٥٣٦م حيث مارس الأوربيون كامل حرياتهم التجارية في المنطقة نظراً لتلك الامتيازات المفروضة على الدولة .

ثانياً/ كان لنصارى المنطقة النصيب الأوفر من ذلك الانتعاش الاقتصادي حيث مارسوا دور الوسطاء بين الفرنجة وبين التجار المحليين، مما أدى إلى تحسن أوضاعهم التعليمية والثقافية نتيجة ارتباطهم بالإرساليات الدينية القائمة في المدن الهامة. لذا حضوا بنهضة ثقافية لم تكن لغيرهم من سكان المنطقة كامتلاك المطابع وإنشاء المدارس[4] ....

- البيئة السياسية /

شهدت الدولة العثمانية في الفترة التي شب فيها البستاني اضطرابات ونزاعات داخلية وخارجية أقلقت السلطان محمود الثاني[5] (١٨٠٨م - ١٨٣٩م) وكان منشؤها الأطماع الأوروبية في تمزيق الدولة والقضاء على كيانها ويتضح هذا في عدة أمور :

أولها / الحروب المباشرة مع الدولة :

---

[1] - الامتيازات الأجنبية هي تسهيلات تقدمها الدول للدول الأجنبية بهدف تشجيعهم على الإقامة فيها واستثمار أموالهم وخبراتهم، كالامتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية التي كان أولها في عهد السلطان سليمان الأول عام ١٥٣٦م. أنظر : تاريخ الدولة العلية العثمانية (٢٢٣/١) .

[2] - انظر: العرب النصارى : حسين العودات ص (١٦٠و١٦١) ، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق .

[3] - سلطان الدولة العثمانية سليمان الأول القانوني ولد هذا الملك الذي بلغت الدولة العلية في مدته أعلى درجات الكمال في غرة شعبان سنة ٩٠٠ هجرية سنة ١٤٩٥م وهو عاشر ملوك آل عثمان (١٥٢٠م – ١٥٦٦م) . انظر : تاريخ الدولة العلية العثمانية (١٩٨/١).

[4] - أنظر : المدن الكبرى في العصر العثماني : اندريه ريمون ترجمة لطيفة فرج ، ص(٨١ و٨٢) ط ١ ، ١٩٩١م .

[5] - ابن السلطان عبد الحميد الأول ولد سنة ١٧٨٥م تولى السلطة العثمانية في الفترة من (١٨٠٨م- ١٨٣٩م). انظر : تاريخ الدولة العلية العثمانية (٣٩٨/١) .

فقد جوبهت الدولة العثمانية بحروب نشبت بينها وبين الروس[1]ودول أوروبا(فرنسا والإنجليز)[2] مما أضعف الدولة وساعد على الانشقاقات الداخلية كما حدث في الأناضول والعراق وليبيا [3] .

ثانياً / أطماع محمد علي باشا[4] في إنشاء دولة قومية تشمل الحجاز والشام ومصر حيث قامت الدول الغربية بدور الوسيط في حل النزاع من جهة ومن جهة أخرى تحريض محمد علي على مناهضة الإمبراطورية،[5]الأمر الذي أثار عزيمة المثقفين العرب في الترويج لفكرة وحدة اللغة والعرق العربي .

ثالثها / الفتنة الطائفية في الشام:

حيث تأجج الصراع بين الأقليات القاطنة في الشام كالدروز والموارنة[6] عام ١٨٥٩م وكان هذا الأمر ذريعة لإلحاح الأوربيين على السلطة العثمانية بوجوب تواجدهم في المنطقة لحماية مصالحهم هناك حيث تعهد الفرنسيون بحماية الموارنة بينما كان الدروز في حماية الإنكليز، ثم قامت بينهم أسباب الشقاق ودواعي الخلاف ونتيجة لذلك امتدت الفتنة إلى جميع أنحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية ودير القمر ومنها إلى مدينة دمشق الشام[7].

وسوف نوضح لاحقاً كيف استغل البستاني هذه الظروف لصالحه حيث دعا إلى وحدة الصف ونبذ الخلاف والتجمع باسم القومية والوطنية من خلال خطاباته ونشاطاته .

---

[1]- انظر : تاريخ الدولة العثمانية : إبراهيم بك ص (٢٠٧ و ٢٠٨) بتصرف، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨.

[2]- انظر : تاريخ الدولة العثمانية العلية محمد فريد بك ص٢٦٢، ط١، مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش قدم بمصر المحمية عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م .

[3]- أنظر : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث د/ إسماعيل ياغي، ص ١٣١، مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

[4] - ولد محمد علي سنة ١٧٦٩م ولما بلغ أشده التحق بالجهادية ثم اشتغل بالتجارة وبعدها شارك في الحملة التركية لطرد الفرنسيين من مصر بمساعدة انجلترا، ثم نصب بعدها والياً على جدة ثم بإلحاح من علماء وكبراء مصر صدر قرار الباب العالي بتولية حمد على والياً على مصر سنة ١٨٠٥م . انظر : تاريخ العصر الحديث:مصر من محمد علي إلي اليوم ص ٣١ .

[5] - انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث د/ إسماعيل ياغي ص (١٣١ و ١٣٣)، مكتبة العبيكان ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

[6] - هم جماعة من السريان السوريين يدينون بالمسيحية وتنتسب هذه الطائفة إلى القديس مارون الذي عاش في القرن الرابع الميلادي . انظر : الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المؤصل : يوسف الدبس ص ٣ .

[7]- انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية محمد فريد بك ص٣٣٣ ، ط١ ، مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش قدم بمصر المحمية، عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣ .

- جهود البستاني وآثاره :

لم يعش بطرس البستاني حياة تقليدية كبقية أقرانه بل امتاز عنهم بحماسه المتقد الذي كان يدفعه للإسهام في تغيير واقع المجتمع، ربما لكونه اتسم بالنبوغ في دراسته مع ما كـــان يحيطه به أقاربه من حوله من الرعاية والتحفيز، وقد لقب بـــ(أبي التنوير[1] العربي) لكون كثير من المؤرخين قرروا أنه "من رواد الحركة الأدبية في لبنان وبلاد العرب، وأنه على سعة فـــي الثقافة جامعاً من كل علم بطرف، وأنه كان عالماً ببواعث النهوض الاجتمـــاعي لبنـــاء وطـــن يكون قبلة المتمدنين[2]" [3]، أما أهم أعماله التي قام بها فهي :

١ - إنشاء المدرسة الوطنية :

أسس البستاني في بيروت " سنة ١٨٦٣م مدرسة عالية أطلق عليها اسم (المدرســـة الوطنية) قاصداً من إنشاء هذه المدرسة أن تكون مكاناً للحرية الدينيـــة، ويـــدعو فيهـــا إلـــى الجامعة الوطنية العثمانية، وكانت المدرسة في ذلك الوقت تحيا حيـــاة الجامعـــات الأوروبيـــة فعرف فضلها الكثيرون، وأقبل عليه الطلبة من كل صقع وبلد فكانت تستقبل الشاميين ســـواء كالمصريين والأتراك واليونانيين والعراقيين، وكانـــت حريـــة العلـــم والفكـــر تـــسيطر علـــى اتجاهها..... كما ساهم سليم البستاني[4] في إدارة المدرسة وتولى تدريس التـــاريخ والطبيعـــة واللغة الإنجليزية التي كان يجيد آدابها كواحد من أبنائها ، وقام والده فيها بتدريس اللاهـــوت والدين بالخطب والمواعظ مرتين في الأسبوع " [5].

وفي تناقض غريب عد المنتمون لهذه المدرسة أنها من أوائـــل المـــدارس اللادينيـــة المقامة في الشام ، في الوقت الذي تولى فيه والده مهمة تدريس اللاهوت فيها فـــأين موقـــع الحريات الدينية التي زعموا أنها إحدى دواعي تأسيسها ؟

---

[1] - كان هناك حركتان نشأتا في العالم الإسلامي خلال القرنين الماضيين في مساع لتصحيح مسار الأمة ، الحركة الأولى هي حركة التنوير أي حركة الإصلاح على النسق الغربي المستفاد من أوربا وهي المعنية هنا . والحركة الثانية هي الحركة الإسلامية أي حركة العودة إلى الإسلام . انظر : قضية التنوير في العالم الإسلامي ص ٦ .

[2] - أصل الكلمة (تمدن) عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة (تمدين) عاش عيشة أهل المدن وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة (المدنية) الحضارة واتساع العمران . أنظر : المعجم الوسيط (٢ / ٨٥٩)

[3] - أثر المعلم بطرس البستاني في النهضة في لبنان ١٨١٩م-١٨٨٣م : فائز علم الدين القيس ص ١٤، دار النشر الفارابي .

[4] -هو نجل المعلم بطرس البستاني المولود في بيروت سنة ١٨٤٦م، شارك والده في جل مناشطه، مات ولم يجز الأربعين من عمره وذلك سنة ١٨٨٦م شارك والده في جل مناشطه . أنظر : اكتفاء القنوع (٤١٢/١) .

[5] - انظر : أعلام الصحافة العربية : د/ إبراهيم عبده ، (٤٥/٢) ، مكتبة الآداب بالجماميز ، عام ١٩٤٨م .

لاشك إذن في أن منشأ هذه المدرسة مبني على أهداف تبشيرية تغريبية وقـد نجحـت في استقطاب الطلاب بجميع مشاربهم وأديانهم إليها .

٢ - مؤلفاته :

أ- القاموس المحيط :

نظراً لاهتمام البستاني باللغة والآداب العربية ورغبة منه في إثراء المكتبـة العربيـة بقاموس عربي معاصر من تأليفه وجمعه علـى غـرار القـواميس والمعـاجم العربيـة المشتهرة، فقد ألف قاموسه (محيط المحيط)[١] "، وهو قاموس عربي أفرغ فيـه قـاموس الفيروزبادي[٢] إلا أنه بترتيب مختلف، وأضاف إليه طائفة من الألفاظ العاميـة والكلمـات الأعجمية الدائرة على الألسنة، ورفعه إلى سلطان الدولة فأثابه عليه "[٣]، بوسام وجـائزة مالية، ثم اختصره بعد ذلك في (قطر المحيط) وجعله قاموساً مدرسياً .

لقد حرص البستاني على نيل ثقة الولاة الذين عاصرهم مما ينم عن ذكائه ومكره فقـد قوبلت جهوده باستحسان أعيان الدولة رغم أنها في مجملها لاتصب في مصلحة الإسـلام ولا تخدم وحدة صف الأمة ومن الغرابة أن يحظى بتكريم من قبلهم لقاء ما عمل .

ب- الموسوعة العربية دائرة المعارف :

بعد انتهاء البستاني من قاموسه محيط المحيط "وعد في ختامه بتأليف كتاب للأعـلام، ووجد أن اللغة مفتقرة إلى قاموس لا يكون مقصوراً على الأعلام بل يحتوي على كل فـنٍ ومطلب فأخذ في تبويب دائرة المعارف وتأليفها يعاونه فيها ولده سليم أفنـدي وبعـض الكتاب .... وقد اقتحم هذا المشروع على علمه أن تأليف هذا الكتـاب وطبعـه عمـلان كبيران عظيمان لا يقتحمهما عادة في أوروبا غير جمعيات وشركات ذات مقـدرة أدبيـة ومادية غير عادية ، ولقد قال مرات إنني لولا ثقتي الشديدة بكفاءة ولدي سليم أن يـتمم

---

[١] - وهو أول قاموس عصري في اللغة العربية طبع في مجلدين في بيروت سنة ١٨٧٠م .

[٢] - هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي أبو الطاهر مجد الدين ولد في سنة تسع وعشرين وسبعمائة صاحب القاموس المحيط في اللغة. طبقات المفسرين للداودي (٣١٢/١) .

[٣] - أنظر : أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم : حسن السندوبي ، ص٢٠٧ ، ط١ ، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م .

ما ابتدأت إذا لم يفسح الله في أجلي لما أقدمت على التأليف واقتحمت هذا المشروع الكبير [1]" والجدير بالذكر أنه قد جمع في مشروعه " تراجم الأعلام من سلاطين وملوك وعلماء وأعيان ومدن وأعمال ومقالات في العلوم والفنون على اختلاف مواضيعها فشرع فيه سنة ١٨٧٥م يعاونه به ابنه سليم وبعض الكتاب فأكمل ستة مجلدات وتوفي بدء السابع، فأتم ابنه سليم السابع والثامن وتوفي قبل شروعه في التاسع، "[2] .

وقد تناول في موسوعته التي وضعت على نسق الموسوعات الغربية متأثرا بطريقتها العديد من القضايا التي تمس الإسلام تشريعيا وأخلاقيا وفكريا واجتماعيا وسيكون بحثنا بعون الله متركزاً حول هذا الموضوع ..

ولم يكتف البستاني بهذين المؤلفين الضخمين بل كان له العديد من المؤلفات في مختلف الفنون ، فقد كتب في علوم اللغة والآداب وعلم الحساب وغيرها من العلوم ، ونذكر من هذه المؤلفات علاوة على ما سبق :

١. مصابيح الطالب في بحث المطالب .
٢. بلوغ الأرب في نحو العرب ، مخطوط .
٣. آداب العرب .
٤. شرح ديوان المتنبي .
٥. كشف الحساب في علم الحساب .
٦. تعليم النساء .
٧. مفتاح المصباح .
٨. الهيئة الاجتماعية والمقابلة بين العوائد العربية والإفرنجية .
٩. التحفة البستانية في الأسفار الكروزية .

---

[1] - دائرة المعارف العربية : بطرس بولس البستاني ، (٥٩١/٧)، دار المعرفة بيروت- لبنان .

[2] - الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المؤصل : يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت الماروني ، ص٥٣٣ ، المطبعة العمومية الكاثوليكية - بيروت ،١٩٠٥م .

١٠. رسالة التوابع والزوابع لابن الأندلس ، تحقيق وشرح ودراسة تاريخية وأدبية

١١. الشعراء الفرسان ."[١]

جـ - صحف البستاني :

ليس بخافٍ على أحدٍ مدى أهمية الصحافة في التأثير على المجتمعات ، لذا أخذ البستاني على عاتقه إنشاء بعض الصحف التي كان يخاطب مجتمعه من خلالها، وهذا ما أشار إليه بطرس بن سليمان البستاني[٢] في كتابه أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، حيث قال :" لا يخفى ما للصحافة صاحبة الجلالة من الأثر البليغ في نهضة الشعوب وتقدمها . وقد كان لها يد بيضاء على البلاد العربية إبان يقظتها ، فهي التي قاومت الاستبداد والمستبدين ، وآزرت الحرية والأحرار، وبعثت الروح الوطني في صدور الشعوب الشرقية الخاملة المتواكلة، وهي التي ربطت الشرق بالغرب، وأطلعت المشارقة على حضارة الأوربيين وعلومهم وفنونهم واختراعاتهم، وسياساتهم وأحوالهم، فاستفاد منها العالم والجاهل وشملت بفضلها الخاصة والعامة، فإذا هي نعم الأستاذ والمربي والمرشد والمنير " [٣]

أما نتاجه في هذا المجال فكان منقطع النظير حيث أنشأ العديد من الصحف والنشرات والمجلات في مجالات شتى بمؤازرة من أقاربه، "حيث رأى الرجل مواطنيه قد فرغوا من حربهم الأهلية، وهي حرب آذت النفوس حتى تركتها نهب الحقد والضغينة، فوجد أن عليه رسالة يؤديها كمعلم في تلاميذه، فأنشأ نشرة سماها (نفير سوريا) أصدرها باللغة العربية سنة ١٨٦٠م كأول صحيفة في الشام ، وهي صفحتين كان كاتبنا فيها معلماً، إذ نشر على صفحاتها رسائل وطنية تحض على الوحدة وتعمل لها بين السكان على اختلاف مذاهبهم الدينية والسياسية، وأصدرها ثلاث عشرة مرة، وكانت في أعدادها نفيراً يدعوا إلى الوئام ويؤيد بين

---

[١] - الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية : زكريا محمد مجاهد (٩٩٦/٣) ، دار الغرب الإسلامي – بيروت - لبنان، ط٢ ، ١٩٩٤م

[٢] - بطرس البستاني :سمي بهذا الاسم عدد من نصارى لبنان الذين اشتهروا في مجال اللغة والأدب وكان لهم دور في نشأة القومية العربية : أ_ بطرس بن بولس البستاني صاحب دائرة المعارف العربية. ب- بطرس بن سليمان البستاني من مؤلفاته(أدباء العرب). ج - بطرس بن يوسف وهو كاهن نصراني من مؤلفاته (السنابل). أنظر : الأعلام (٥٩/٢) .

[٣] - أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث : بطرس سليمان البستاني ، ص٤٠٦ ، دار نظير عبود .

المواطنين المحبة والسلام، فإذا هدأت النفوس الثائرة وأخلد الناس إلى السلام وقف صـــدورها ".[1]

وكان مما كتبه فيها قوله :" يا ابن الوطن ! إن الفظائع والمنكرات التي ارتكبها أشقياؤنا هـــذه السنة كسرت القلوب وأسالت الدموع، وعكرت صفاء الألفة وأضاعت حق الجوار، أما تمـــالح الجاران؟ أما شربتم ماءً واحداً؟ أما تنشقتم هواءً واحداً؟ أما رأيتم العقلاء ساعين في تـــشييد أركان الألفة ورفع منار العلم رغبةً منهم في ارتقاء البلاد وسعادة العباد؟ اعلموا أنكم بعملكـــم المنكر قد رجعتم إلى الوراء نصف قرن الخ الخ . هدانا الله وإياكم إلى سواء السبيل " .[2]

لقد استطاع البستاني من خلال هذه الصحيفة وبأسلوبه البراق التـــأثير علـــى الواقـــع وتغيير مجريات الأحداث حيثما يريد في وقت ضعف فيه صوت المصلحين المخلصين من أبناء الأمة .

وكانت هذه الصحيفة نواة لما بعدها من أعماله الصحفية، حيث أصدر مجلة (الجنـــان) "وهي مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية، صدرت في غرة كـــانون الثـــاني ١٨٧٠م نـــصف شهرية، وجعل شعارها [حب الوطن من الإيمان]، ومن ذاك العهد درجت العادة عنـــد أكثـــر أرباب الصحف العربية أن يتخذوا لجرائدهم ومجلاتهم شعارا خاصـــا ويـــصدروها بـــه، وقـــد افتتحها المعلم بطرس بهذين البيتين :

إليك صحيفة نشرت حديثا *** فأغنت بالسماع عن العيان

كفردوس حوى ثمرا شهيا *** لذاك دعوتها باسم الجنان" [3]

هذا "ومن أشهر من كتب فيها : الشيخ إبراهيم اليازجي[4]، وعدد من المبشرين "[5]

والملاحظ أن كتاب هذه الصحيفة " خليط من الموارنة وبعض المستشرقين الغربيين "[6] كلهـــم يحمل نفس التوجهات التنويرية تبعا للسياسة التي تسير عليها تلك الصحيفة.

---

[1] - أعلام الصحافة العربية : د. إبراهيم عبده ، ص(٤٥ و ٤٦).

[2] - تاريخ الصحافة العربية : الفيكونت فيليب دي طرازي: (٦٤/١)، المطبعة الأدبية، ط١، عام ١٩١٣م .

[3] - المرجع السابق (٤٥/١).

[4] - إبراهيم اليازجي بن ناصيف اليازجي ولد عام ١٨٤٧م في بيروت تعلم اللغة العربية وقرأ الفقه الحنفي وأتقن الفرنسية والإنجليزية سافر إلى أوروبا عام ١٨٤٩م واتهم بالإلحاد والظاهر أنه كان يميل إلى العقائد الجديدة المنتشرة في عصره مثل الاشتراكية ، توفي عام ١٩٠٦م بالقاهرة. أنظر : الأعلام الشرقية ص ٩٧٠ .

[5] - أنظر : تاريخ الصحافة العربية : الفيكونت فيليب دي طرازي (٤٥/١) .

[6] - أنظر : تاريخ الصحافة العربية : الفيكونت فيليب دي طرازي (٤٥/١) .

وتستمر جهود البستاني الصحفية، ففي أواسط العام نفسه "استعان بابنــه ســليم فــي إنشاء صحيفة سياسية سماها (الجنة) وهي من أقدم الجرائد الــسياسية العربيــة فــي بــلاد الشام"[1].

ثم تلي هاتين الصحيفتين صحيفة أخرى "سياسية تجارية ظهرت عــام ١٨٧١م وهــي صحيفة [الجنينة] ، وقد تولى تحريرها الثلاثة الأساطين في أسرة البستاني بطــرس وســليم وسليمان، وتعد " (الجنينة) أول محاولة لنشر صحيفة عربية يومية في الشام، فكانــت تــصدر معظم أيام الأسبوع وهي صحيفة تعنى بالبرقيات السياسية فكانت تنشرها في الصفحة الأولى ، ولم يعتد الشرق العربي حتى صدور الجنينة أي عناية بالأخبار البرقية كمــا فتحــت صــدرها لمراسلات الأقاليم وأخبار البلاد العربية، وهي عناية جديدة في صحافة الشام بهذه الناحية من التحرير،(الجنينة) أول صحيفة في الشرق الأدنى تعنى بشؤون التجارة وبقيت وحدها في هــذا الشرق تبدي هذا العلم بشؤون المال حتى نشر أديب إسحاق صحيفة (التجارة) في القاهرة سنة ١٨٨٩م" [2].

ولقد نشطت حركة المنطقة الفكرية في تلك الفترة بدرجة كبيرة وكان النصيب الأوفــر منها للصحافة البيروتية التي جابت البلاد طولاً وعرضاً ،" وحسبنا القول أن عدد الصحف التي ظهرت عام ١٨٧٠م في بيروت وحدها بلغ سبعاً بين جريدة ومجلة وهو أمر جدير بالذكر فــي تاريخ الصحافة العربية ، وكان السلطان عبد العزيز[3] أكبر عامل على تنــشيط الآداب لا ســيّما بعد ما شاهد بعينه واختبر بذاته حضارة الغربيين أثناء رحلته المشهورة عــام ١٨٦٧م إلــى باريز بدعوة مخصوصة من إمبراطورها ، وكان خديوي مصر إســماعيل باشــا[4] الموصــوف بالكرم الحاتمي شديد الرغبة بالاقتداء بالخلفاء العباسيين الذين كانوا يقربون إلــيهم العلمــاء

---

[1] - مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر : جرجي زيدان ، ص(٢٩و٣٠) مطبعة الهلال مصر ط٣ ١٩٢٢م.

[2] - أعلام الصحافة العربية : د. إبراهيم عبده ، ص ٤٧ .

[3] - الخليفة العثماني المولود عام ١٢٤٥هـ ، تولى الحكم سنة ١٢٧٧هـ الموافق ١٨٦١م وبقي في السلطة إلى عام ١٢٩٣م ، تولى بعده محمد بن مراد الخامس . انظر :تاريخ الدولة العثمانية العلية ص ٢٢١

[4] - هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على باشا عين والياً لمصر عام ١٢٨٠هـ بعد وفاة محمد سعيد باشا وكان شديد الميل للغرب حيث أراد أن يجعل مصر قطعة من أوروبا . انهيار الدولة العثمانية (١٨١/١) .

والشعراء، فأخذ يقتفي أثرهم لإحياء الآداب العربية ويجود بالعطايا على أئمة الصحافة، لا سيّما على بطرس البستاني عميدهم في بيروت " [1]

ونظراً لحاجة البستاني إلى دعم مشاريعه من قبل الخديوي إسماعيل فقد قدم له نسخة من موسوعته دائرة المعارف ملتمسا منه معاونته في طبعها "فصدرت الأوامر بإمداده بطبع دائرة المعارف، واشتركت الحكومة المصرية بألف نسخة من الدائرة وأمدته بمكتبة قيمة عظيمة حوت أجل الكتب وأنفعها في تحرير الدائرة" [2].

إن مما ساهم في نجاح مشاريع البستاني حرصه على إشراك الآخرين في إقامتها ومتابعتها، مما زاد من مضاعفة جهوده وأكسبه رضا ولاة البلاد الذين يتطلعون إلى نهضتها، الأمر الذي دفعهم إلى مد يد العون له ودعمه ماديا ومعنويا.

د - موقفه من تعليم المرأة :

أدرك طلاب المدرسة الاستشراقية ودعاة التغريب مدى أهمية إخراج المرأة من بيتها ومزاحمتها للرجال، ومهما جنته من تعلمها خارج هذا الإطار فلا مفاد منه. لذا لم يكن البستاني راضياً عن وضع المرأة في بلاد الشام وبخاصة في مجال التعليم إذ يصف لنا الحال كما يراه جورجي زيدان فيقول : لم تكن مدراس البنات في سوريا تخرج إلا " نخبة من ربات المنازل يعمرن البيوت ويصلحن الهيئة الاجتماعية "[3]

وقد شارك البستاني الكثير من دعاة تحرير المرأة الذين طرحوا هذه القضية واصفين المجتمع في نهاية القرن الماضي بأنه " يكابد أزمة اختناق أوصله إليها تراكم التخلف والتقاليد والأعراف بوصفها مسلمات يقينية، وكان في مقدمة هذه التقاليد مشكلات الزواج والطلاق والتعدد، أعقبتها مشكلات أخرى وقضايا عدت أقل أهمية، إما بسبب الحساسية الفائقة لها كمشكلة الحجاب، وإما لجدة طرحها كالتربية والتعليم " [4]

---

[1] - تاريخ الصحافة العربية : الفيكونت فيليب دي طرازي ، ص٧.

[2] - الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية : زكريا محمد مجاهد ، (٩٩٥/٣) .

[3] - تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، ص (٢٧/٤و٢٨)، دار الهلال.

[4] - مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- دمشق العدد ٤٨، السنة ١٢تموز يوليو١٩٩٢م، المحرم ١٤١٣هـ ، مقال بعنوان : قضية المرأة في عصر النهضة العربية : د. نعيم اليافي.

هذا ويعد البستاني في نظر أتباع مدرسته "أول من ناصر المرأة في سورية على منبر، بل أول رسول نسائي سوري دعا إلى تعليمها..... وكان بوده إنشاء مدرسة نسائية كالمدرسة الوطنية "[1]

وكثيرا ما يحدث مقارنة بين المرأة الشرقية ونساء أوروبا معتبراً إياهن مضرب المثل في تمدنهن !!

فيقول : " أما النساء في هذه البلاد ولئن كن أرق حالا وأرفع درجة مما هن في بلاد الأمم الوثنيين، فإنهن لم يبلغن الدرجة المطلوبة من المعرفة والتمدن مما يقتضيه نجاح البلاد وتقدم الأهالي، وكأنهن في حد متوسط بين برابرة الدنيا ومتمدنيها : فهن بالنظر إلى نساء الهند مثلا متمدنات، ولكن بالمقابلة مع نساء أوربا لم يزلن بمعزل عن ذلك "[2].

وهي دعوة صريحة لتحرير المرأة صاحبها دعوات أخرى في مصر وغيرها من البلاد ليست من قبيل الصدفة بل هو عمل استشراقي منظم يركز النقد الاستشراقي من خلاله على " ضرورة المساواة بين الرجل والمرأة، وتحض الدراسات الاستشراقية المرأة المسلمة على الثورة والتمرد على وضعها داخل المجتمع المسلم، والمطالبة بحقوقها الضائعة – في زعمهم- والتشبه بالمرأة الغربية"[3]

هـ- جهوده في الترجمة :

لقد استفاد البستاني كثيراً من تعلم اللغات الأجنبية، حيث أقام علاقة حميمة بينه وبين عددٍ من المبشرين الذين أجادوا هم أيضاً تعلم العربية، وكان من ثمار اجتهادهم ترجمة التوراة حيث باشر فيها أحدهم سنة ١٨٤٩م " بمعاونة المعلم بطرس البستاني، فعرب قسما منها ثم توفي سنة ١٨٥٧م" [4]، وكان لهذه الترجمة رواجاً كبيراً بقي إلى أمد.

---

[1] -انظر : الروائع : فؤاد أفرام البستاني ص٨١

[2] - الروائع : فؤاد أفرام البستاني ص٨١

[3] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات المسلمة : د. محمد خليفة حسن أحمد ، ص ٦٣، عين للدراسة والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، عام ١٩٩٧م.

[4] - انظر : تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرعيل الأول من القرن العشرين : الأب لويس شيخو اليسوعي ،ص٨٠ ، ط٣ ، المشرق بيروت – لبنان، عام ١٩٩١م .

ومما قام بترجمته البستاني "قصة ربنسن كروزى وقد ترجمها بعبارة لا ترتفع عن العامية بشيء، وهي في موضوعها وغايتها أشبه بقصة السندباد الواردة في كتاب ألف ليلة وليلة ولا فرق بينهما"[1].

هذه مجمل أعمال البستاني التي بذل من أجلها وقته وسخر كل طاقاته مع ما امتاز به من همة فاقت الوصف كما يصف جرجي زيدان مضيفاً أنه كان إذا :" بدأ بعمل أكب عليه بكليته مواصلاً العمل للقيام به، فكانوا إذا افتقدوه ليلاً أو نهاراً عثروا عليه في مكتبه بين كتبه وأوراقه. وكان ثابت الجنان قادراً على الأعمال لا يأخذه ملل ولا ضجر مع ما يعترض المشروعات العلمية والأدبية في بلادنا من العقبات مما يثبط العزيمة ويضعف العزم وخصوصا في أيامه، فقد نبغ في عصر لم تتوفر فيه معدات الطبع والنشر، ولا اعتاد فيه الناس مطالعة الجرائد والإقبال على المؤلفات، ومع ذلك فإنه عمل أعمالاً يقصر عن القيام بها عدة من الرجال الأقوياء، فكان يؤلف ويعلم ويترجم ويدير أعماله، ويكاتب عماله وأصدقائه، ويضبط حساباته، ويدير مدرسته علماً وعملاً، ناهيك بما يقوم به من المساعدات الأدبية لمن يقصده من المستشيرين والمستعينين فيقضي حاجاتهم ويحضر اجتماع الجمعيات ويقدم الخطب والمواعظ، وهو مع ذلك يستقبل الزائرين بوجه باش، فلا يرجع أحدهم من بين يديه إلا شاكراً حامداً معجباً بلطفه وغيرته " [2]

لا شك أن جورجي زيدان عمل على تحسين صورة هذا الرجل وامتداح سيرته بغرض ترويج بضاعته يتضح هذا من خلال كلامه المنمق حول شخصية البستاني ومع هذا فلا ننكر أن له جهود جبارة وإرث ثقافياً لا يمكن تجاهله كان له أثره الكبير في تحوير ثقافة الأمة .

ثانياً - علاقته بالإرساليات التبشيرية الأمريكية :

شكلت الطائفة المارونية وغيرها من الأقليات المتواجدة في السلطة العثمانية عاملاً مهماً عول عليه المستشرقون والمبشرون تمزيق جسد الأمة وتقويض كيانها "ولقد اهتم الاستشراق بدراسة الأقليات داخل كل بلد عربي وإسلامي لتقوية النزعة الانفصالية لدى أهلها، وتحريكها للمطالبة بالاستقلال وبالحكم الذاتي، أو غير ذلك من أشكال الحكم التي تتحقق فيها

[1] - أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم : حسن السندوبي ، ص٢٠٨، ط١، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م .

[2] - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (٣١/٣) .

لنفسها انفصالاً عن الأمة وانعزالاً عن بقية أبناء المجتمع الإسلامي، ويذكر في هذا الخصوص دور الاستشراق النصراني في إثارة القومية لدى بعض الجماعات النصرانية في العالم العربي مثل الأقباط في مصر ، والموارنة في لبنان ... " [1]

أما عن واقع الإرساليات التبشيرية التي تمركزت في لبنان خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً فيمكننا القول إنها " فكرة صليبية جديدة ، كانت هذه الفكرة بعيدة نهائياً عن الأذهان" [2]؛ ربما لكونها لم تتخذ طابع المواجهة العسكرية كما هو الحال في الحملات الصليبية على مر التأريخ .

وسواء أدرك أبناء الأمة ذلك أو لم يدركوا فقد أحدث هؤلاء المبشرون شرخا كبيراً في هويتها وثقافتها بدعاوى مزيفة تتمثل في محاربة الجهل والفقر ونشر العلوم والمعارف إلى غير ذلك .

وعليه فإن " أول تواجد للإرساليات التبشيرية الأمريكية في بلاد الشام كان عام ١٨١٩م "حيث لم يكن هناك طائفة بروتستانتيه[3] لذا فقد جابهت صعوبات كثيرة في البداية إلى أن نجحت في تكوين طائفة ترتكز عليها داخل الشام. هذا في الوقت الذي لاقت فيه الإرساليات مقاومة شديدة الوطأة سواء من المسلمين أو من بقية الطوائف المسيحية، وامتدت المقاومة لإنشاء المدارس وإقامة الجمعيات والصحف في محاولة الرد على الدعاية البروتستانتية التي أثارتها الإرسالية الأمريكية، هذا في الوقت الذي ساند فيه أتباع الإرسالية من الشوام النشاط التبشيري للإرسالية بشتى الوسائل وبمختلف الجهود "[4].

وعند قدوم المعلم بطرس إلى بيروت عام ١٨٤٠م بدأت علاقته بالإرساليات الأمريكية . في تلك الفترة "كانت دول الإفرنج ساقت إلى سواحل سورية مراكبها البحرية تعين الباب العالي على إخراج إبراهيم باشا بن محمد علي باشا خديوي مصر الأول، فاستخدمه الإنكليز

---

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية : د. محمد خليفة حسن أحمد، ص(٤٠ و ٤١)

[2] - أنظر : لبنان والنهضة العربية الحديثة : جبران الخوري مسعود ، رسالة قدمت إلى الدائرة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت تتميماً للشروط المطلوبة لنيل أستاذ في العلوم، ص ٦٧، ١٩٥٣م.

[3] - هي فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل وهم يعترضون على كل أمر يخالف الكتاب وخلاص أنفسهم ، ويعتقدون أن الكل قادر على فهم الإنجيل فالكل مسئولون متساوون أمامه . أنظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب المعاصرة (٦١٥/٢)

[4] - انظر : التنصير الأمريكي في بلاد الشام [١٨٣٤ م– ١٩١٤ م] : د. عبد الرزاق عيسى ، ص ٣٠٩ ، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط١، عام ٢٠٠٥م .

ترجمانا، وتعرف وقتئذٍ ببعض القساوسة الأمريكان المرسلين من الولايات المتحدة دعاة إلـى المذهب الإنجيلي، فواثقهم على خدمتهم يعلمهم العربية ويعرب الكتب لهم "[1].

وكان البستاني بعمله هذا قد مكنهم من تجاوز عائق اللغة مما سهل عليهم القيام بالكثير من أعمالهم التبشيرية، وحيث لمسوا في الرجل همة ونشاطاً فقد عملوا معاً على إخراج ترجمة جديدة للتوراة والإنجيل[2] واستثمر المبشرون الأمريكان جهود البستاني وصديقه اليازجي[3] "[4] فعهدوا إليهما تأليف كتب مدرسية مختصرة في شتى الموضوعات، وما كاد تأليف هذه الكتب يتم حتى طبعوها في جميع مؤسساتهم ووزعوها على جميع أنحاء البلاد "[5] .

والحق أن هذه العلاقة كما وصفت " لم تقتصر على الصداقة وحدها بل تعدتها إلى الامتزاج الروحي"[6].

ثم تأتي الفكرة لإنشاء جمعية علمية اتفق اليازجي والبستاني خلال السنوات الأولى من ارتباطهما مع البعثة التبشيرية الأمريكية بإنشائها، بحيث تكون الغاية من تلك الجهود رفع مستوى المعرفة بين الشباب الكبار عن طريق اتصالهم بالثقافة الغربية "وقد حقق المشروع غايته في كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٧م فأنشئت في بيروت باسم (جمعية الآداب والعلوم) وكان من أعضائها اليازجي والبستاني وعدد من الأمريكان والإنجليز، ولم يمض عامان على تأسيسها حتى بلغ أعضاؤها خمسين عضواً أكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت ولم يكن فيها عضواً مسلماً أو درزي" [7]

وتهدف هذه الجمعية في حقيقة الأمر إلى التبشير بالعروبة ومحاربة الإسلام " فالقوى الاستعمارية الغربية التي كانت متربصة بنهاية دولة الرجل المريض كي ترث تركتها قد

---

[1] -انظر: دائرة المعارف العربية : بطرس بولس البستاني، (٥٨٩/٧)

[2] -إن العمل على ترجمة هذين الكتابين معاً لهو نموذج يبين مدى التوافق بين اليهود ومهام المنصرين والمستشرقين .

[3] -ناصيف بن عبد الله اليازجي الكفرشيمي اللبناني الماروني المتوفى ببيروت سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠م نزيل بيروت له ستون مقامة على طرز مقامات الحريري سماها مجمع البحرين طبعت في بيروت مرتين سنة ١٨٥٦ و ١٨٧٢م . أنظر : اكتفاء القنوع (٢٨٤/١)

[4] - يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية: جورج انطينيوس ترجمة د. ناصر الدين أسد و د. إحسان عباس،، ص ١٠٥، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

[5] - المصدر السابق ، ص ١١٢.

[6] - يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية ص ١١٣.

[7] - انظر : المصدر السابق ، ص ١١٧.

اجتمعت ضد (المشروع العربي) لمحمد علي وناصرت السلطة العثمانية، فبدت وكأنها تنــصر الإسلام على العروبة! فلما زال خطر المشروع العربي على أطماعها بعد ١٨٤١م كان مــصدر الخطر على مطامعها آتياً من الدولة العثمانية أي من الإسلام، فاســتدارت تــشجع بواســطة إرساليات التبشير الفكرة العربية المستبعدة لمزج العروبة بالإسلام، فكــان أن تكونــت تحــت رعاية الأمريكان ببيروت ١٨٤٧م أول جمعية ثقافية (بشرت بالعروبة ... فقط) "[1].

لقد كان يربط البستاني بالمبشرين الأمريكيين أمران مهمان وهما (الــدين والمــصالح المشتركة) وكلاهما هيئا الظروف التي شجعت على تقوية تلك العلاقــة التــي ظــل البــستاني حريصاً على الإبقاء عليها حتى وفاته ليعهد لابنه من بعده إكمال المسيرة .

ثالثاً- موقفه من الغرب والحضارة الغربية :

حين تحدثنا عن الحالة الاجتماعية التي عاشها البستاني رأينا كيف كانت حياة المجتمع في بيروت يعتريها شيء من عوائد الفرنجة، وهذا يعني أن المجتمع في الجملــة يميــل إلــى التغيير نتيجة التأثير الأجنبي في المنطقة، غير أن البستاني كان طرفاً مهما في هــذا التــأثير، حيث ضمّن ذلك في العديد من خطاباته ومؤلفاته مما يدل على ولعه بالحضارة الغربية وبكــل مضامينها السياسية والحياتية " فحين أسس مجلة (الجنان) ووضع شعاراً لها (حب الوطن من الإيمان) طالب بالمساواة بين الأديان وفصل الدين عن الدولة أسوة بالأنظمة الغربية، ودعا إلى تعلم اللغات الحديثة واقتباسها عن أوروبا ونشرها، ورأى أنه لا يمكن أن ينهض الشرق الذي كان مزدهراً في غابر الزمان ثم آل على الانحطاط وسبب الانحطاط هو الحكومــات الفاســدة، ولإصلاح الحالة لابد من حكومات صالحة ترتكز قبل كل شيء على مراعاة مبدأ العدالة، وعلى فصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية، وفصل السلطة القضائية والتشريعية عن الــسلطة التنفيذية ..... وإشاعة المشاعر الوطنية، هذا إلى جانب أن شعوب الشرق لا تستطيع المضي

---

[1] - الإسلام والعروبة : محمود عمارة ، ص ٦٦ ، دار الشروق، عام ١٤٠٨ هــ - ١٩٨٨م .

في طريق الرقي السريع إلا باستعارة الثقافة الأوربية التـــي يكمــن أساســها فـــي المعــارف والعمل".[1]

وفي أشهر خطاباته التي ألقاها في الجمعية السورية متحدثاً فيها عن المقابلـــة بـــين العوائد الإفرنجية والعوائد العربية يقول : "إن اللبس في نفسه ليس شيئاً بالنظر إلـــى حقيقـــة الإنسان. وأحب أن أرى إفرنجياً في تمدنه بلبس عربي من أن أرى عربياً غير متمدن بلـــبس إفرنجي"[2]، ثم يمضي في خطابه قائلاً :" وإذا بقي الحال كما نرى فعلينا معاشر العرب أن نهيئ أكفاناً لما بقي من عاداتنا القديمة، لأني أرى جيوش عادات الإفرنج هاجمة علينـــا بكـــل قـــوة وعزم، وإذا كانت رجالها أكثر عدداً وقوة من رجال عاداتنا، وهي محفوظـــة بقـــوة العـــصبية القائمة على مباني وأسس حب الوطن الراهنة والحذق في الصنائع والتدبير والآلات والثروة، ويخشى من أن تقع الكسرة في آخر الأمر على عاداتنا وتدور عليها الدوائر"[3].

إن حديث البستاني هنا آت من منطلق الإيهان والإضعاف، حيث كانت العوائد العربيـــة الإسلامية تتلاشى شيئاً فشيئاً، تبعاً للضغوط السياسية والظروف العصيبة التي تمر بها الدولـــة العثمانية وقت ذاك ، لأن ساسة التغريب قد قطعوا شوطاً لا بأس به في القضاء على مظـــاهر تلك العادات. أما في المجال العلمي فلم يسلم البستاني من التأثر بالتوجهات الفكرية التي يؤمن بها المفكرون الغربيون كغيره من مشاهير الشرق، فقد رأى بعض المفكـــرين الفرنـــسيين أن العلم هو " الأساس في بناء الفرد والمجتمع باعتبار أن الدين بدائي بطبيعتـــه وعـــاجز عـــن مسايرة تطور الإنسان "[4]

وسار في هذا التيار العلمي العلماني عدد من مفكري الشام أمثال المعلـــم المـــاروني بطـــرس البستاني .

هذا ولم يكتف البستاني بمد يد العون لهؤلاء المبشرين بل جعل يمجد رســـالتهم التـــي جاؤوا من أجلها، تارة بمقالاته وتارة بخطبه حيث قال في أحدها :" نحن سلمناهم العلوم مـــن

---

[1] - انظر : العرب النصارى عرض تاريخي : حسين العودات ، ص١٩٤، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢م، بتصرف .

[2] - أعمال الجمعية السورية : يوسف قزما خوري ، ١٨٦٩ م- ١٨٨٦م ، ص ٢١١ ، دار الحمراء ط١ ، ١٩٩٠م .

[3] - المصدر السابق ص ٢١٦.

[4] - الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة [١٧٩٨م-١٩١٤م] الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية : علي الحافظ ، ص (٢٣٧ و ٢٣٨) ، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، الحمراء ، ١٩٨٧م .

يدنا اليسرى عن طريق واحد، وأما هم فآخذون في إرجاعها لنا بيدهم اليمنى عن طرق شتى، ويجب أن نضع المرسلين الأمريكان .. في المرتبة الأولى من هذا القبيل ، لأن حسن قـدوتهم وفضل مساعيهم في هذا الأمر بواسطة مدارسهم ومطابعهم ظاهران لا ينكرهما إلا مـن كـان ناكر الجميل، ومن أصحاب الغرض والتعصب"[1]

وإذا كانت قناعات البستاني تحمله على القول بسمو رسالة هؤلاء المبشرين فما دونه في دائرة المعارف يحمل الكثير والكثير من هذه المضامين !!

وفاته :

توفي المعلم بطرس في أول أيار/ مايو سنة ١٨٨٣م، بعد أن قضى أكثر من خمـسين عاماً حافلة بالعمل الجاد المتواصل حيث لم يدخر وسعا في الدفاع عن قضاياه ونـشر مبادئـه "وبعد وفاته عاد أبناؤه وبعض بناته إلى المذهب الكاثوليكي[2] في الطقس الماروني، وقد حـافظ في حياته على طائفته المارونية .. وكان ينوي العود إلى المذهب الكاثوليكي لو لـم يعاجلـه الموت بغتة وكذلك لابنه سليم "[3]

هذا بيان مختصر لحياة المعلم بطرس البستاني وأعمالـه طيلـة حياتـه، والحـق أن شخصية كهذه جديرة بالبحث خاصة فيما يتعلق بجهودها في التغريب، والله أسـأله المعونـة والسداد.

---

[1] - روائع : فؤاد أفرام البستاني ص(١٢٣و١٢٤)، ط٣، المطبعة الكاثوليكية، بيروت عام ١٩٦٦م .

[2] - الكاثوليكية هي أكبر الكنائس النصرانية في العالم يزعمون أن مؤسسها بطرس الرسول وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها وتسمي بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتدادنفوذها في الغرب اللاتيني خاصة . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٦٠٠/٢) .

[3] - الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل: يوسف الدبس ٥٣٣.

الفصل الأول/

شبهات دائرة المعارف العربية حول الإسلام وردها

ويشتمل على :

- المبحث الأول : شبهات البستاني حول الفتح الإسلامي.
- المبحث الثاني : شبهات البستاني حول التشريع والأخلاق في الإسلام .
- المبحث الثالث : شبهات البستاني حول أعلام الإسلام .

شبهات البستاني حول الفتح الإسلامي :

شرع الله الجهاد على هذه الأمة وحرض المؤمنين عليه في مواطن كثيرة من كتابه الكريم يقول تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)[1]، وقد أبان الله تعالى الحكمة من سنه في الأمة المؤمنة عبر العصور حيث قال عز وجل : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) [2] "أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان"[3] وأن تقال كلمة لا إله إلا الله التي "عليها قاتل نبي الله وإليها دعا "[4] ولما كانت هذه هي الغاية من تشريع الجهاد عني الإسلام به عناية فائقة حيث شرع مقرونا بآداب وضوابط وأحكام جعلته مغايراً للفكرة السائدة زمن الجاهلية التي تقوم على الاقتتال لمجرد سفك الدماء وتوسيع النفوذ وهيمنة الأقوياء على الضعفاء لذا حرص النبي ﷺ على غرس معاني الرحمة لدى الجيش المسلم ونبذ الهمجية والغوغائية كما يتضح ذلك في وصاياه لأمراء الجيوش، ففي الحديث " كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم إن هم فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أن يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبو فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة

---

[1]- سورة التوبة آية ٢٠ .

[2] - سورة البقرة آية ١٩٣.

[3]- تفسير القرآن العظيم، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء الوفاة: ٧٧٤ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١هـ .

[4] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، الوفاة: ٣١٠ ، دار النشر: دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصـــحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم علـــى حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا)[1] إن هذه الوصية النبوية الكريمة حملت في مضامينها ميثاق الجهاد في شريعتنا فهـــي تشتمل على عدة أمور:

أولاً : وجوب " وصية الإمام لنوابه وأمرائه وولاته بتقوى الله والإحسان إلى الرعية، فبهـــذين الأصلين يحفظ على الأمير منصبه وتقر عينه به ويأمن فيه من النكبات والغيـــر ومتـــى تـــرك هذين الأمرين أو أحدهما فلا بد أن يسلبه الله عزه ويجعله عبرة للناس فما ســـلبت الـــنعم إلا بترك تقوى الله والإساءة إلى الناس ".[2]

ثانياً : الغزو في الإسلام عبادة جليلة كباقي العبادات يجب ذكر اسم الله قبل الشروع فيها كما في الحديث : اغزوا باسم الله " أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له "[3].

ثالثاً: وجوب مقاتلة الكفار عامة ويشمل هذا العموم " جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم وقد خصص منهم من له عهد والرهبان والنسوان ومن لم يبلغ الحلم .. وإنمـــا نهـــى عـــن قتـــل الرهبان والنسوان لأنه لا يكون منهم قتال غالبا وإن كان منهم قتال أو تدبير قتلوا"[4].

وفي الحديث " دليل على أنه يشرع للإمام إذا أرسل قومه إلى قتال الكفار ونحوهم أن يوصيهم بتقوى الله وينهاهم عن المعاصي المتعلقة بالقتال كالغلول والغدر والمثلة وقتل الصبيان "[5].

رابعاً :" وجوب تقديم دعاء الكفار إلى الإسلام قبل المقاتلة"[6]، لأن المقصود من ســـن الجهـــاد تبليغ دين الله ولا يبادر بالقتال حتى يدعى إلى الدخول فيه، "وهذا واجب إن كانت الدعوة لـــم

---

[1] - صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب تأمير الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها (٣ /١٣٥٦). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[2] - أحكام أهل الذمة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي تحقيق : يوسف أحمد البكري ، و شاكر توفيق العاروري. (٨٨/١)، رمادى للنشر - الدمام ، دار ابن حزم - بيروت - ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م ،.

[3] - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٦٥٢/١)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض .

[4] - المصدر السابق (٦٥٢/١) .

[5] - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (٥٣/٨)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

[6]- المصدر السابق (٥٣/٨) .

تبلغهم ومستحب إن بلغتهم الدعوة هذا إذا كان المسلمون هم القاصدين للكفار فأما إذا قصدهم الكفار في ديارهم فلهم أن يقاتلوهم من غير دعوة لأنهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم "[١].

خامساً: استحب لمن دخل في الإسلام "أن يهاجروا إلى المدينة، فإن فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم في استحقاق الفيء[٢] والغنيمة[٣] وغير ذلك وإلا فهم أعراب كسائر أعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو فتجري عليهم أحكام الإسلام ولا حق لهم في الغنيمة والفيء وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إن كانوا بصفة استحقاقها "[٤]، وعلة استحباب التحول إلى ديار الإسلام أن "الوقوف بالبادية ربما كان سببا لعدم معرفة الشريعة لقلة من فيها من أهل العلم"[٥].

سادساً: تفرض الجزية عند رفض الدخول في الدين حيث يؤديها الكفار جميعاً بلا استثناء أخذاً بظاهر الحديث وحكمة ذلك " أن الذل الذي يلحقهم .. يحملهم على الدخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الإطلاع على محاسن الإسلام "[٦].

سابعاً : جواز عقد العهود والمواثيق مع الفئة الكافرة ما لم تغدر بجيش المسلمين[٧].

هذه جملة من آداب الجهاد في الإسلام لم يزل الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان على مر العصور يلتزمون بها ويحرصون على توصية قوادهم بالعمل بمقتضاها أسوة بالنبي ﷺ وما عدا هذا من أخطاء تاريخية فلا يُحمّل الإسلام تبعاتها ولا ينبغي أن تتخذ الفتوحات الإسلامية المجيدة لأجل ذلك غرضا تثار حوله الشبهات . كما فعل البستاني وأورده في دائرة المعارف العربية ومن ذلك ما يلي:

---

[١] - أحكام أهل الذمة، ص ٨٨ .

[٢] - الفيء ما ورده الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال إما بالجلاء أو بالمصالحة على جزية أو غيرها والغنيمة أخص منه. التعريفات (١/ ٢١٧) .

[٣] - الغنيمة اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة بقوة الغزاة وقهر الكفرة على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى وحكمه أن يخمس وسائره للغانمين خاصة. التعريفات (١/ ٢٠٩) .

[٤] - صحيح مسلم شرح الإمام النووي (٦ /٣١٥-٣١٦)، دار ابن الهيثم ، القاهرة .

[٥] - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار(٨ / ٥٣) .

[٦] - فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: أحمد علي بن حجر العسقلاني كتاب الجزية والموادعة ، (٦ /٢٩٩) المكتبة السلفية القاهرة .

[٧] - انظر : صحيح مسلم شرح الإمام النووي (٦ /٣١٦-٣١٧) .

١- معنى الجهاد :

تناول البستاني تعريف الجهاد في موسوعته كما في (مادة : جهاد) فقال : "الجهاد في اصطلاح الشرع: محاربة من ليس بمسلم ويسمى بالمغازي أيضاً وله عندهم فضل عظيم لبذل النفس فيه وركوب المشقات والخواطر وقد جعله النبي [ﷺ] بعد الصلاة وبر الوالدين وسئل أيضاً أي الأعمال أفضل قال الإيمان بالله ورسوله ثم الجهاد في سبيل الله وإن كان المقصود فيه الطمع في الغنيمة فلا فضل فيه ولا أجر لصاحبه ولكن إذا قصد الجهاد بالحقيقة ثم طمع في الغنيمة فذلك غير منكر كما تصح التجارة في طريق الحج . وحد الجهاد في كتب الشرع الدعاء لدين الحق وقتال من لم يقبله وقيل هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله أو بمعاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك والجهاد فرض كفاية لا فرض عين وأمر به ابتداءً وعليه فجاهدوا في سبيل الله حق جهاده وتحريمه في الأشهر الحرم منسوخ وعلى ذلك الآية اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فإن قام به البعض سقط عن الكل وإن لم يقم به أحد أثموا بتركه .....والجهاد يكون فرض عين إذا هجم العدو ولو بلا إذن ......" [١]

وقد وجدت ما يشابه هذا التعريف في بعض كتب الأحناف [٢] لكن الملاحظ فيما أورده البستاني هنا أمران أولهما مسألة إباحة القتال في الأشهر الحرم وسيأتي بيانها في حينه . والثانية أنه ألمح في إيراده لهذا التعريف إلى ما يسمى بغنائم القتال بقوله (وإن كان المقصود فيه - أي الجهاد - الطمع في الغنيمة فلا فضل فيه ولا أجر لصاحبه ولكن إذا قصد الجهاد بالحقيقة ثم طمع في الغنيمة فذلك غير منكر) فحديثه عن الغنيمة دون سائر مسائل الجهاد يوحي إلى القارئ أنها غاية الفاتح المسلم من شنه للحروب عبر التأريخ بينما نجد أن نوايا المقاتلين تتنوع بتنوع بيئتهم وأحوالهم وليس بالضرورة أن تكون الغنيمة أغلى المطالب ففي حديث أبي موسى الأشعري قال:(عن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية

---

[١] - دائرة المعارف العربية (٦ /٥٧٢) .

[٢] - حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة : ابن عابدين(١٢١/٤)، دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

فرفع إليه رأسه قال وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل)[1].

قال ابن حجر[2] رحمه الله " القتال يقع بخمسة أشياء : طلب المغنم ، وإظهار الشجاعة، والرياء والحمية والغضب وكل منها يتناول المدح والذم فلهذا لم يحصل الجواب بالإثبات ولا بالنفي"[3].

وقد أثار البستاني من خلال بعض مواد دائرته شبهاً حول الفتح الإسلامي سنرد عليها من خلال هذا المبحث كما يلي:

٢- شبهة انتشار الإسلام بحد السيف :

حول هذه الشبهة جاء عدة مواد توحي لقارئ دائرة البستاني إلي تقرير مسألة انتشار الإسلام بحد السيف وأنه العامل الأساس الذي أدى إلى توسع المد الإسلامي إلى خارج جزيرة العرب ومن ضمن تلك المواد ما يلي :

- (مادة : إبراهيم بن أحمد الأغلبي[4]) حيث قال فيها متحدثا عن الأمير إبراهيم الأغلبي : " أنه كان جائراً ظالماً سفاكاً للدماء وأنه أصابه آخر عمره ماليخوليا[5] وأسرف بسببها في القتل فقتل من خدمه وبناته ما لا يحصى وقتل ابنه الأغلب لظن ظنه به وأما ابن الأثير فأثنى عليه بالعقل والعدل وحسن السيرة وقال متابعاً حديثه عنه : (ووصل ملك الروم بالقسطنطينية[6] ففتحها ثم بعث حافده زيادة الله بن ابنه[1] .. إلى قلعة تسمى بيقش

---

[1] - صحيح البخاري : كتاب العلم ، باب من سأل وهو قائم عالما جالسا . محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٥٨/١) ، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م ، ط٣ ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

[2] - شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه وحافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا مطلقا قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة طلب الحديث من سنة أربع وتسعين وسبعمائة فسمع الكثير ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه. انظر: طبقات الحفاظ (٥٥٢/٢).

[3] - فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (٣٤/٦)

[4] - إبراهيم بن الأغلب التميمي السعدي أبوه الأغلب ممن ولي إمارة إفريقية ثم قتل في حرب وتوالت عليها ولاة إلى أن ولي الرشيد إبراهيم فاستقرت فيه وفي عقبه، وكان إبراهيم هذا فقيها عالما أديبا خطيبا ذا بأس وحزم وعلم بالحرب ومكايدها . الوافي بالوفيات (٢١٥/٥).

[5] - مرض من الأمراض النفسية. انظر : الحاوي في الطب (٦٣/١) .

[6] - القسطنطينية ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء النسبة قال ابن خرداذبه كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملك ومن ملوكها قسطنطين الأكبر الذي انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية حيث كانت دار ملكهم وتسمى أيضا إصطنبول .انظر: معجم البلدان: (٣٤٧/٤).

فافتتحها وابنه فساروا إلى رمطة[2] فأعطوه الجزية ثم عبر إلى عدوة البحر وسار في بر الإفرنج ودخل قلورية[3] عنوة[4] فقتل وسبى ثم رجع إلى صقلية[5] ورغب منه النصارى في قبول الجزية فلم يجب إلى ذلك ثم سار إلى كسنتة[6] فحاصرها واستأمنوا إليه فلم يقبل)[7].

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي فلقد تعددت الروايات في شأن الأمير الأغلبي وسيرته إلا أن البستاني انتقى منها ما وصف دموية هذا الرجل، فقد روى ما ذكر في هذه المادة ابن خلدون[8] في مقدمته [9]غير أن ما نقله ابن الأثير[10] عن الأمير الأغلبي ومواجهاته مع الفرنج لا يتفق مع ما ذكره ابن خلدون حيث قال ابن الأثير: " وسار إلى كسنته فجاءته الرسل منها يطلبون الأمان فلم يجبهم وكان قد ابتدأ به المرض وهو علة الذرب[11] فنزلن العساكر على المدينة فلم يجدوا في قتالها لغيبة الأمير عنهم فإنه نزل منفرداً لشدة مرضه وامتنع منه النوم ثم توفي "[12]، وليس في هذه الرواية الأخيرة شيء مما ذكره البستاني في شأن القتل والسبي.

[1] - هو زيادة الله الأصغر بن أبي إبراهيم بن أحمد الأغلبي تولى السلطة في دولة الأغالبة بعد أبيه فجرى على سنن سلفه ولم تطل أيامه حيث توفي لحول من ولايته. انظر: تاريخ ابن خلدون (٤ /٢٥٧).

[2] - قلعة حصينة بجزيرة صقلية. انظر: معجم البلدان (٣٤٠/٢) .

[3] - جزيرة شرقي صقلية .انظر: معجم البلدان (٣ /٤٣٢) .

[4] - ومنها العاني وهو مأخوذ من الذل والخضوع . انظر : لسان العرب (١٠٢/١٥) .

[5] - وهي جزيرة من جزائر بحر المغرب قريبة من القيروان والمهدية. انظر: الأنساب (٣ /٥٤٩).

[6] - من مدن صقلية التي كانت في حوزة الروم ثم غزاها الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي. الكامل في التاريخ (٢٥٧/٦) .

[7] - انظر : دائرة المعارف (٢١٠/١).

[8] - هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي. ولد سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، برع في علوم شتى ومن مصنفاته التاريخ الكبير. مات في رمضان سنة ثمان وثمانمائة . انظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة (١٥٤/١).

[9] - مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (٤/ ٢٦٠ و ٢٦١) دار القلم – بيروت- الطبعة :الخامسة – ١٩٨٤م .

[10] -أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب عز الدين صنف في التاريخ كتابا كبيراً سماه الكامل ابتدأ فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو من خيار التواريخ. انظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (٣/ ٣٤٨).

[11] - الذرب بتحريك الذاء الذي يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه، لسان العرب (٣٨٥/١) .

[12] - الكامل في التاريخ : أبو الحسن على بن أبي الكرم بن محمد الشيباني ابن الأثير، تحقيق عبدالله القاضي (٢٥٧/٦)، دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢-١٤١٥هـ.

أما ما ذكره ابن خلدون من جور الأغلبي وسفكه للدماء فربما استقاه من بعض كتب المؤرخين العبيديين المعادين للأغلبي كرواية الرقيق[1] في حين امتدح ابن الأثير سيرته وأثنى عليه خيرا ونتيجة لهذا لا نسلم للبستاني فيما ذكره في سيرة الأغلبي، والحق في ذلك ما قيل في كتاب (إفريقية في عهد إبراهيم الأغلبي): من أن جمع من المؤرخين تضاربت أقولهم في الحديث عن سيرة الأمير إبراهيم وخروجاً من هذا التضارب فالحقيقة " أنه ينبغي التمييز بين حياته العامة وحياته الخاصة .. إذ أنه يعتبر من وجهة النظر العامة رجل دولة من الطراز الأول فهو نجح في سياسته العامة في جميع الاتجاهات ..... وقد عرف بأنه راجح العقل بعيد النظر ، تواقاً للقيام بجليل الأعمال ..... وأما حياته الخاصة فبالرغم من طابع الاستبداد الذي اتسم به حكمه إلا أنه لم يكن حكما غاشماً فقد كان هدفه الأسمى الذي عمل على تحقيقه بكل قواه هو الحفاظ على سلامة دولته وضرب كل عابث مهما علا قدره بيد من حديد فمصلحة الدولة والرعية فوق كل اعتبار "[2].

- وقال في (مادة : أبو ثوب)[3]": أن الإسلاميين غلبوا أبا ثوب على الجزيرة بعد أن أسروه . ثم دخلوا الجزيرة وبنوا موضع الكنيسة جامعا وأسلم أبو ثوب حينئذ " [4].

أورد البستاني في هذه المادة رواية مكذوبة لا أصل لها كي يحكي صورة من الاستبداد بذوي الديانات الأخرى ورغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي، ففي هذا النص يبدوا للقارئ أن الإسلاميين كما يدعي أكرهوا أهالي الجزيرة (تنيس)[5] على الدخول في الإسلام بدليل بناء المسجد موضع الكنيسة، وهذه من المغالطات والمبالغات التي وردت في هذه الدائرة فقد وجدت في كتاب فتوح الشام ما يعارض هذا النقل حيث قال " وأحضر أبا ثوب وعرض عليه

---

[1] - (الرقيق القيرواني) (٤١٧هـ-١٠٢٦م). إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم من القيروان وله تصانيف كثيرة منها كتاب تاريخ إفريقية والقيروان في عدة مجلدات وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك في أربع مجلدات وكتاب قطب السرور في وصف الخمور فضح العالمين فيه . انظر: فوات الوفيات (٩٧/١).

[2] - إفريقية في عهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي قراءة جديدة تكشف افتراءات الفاطميين : الدكتور ممدوح حسين – دار عمار – الأردن - ط١ - ١٤١٧هـ -١٩٩٧م .

[3] - كان أبو ثوب هذا من أرض العريش من متنصرة العرب من آل غسان . فتوح الشام (٩٠/٢) وانظر دائرة المعارف العربية (٢/ ٦٤) .

[4] - دائرة المعارف العربية (٢ /٦٥) .

[5] - هي بلدة من بلاد ديار مصر في وسط البحر والماء بها محيط وهي كور من الخليج وسميت بتنيس بن حام بن نوح وهي من كور الريف كان بها ومنها جماعة من المحدثين والعلماء . الأنساب (٤٨٧/١) .

الإسلام فأسلم وأسلم معه من الأسرى أناس وأبى منهم ناس وبقوا على دينهم وقرروا عليهم الجزية ودخل المسلمون في المراكب إلى تنيس وبنوا موضع الكنيسة جامعاً "[1] فكان إسلام أبي ثوب قبل بناء المسجد لا بعده وحيث ثبت ذلك فالربط بين إسلامه وبناء المسجد موضع الكنيسة مبني على أصل فاسد وهو مزاعم ممارسة الإكراه على اعتناق الدين الجديد . وفيما يتعلق بمسألة هدم الكنائس فليس من ديدن أهل الإسلام فعل ذلك إلا عند فتح البلاد عنوة وبالقوة وأما صلحاً فتبقى ولا تهدم[2] فإن أعطوا العهد لأهل البلد بالكف عن ذلك فعلوا .

والتاريخ الإسلامي يشهد بالتزام الأمراء والعلماء بمبادئ هذا الدين الحنيف الذي يلزم بالوفاء بالعهود وعدم التعدي على أهل الذمة في بلاد المسلمين، ومن شواهد التاريخ على مراعاتهم لتلك العهود ما كان من أمر الملك الأيوبي نور الدين[3] حيث عزم على هدم كنيسة للنصارى ببيت المقدس وأن يجعلها دكاً لتنحسم مادتهم هناك " فقيل (له) إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ولو كانت قاعاً صفصفاً وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بأيديهم ولك في ذلك أسوة ، فأعرض عنها وتركها على حالتها تأسيا بعمر رضي الله عنه "[4].

- و في (مادة : تنيس) : أعاد البستاني حديثه عن فتح هذه المدينة فقال : " سار إليها المسلمون وكانت بينهم حروب آلت إلى انهزام أبي ثور[5] فدخلها المسلمون وجعلوا كنيستها جامعاً "[6].

لجأ البستاني هنا إلى أسلوب الإيهام والتعميم على القارئ حيث ذكر حادثة فتح تنيس مرة أخرى بإيراد رواية ثانية تبين أن مسمى والي تنيس هو (أبو ثور) وليس أبي ثوب وكان

---

[1] - فتوح الشام : أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (٩٦/٢) دار الجيل بيروت .

[2] -أحكام أهل الذمة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي تحقيق : يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري (٣ / ١١٩٥) دار ابن حزم - الدمام - بيروت الطبعة : الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

[3] - صاحب الشام الملك العادل نور الدين ناصر أمير المؤمنين تقي الملوك ليث الإسلام أبو القاسم محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي بن الأمير الكبير آقسنقر الملكشاهي، مولده في شوال سنة إحدى عشرة وخمس مئة، كان نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد قل أن ترى العيون مثله، توفي في شوال سنة تسع وستين وخمس مئة سير أعلام النبلاء (٥٣١/٢٠).

[4] -البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء(١٢/ ٣٢٧) ، مكتبة المعارف – بيروت.

[5] -هو رجل من بني عامر بن صعصعة من العرب المتنصرة، والذي يظهر لي أنه أبو ثوب الذي ترجمت له في مادة (أبو ثوب) . انظر : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب (١ /٢٤) .

[6] - دائرة المعارف العربية (٦ / ٢٣٩)

الأجدر به أن يتحرى الدقة في النقل وعدم الإيهام والاكتفاء برواية واحدة ، إذ يبدوا للقارئ أن ما ذكر في المادتين ليس بينهما أي علاقة وأنهما حدثان منفصلان ولتأكيد إيهامه أخبر بإسلام أبي ثوب في المادة الأولى ولم يتحدث عن أن أبا ثور المذكور هنا في ماد (تنيس) قد أسلم ، فالملاحظ إذن تلاعبه بالروايات حيث أراد من تكرار هذا الفتح تأكيد وتقرير مبدأ الإكراه الذي وسم الفاتحين المسلمين به كقوله هنا (وبنو موضع الكنيسة مسجدا) وإن كان الخبر صحيحاً كما أشرنا في مادة (أبو ثوب) السابقة إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أن إيراد مثل هذه العبارة عن الفتوحات الإسلامية ليس عبثاً أو مجرد نقل للأحداث فهو بأسلوبه الماكر يشير بهذا إلى أن الفاتحين يتخذون من هدم الكنائس وتحويلها إلى مساجد نوع من أنواع التضييق والضغط، وذلك ليترك الناس الدين السابق ويجدوا أنفسهم مرغمين على الدخول في الدين الجديد ؟!

- وقال في (مادة : أحمد بن محمد ألأغلبي[1]) :فانهزم البربر[2] وقتل منهم خلق كثير وأرسل زيادة الله الخيل في آثارهم فقتل من أدرك منهم وأسر جماعة فضربت أعناقهم وأحرق ما كان في عسكرهم فأذعنوا وأدوا الطاعة وأعطوا ما عليهم "[3].

انتهج البستاني هنا أسلوب التجاهل وبتر القصة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي حيث لم يورد هنا سبب قتال أحمد الأغلبي للبربر تجاهلاً منه وتعمداً لإخفاء الحقائق وهو نص لا نفهم منه إلا أمراً واحداً وهو أن الفاتحين مارسوا أسلوب القهر والاضطهاد ضد خصومهم البربر بينما وجدت بيان ذلك الحدث جلياً في كتاب الكامل حيث قال :" كانت بين البربر وعسكر إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب وقعة عظيمة في جمادى الآخرة، وسببها أن البربر امتنعوا على عامل طرابلس من أداء عشورهم وصدقاتهم وحاربوه فهزمهم فقصد البلدة فحصنها ..... وأسر جماعة فضربت أعناقهم وأحرق ما كان في عسكرهم فأذعن البربر بعدها

---

[1] - هو أبو إبراهيم أحمد بن أبي العباس محمد بن الأغلب تولى إمرة الدولة الأغلبية عقب أبيه فأحسن السيرة وكان مولعا بالعمارة فبنى بأفريقية نحوا من عشرة آلاف حصن وتوفي آخر سنة تسع وأربعين لثمان سنين من ولايته . انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٥/ ١١٧) وانظر : دائرة المعارف (٥٨١/١) .

[2] - بلادهم بين الحبشة والزنج ،على ساحل بحر الزنج وبحر اليمن، ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم، قيل هم ولد فاران بن عمليق بن يلمع بن عابر بن سليخ بن لاوذ بن سام بن نوح ، والأكثر الأشهر أنهم من بقية قوم جالوت، وكانت منازلهم فلسطين، فلما قتل جالوت تفرقا إلى المغرب ..انظر: تاج العروس (١٦١/١٠) .

[3] - دائرة المعارف (٥٨١/١-٥٨٢) .

وأعطوه الرهن وأدوا طاعتهم "[1] وبهذا يتضح سبب القتال الذي نــشب بــين أحمــد الأغلبــي والبربر وليس في ذلك ما يشعر أن الأغلبي أحدث القتال دون مبرر بل إن الشريعة أباحت قتال من يعطل فرائض الدين .

- وقال في (مادة : إفريقية) : ولما قامت الحركة الإســلامية التــي هاجــت بهــا العــرب المستعربة في براري الحجاز شعر بثقلها الحميريون[2] (من يهود ونــصارى وصــابئة[3]) أصحاب اليمن وأخوة غرب إفريقية لما وقع عليهم من الاضطهاد ، فالذين لــم يتــدينوا منهم بالإسلام هربوا مارين من باب المندب ولجئوا إلى الحبشة.... فهزموا عقبــة بــن نافع [4]المشهور ثم خضعوا وأسلموا إلا أن أكثرهم عصى.. وآثروا سائر المــذاهب علــى الإسلام ، لكن صدمة المسلمين زعزعتهم فانقضوا على أسبانيا وتبعهم العرب واستمرت بينهم الحروب في ذلك الميدان الجديد "[5].

أورد البستاني هنا رواية مكذوبة مبالغ فيها بل لا أصل لها كي يحكــي صــورة مــن الاستبداد بذوي الديانات الأخرى ورغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي، حيث ذكر في هــذه المادة سلسلة من الأحداث التاريخية المملوءة بالمفتريات والمبالغات، مصوراً خلالها بأسلوبه البراق أن اضطهاد الشعوب ولد مع بدء تلك الفتوحات كما حدث لليهود والنصارى والــصابئة أصحاب اليمن إلا أن ثمة وقائع تاريخية تعارض ما ذكره البستاني ومنها وصية رسول الله ﷺ لبعوثه إلى اليمن، حيث جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث (معاذ

---

[1] - انظر : الكامل في التاريخ : أبو الحسن الشيباني تحقيق عبد الله القاضي، (٦/ ١٣٢) دار الكتب العلمية – بيروت - ط٢ - ١٤١٥هـ .

[2] - هذه النسبة إلى حمير وهي من أصول القبائل، نزلت أقصى اليمن، قال الدارقطني : حمير القبيل الذي ينسب إليه الحميريون من اليمن، انظر الأنساب للسمعاني (٢/٢٧٠) .

[3] - أختلف في شأنهم فقيل هم صنف من أهل الكتاب وقيل أن أصل اعتقادهم تعظيم الكواكب السبعة وعبادتها واتخاذها آلهة وهم عبدة الأوثان في الأصل. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٣٢٨).

[4] - هو عقبة بن نافع القرشي الفهري الأمير نائب إفريقية لمعاوية وليزيد وهو الذي أنشأ القيروان وأسكنها الناس وكان ذا شجاعة وحزم وديانة لم يصح له صحبة شهد فتح مصر واختط بها قتل رحمه الله سنة ٦٣. أنظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٢)

[5] - دائرة المعارف العربية (٤/٤٥) .

بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس) [١]. ومحال على الصحابة رضي الله عنهم مخالفة وصية رسول الله في دعوة أهل اليمن حيث لم تذكر كتب التاريخ هجرة من هذا النوع فراراً بالدين من جور المسلمين إلى بلاد الحبشة ، أما حديثه عن إخضاع أهل الحبشة وغيرها من بلاد أفريقية للإسلام فقد أورد القرطبي [٢] في كتابه جوامع السير ما يدل على أن الإسلام انتشر في أفريقية سلماً أكثر منه انتشاراً بالقتال حيث قال في فتح أفريقية : " وفي سنة خمسين من الهجرة بعث إليها عقبة بن نافع فاختط مدينة القيروان [٣] وسكن المسلمون أفريقية وافتتح أعمالها وأسلم البربر وكانوا نصارى وفشا الإسلام إلى أن اتصل ببلاد السودان وبالبحر المحيط " [٤].

أما المواجهات التي حدثت في فتوحات عقبة بن نافع رضي الله عنه لتلك البلاد فسببها أن أهلها " إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتد من أسلم ثم رأى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد " [٥].

وبهذا تبطل دعاوى فرار أهل اليمن بدينهم إلى بلاد إفريقية طلبا للنجاة من سطوة الفاتحين وما ساقه البستاني من أحداث الفتوحات في إفريقية ففي كتب التأريخ ما يعارضه.

---

[١] - صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. (٦ / ٢٦٨٥) .

[٢] - هو ابن حزم الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي اليزيدي القرطبي الظاهري صاحب التصانيف كان جدهم خلف أول من دخل إلى الأندلس ولد أبو محمد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة وعاش اثنتين وسبعين سنة انظر : تذكرة الحفاظ (١١٤٦/٣) .

[٣] - القيروان معربٌ، وهو بالفارسية كارَوان، وهي مدينة بإفريقية مصرت في الإسلام في عهد معاوية ﷺ، انظر معجم البلدان (٤٥٢/٣و ٤٥٣) .

[٤] - جوامع السير : أبو محمد علي بن أحمد القرطبي الظاهري ، (١ /٣٤٤).

[٥] - الكامل في التاريخ: أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، (٣٢٠/٣)، دار الكتب العلمية – بيروت - ١٤١٥هـ ، ط٢ ، تحقيق عبد الله القاضي .

- وقال في (مادة : إيران) : يصف معارك المسلمين مع الفرس : " فانكسر الفرس وولوا مدبرين أما ملكهم[1] فالتجأ إلى ولاية الشرقية وظل يتنقل فيها عدة سنين من مكـان إلـى آخر إلى أن قتل .. سنة ٦٥١م وبذلك انقرضت دولة الساسانيين[2] ومحق دين المجوس[3] وبعد ملاحم هائلة أكره الأهالي بحد السيف على اعتناق الإسلام ولم يحافظ مـنهم علـى الدين القديم إلا جماعة قليلوا العدد مضطهدون لا أهمية لهم "[4].

أورد البستاني هنا رواية مبالغ فيها بل هي مكذوبة لا أصل لها كي يحكي صورة مـن الاستبداد بذوي الديانات الأخرى ورغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي، حيث أشار في هـذا النص إلى أن الغرض الأساس من قتال الصحابة رضي الله عنهم للفرس محق دين المجـوس وإكراه الناس بحد السيف على الدخول في الإسلام، وهي فرية افتراها على الفاتحين المسلمين أن الأمر في حقيقته ليس كما ذكره البستاني هنا، ففي كتاب فتوح الـشام بـيّن الواقـدي أن الفاتحين المسلمين لبلاد الفرس وبإمرتهم سعد بن أبي وقاص قد بدا منهم حسن المعاملة لمّـا قبل جمع من الفرس الدخول في ذمم المسلمين، وحين قسم سعد الغنائم على المسلمين ووقف القتال " أنزل كل واحد منهم داره فلما رأى أهل البلد ذلك منه وما صنع مع هؤلاء دخـل فـي دين الإسلام منهم ألوف اقتداءً بالقوم "[5] ، مما يدل على انتشار الإسلام في تلك البلاد طواعيـة ، أما تلاشي دين المجوسية فلا يقتصر سببه على الفتوحات وينبغي عدم إغفال دور الهجـرات الجماعية والنزوح العربي إلى تلك البلاد مما كان له أثره في انتشار الإسلام،لاحظ ما جاء فـي كتاب تاريخ إيران بعد الإسلام: " فإن قادة الخلفاء الراشدين والأمويين وولاتهم الـذين كـانوا عرباً ويعتمدون على قومهم أساساً، كانوا غالباً يرحلون جمعاً كبيراً من قبائل الجزيرة العربية

---

[1] - هو يزدجرد الثالث آخر ملوك الدولة الساسانية . قتل سنة إحدى وثلاثين للهجرة : أنظر تاريخ الطبري (٢ / ٦٢٠) .

[2] - هم أسلاف الفرس ويرجع تسمية الساسانيين إلى ساسان بن بابك وهو جد أردشير بن بابك، وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذي يرجعون إليه كرجوع المروانية إلى مروان بن الحكم، وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب، ولم يل الفرس الثانية أحد إلا من ولد أردشير بن بابك هذا . انظر: مروج الذهب (١٠٣/١) .

[3] - من معتقداتهم أن العالم صادر عن أصلين النور والظلمة والنور عندهم هو إله الخير المحمود والظلمة هي الإله الشرير المذموم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٥١/١) .

[4] - دائرة المعارف العربية (٧٣٥/٤) .

[5] - فتوح الشام (٢ /٢٠٥) .

معهم ويسكنونهم إيران حتى يستمدوهم حين يلزم الأمر ، وقد نشر هؤلاء الإسلام والتقاليد العربية في الشرق "[١].

- وقال في (مادة : تيبو صايب[٢]) : " وحينئذٍ اتخذ لقب سلطان وبادشاه وقهر ثواره وأخذ من تلك الولاية فيما قبل سبعين ألف مسيحي وأكره ١٠٠ ألف هندي على الإسلام"[٣].

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة واختلاق الأكاذيب رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي، فقد زعم البستاني أن السلطان تيبو أخذ سبعين ألف مسيحي وأكره مائة ألف هندي على الإسلام وهو قول لا صحة له بل إن الحقائق التاريخية تثبت أن الفترة التي عاشها سلطان تيبو فترة عراك مع الصليبين الإنكليز الذين قدموا بعد تنازل البرتغاليين عن الهند عام ١٧٨٥م، آلت إلى القضاء على السلطان واستشهاده عام ١٧٩٩م، واستطاعت القوات الإنكليزية أن تجابه الثوار، فقد اضطهد المسلمون عقب فشل الثورة وصودرت أملاكهم وهدمت مساجدهم أو أصبحت ثكنات للجيوش وشرّد المواطنين ورحب الهندوس بالاستعمار فتسلموا الوظائف وقتلوا المسلمين .... "[٤].

فلماذا يتعمد البستاني إخفاء هذه الحقائق التي تظهر مدى حقد المستعمر على الإسلام والمسلمين ؟! ويستعيض عن ذلك باختلاق الأكاذيب والقصص الزائفة.

- وفي(مادة : سومطرة) : قال " والدين الغالب في سومطرة الآن دين الإسلام "[٥].

انتهج البستاني هنا أسلوب التجاهل وبتر الأحداث، فهنا لم يتطرق إلى بيان علة وصول الإسلام لتلك المنطقة متعامياً عن ذكر الحقائق التي تبطل دعاوى أعداء الإسلام من أنه انتشر بحد السيف وبحده فقط، لأن استرساله في ذلك لا يخدم رؤيته حول قضية موقفه من

---

[١] - تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة الفاجارية ٢٠٥ هـ - ٨٢٠م ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥م، ص٩، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه د. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع ش سيف الدين المهراني _الفجالة ١٩٨٩م .

[٢] - أحد ملوك الهند طلب من العثمانيين دعمه لمواجهة المستعمرين الإنكليز حوالي العام ١٢٠٢هـ وبقي في محاربتهم إلى أن ظفروا به وقتلوه وثلاثة من أولاده. انظر: عجائب الآثار: (١/ ٤٨٤) .

[٣] - دائرة المعارف (٢٨٢/٦) .

[٤] - انظر تاريخ العالم الإسلامي الحديث المعاصر (٩٨٧هـ - ٤٠٠هـ / ١٤٩٢م – ١٩٨٠م) ج١ ، ص ٣٢٢- ٣٢٣، إعداد إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، دار المريخ للنشر المملكة العربية السعودية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

[٥] - دائرة المعارف العربية (١٠/ ٢٤٥).

المد الإسلامي، فإن دخول أهالي تلك البلاد ليس وليد حرب ولم يصل إليها جيش فـــاتح وإنمـــا كان بالطرق السلمية كما هو الحال في بلدان أخرى من العالم وذلك لكونه دين رباني موافـــق للفطر السليمة ارتضى الله تعالى أن تدين به البشر يقول الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)[1] ولعل الباحث في كتب التاريخ يجد أن الإسلام في سومطرة تحديداً وما جاورها من البلدان قد انتشر فيها " عن طريق التجارة من الجانبين يلتقون في موانئ الخلـــيج العربي لتبادل التجارة ، وبهذا حل الإسلام محل الوثنية"[2].

تلك بعض النصوص الواردة في دائرة البستاني أشار فيها إلى تعزيـــز فكـــرة انتـــشار الإسلام بحد السيف وإكراه الناس على الدخول في دين الإسلام مستشهداً بوقائع تاريخيـــة قـــد غيبت فيها بعض الحقائق عند إيرادها.

ندحض هذه الشبهة [شبهة انتشار الإسلام بحد السيف] بأمور منها :

أولاً/ اقتضت سنة الله في الخلق بأن يدفع الله الباطل بالحق ولولا ذلك لفسدت الأرض قال تعالى (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)[3]، لذلك شُرع الجهاد في ســـبيل الله.

ثانياً/ الإسلام فاتح بذاته لتناسقه مع الفطرة السليمة ؛ لذلك رأينا إقبال أمم عليه دون الحاجة للقتال كما حدث في بلدان شرقي آسيا وغيرها، ومن ينكر حقائق كهذه فهـــو مغالط معاند .

ثالثاً/ الدعوة للإسلام بالحسنى أمر دعا إليه الله تعالى فقال: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).[4] وفيه رد على من يربط بين دين الإسلام ولغة السيف.

رابعاً/ كانت هناك رسائل للملوك والأمراء لدعوة للإسلام قبل اللجوء إلى القتال ،لأنه ليس من سياسة الإسلام فرض تعاليمه بالقوة والإكراه وكذلك ففـــي أثنـــاء " وجـــود

---

[1] - سورة الروم آية ٣٠.

[2] - انظر تاريخ العالم الإسلامي الحديث المعاصر (٩٨٧هـــ - ٤٠٠هـــ / ١٤٩٢م – ١٩٨٠م) . (٢٨٥/١) .

[3] - سورة البقرة آية ٢٥١ .

[4] - سورة العنكبوت آية ٤٦ .

الرسول ﷺ في المدينة في بداية الدولة الإسلامية دعا إلى الإسلام بالحسنى والموعظة الحسنة للدول المجاورة، فقرر إرسال رسائل إلى الأمراء والملوك، فبعث بعضاً من رسله في بداية السنة السابعة للهجرة يدعوا أمراء وملوك الدول المجاورة يقنعهم بالدخول في الإسلام "[١].

خامساً/ تبطل دعوى تخيير الناس بين السيف أو الإسلام بما ذكرته سابقاً مما صح عن النبي ﷺ في وصيته لأمير الجيش :" وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ... "[٢]

سادساً/لا يرغم الإسلام الناس على أن يعتنقوه تلك حقيقة يقررها ربنا تبارك وتعالى حيث قال :(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[٣]. ولقد" أجمع أهل العلم على أن الذمي[٤] إذا قام على ما هو عليه والمستأمن[٥] لا يجوز نقض عهده ولا إكراهه على ما يلتزمه ..... وفارق الحربي والمرتد فإنه يجوز قتلهما وإكراههما على الإسلام "[٦].

كما أنه أنكر على من يكره الناس ليدخلوا فيه لقوله جل وعز :(أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)[٧]. وغاية الأمر استغراق الوسع في البيان والبرهان : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)[٨] وقال تعالى :(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)[٩] ، فلا مجال لمدع أمام هذا المنهج الإلهي أن يدعي أن الإسلام يجبر الناس على قبوله وأنه ما كان له أن ينتشر لولا حد السيف. وذلك والله من عظيم الافتراء على الإسلام وأهله.

---

[١] - انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء . نبيل لوقا بباوي ، ص٧٥ .

[٢] - سبق تخريجه ص ٢٥ .

[٣] - سورة البقرة آية ٢٥٦ .

[٤] - رجل ذِمِّيٌّ أي له عهد ، والذمة العهد منسوب إلى الذِّمَّة . ومن معانيها الأَمان . انظر : تهذيب اللغة (٢٩٩/١٤) .

[٥] - المستأمن من الاستيمان وهو طلب الأمان من العدو حربيا كان أو مسلما ونبذ العهد نقضه . أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (١٨٥/١) .

[٦] - المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (١/ ٩٦) دار الفكر بيروت ، ط ١٤٠٥ هـ .

[٧] - سورة يونس آية ٩٩ .

[٨] - سورة الغاشية آية ٢١ و٢٢ .

[٩] - سورة الكهف آية ٢٩ .

٣ - شبهة فتوحات الإسلام من أجل الحصول على الغنائم والمطامع المادية:

- قال في مادة (أرسلان أرغو[١]) : " فوصل إلى مدينة نسا [٢] ،فانصرف النائب بها ودخلها أرسلان فقتل من الديلم الذين بها ألف رجل من الجند وكثيراً من العامة ، ونهب ألف ألف دينار وأسر ثلاثة آلاف إنسان ، وكان بذلك إتمام فتح بلاد فارس "[٣].

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي ولم أجد هذا النقل بتمامه في كتب التاريخ ، وقد لاحظت فيه مبالغة شديدة حينما ذكر ما حازه الفاتحون من الغنائم والأسرى ، ففي تاريخ ابن خلدون قال " ثم بعث السلطان طغرلبك[٤] أرسلان ابن أخيه .. إلى بلاد فارس فافتتحها سنة ثنتين وأربعين واستسلم من كان بها من الديلم[٥] .. وبعث إليه القائم بأمر الله بالخلع والألقاب وولاه على ما غلب عليه .." [٦] وبهذا النص يتبين لنا أنه لا مستند لما ذكره البستاني في هذه المادة ولم أجد ما يثبت هذه المزاعم.

- وقال في (مادة: أحمد بن كيغلغ)[٧] : "غزا أحمد الروم من طرطوس[٨] .. وسار إلى الليس[١] وهو ظافر فغنم أصحابه خمسين ألف رأس وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة وانصرفوا سالمين"[٢].

---

[١] - ألب أرسلان بن جغري بك واسمه داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق بن سلجوق . وكان ملكا عادلا مهيبا مطاعا معظما . ولي السلطنة بعد وفاة عمه طغرلبك بن سلجوق في سنة سبع وخمسين وأربعمائة. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٦٠/٣١) وانظر : دائر المعارف العربية (٩٢/٣) .

[٢] - وهي مدينة بخراسان ، كان سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها فبلغ أهلها فهربوا ولم يتخلف بها غير النساء فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجلا فقالوا هؤلاء نساء والنساء لا يقاتلن فننسأ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن فتركوها ومضوا ، والنسبة الصحيحة إليها نسائي ، وقد خرج منها جماعة من أعيان العلماء منهم الإمام النسائي القاضي الحافظ صاحب كتاب السنن وكان إمام عصره في علم الحديث . معجم البلدان (٢٨٢/٥) .

[٣] - دائرة المعارف العربية (٩٢/٣).

[٤] - هو طغرلبك أبوطالب محمد ، يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الأتراك السلاجقة في إيران والعراق ، كان ذلك في العام ٤٢١هـ،١٠٣٠م . انظر : السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري .

[٥] - الديلم ينسب إليها ديلمان بلغة الفرس وهي من قرى أصبهان بناحية خرجان وينسب إليها أيضاً الديلماني انظر : معجم البلدان (٢ /٥٤٤).

[٦] - تاريخ بن خلدون (٤٥٥/٣).

[٧] - أحمد بن كيغلغ أبو القاسم أخو إبراهيم المقدم ذكره ولاه الراضي بالله ونفذه إليها وعمره ثمانون سنة وكان أديبا شاعرا . الوافي بالوفيات (١٩٧/٧) .

[٨] - بلدة بالشام مشرفة على البحر قرب المَرْقَب وعكَا : معجم البلدان (١٦١/٣) .

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي فهنا نلاحظ مبالغته في ذكر ما حازه المسلمون من غنائم حين أوقعوا بالروم ، وقد ذكر الإمام الطبري[3] ما يعارض كلامه فيما يتعلق بالغنائم التي تحصل عليها المسلمون عقب هذا الفتح حيث قال :" فتح الله عليهم وصاروا إلى آلس فحصل في أيديهم نحو من خمسة آلاف رأس وقتلوا من الروم مقتله عظيمة وانصرفوا سالمين " [4] ، والظن بمثل هذه المبالغات التي يوردها البستاني ولدى المؤرخين القدامى ما يخالفها الإساءة إلى أولئك الفاتحين العظماء ، إذ نفهم منها مدى نهمهم الشديد للحصول على المغانم وكأنهم ليسوا أصحاب رسالة سامية يجودون بأنفسهم من أجلها .

- وقال في مادة (أندلس)[5] : " وكتب طارق[6] إلى موسى[7] بالفتح والغنائم فحركته الغيرة وكتب إلى طارق يأمره ألا يتجاوز مكانه حتى يصل إليه "[8]

انتهج البستاني هنا أسلوب التجاهل وبتر القصة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي وسير الفاتحين، وهنا غلط ينبغي عدم الوقوع فيه عند قراءة هذه المادة، فالقائد المجاهد موسى بن نصير رحمه الله لم تتحرك غيرته لأجل ما فاته من الغنيمة وحسب، فبالنظر في أحداث هذا الفتح المبين من خلال كتب التاريخ يجد القارئ أن الدافع الحقيقي ليس كما يظن البعض فما حازه طارق من غنيمة فمرجعه إلى سيده لكون طارق نفسه مملوكاً لموسى و

---

[1] - أسمها الصحيح (آلس) بكسر اللام. اسم نهر في بلاد الروم وآلس هو نهر سَلوقيه قريب من البحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم : معجم البلدان ، (٢٧/١) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٥٨١/٢).

[3] - محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد عالم العصر أبو جعفر الطبري صاحب التصانيف البديعة من أهل آمل طبرستان مولده سنة أربع وعشرين ومئتين وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين وأكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف. سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) .

[4] - تاريخ الطبري، أبي جعفر الطبري، (٦٦٥/٥) بيروت .

[5] -هي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث قد أحاط بها البحران المحيط والمتوسط . معجم البلدان (١/ ٢٦٢).

[6] - هو طارق بن زياد بن عبد الله وقد كان طارق عاملا لموسى، قبل محاولة الأندلس، على المغرب الأقصى. وقد اتفق الجميع فيما يظهر على أنَّه مُتولي كبر فتح الأندلس وجله ومعظمه . انظر : لبيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (١٤٠/١) .

[7] - هو موسى بن نصير المولود سنة ١٩ هـ ووفاته سنة ٩٨ هـ فكان عمره تسعاً وسبعين سنة وفي سنة ٨٨ هـ ولي أفريقية فأقام عليها أميراً وعلى الأندلس والمغرب كله نحو ثمان عشر سنة إلى أن مات . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (١/ ١٨).

[8] - دائرة المعارف العربية (٣ /٤٧٢).

ما ملكه فهو له، وإنما تحركت تلك الغيرة لفوات حظه من شرف هذا الفتح، قـــال الـــذهبي[1] " فدخل طارق واستظهر على العدو، وأمعن في بلاد الأندلس وافتتح قرطبة .. وكتب إلى موســـى بن نصير بالفتح، فحسده موسى على الإنفراد بهذا الفتح العظيم وكتب إلـــى الوليـــد[2] يبـــشره بالفتح وينسبه لنفسه، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمـــره، ويـــأمره ألا يتجـــاوز مكانه حتى يلحقه ... فتلقاه طارق وقال : إنما أنا مولاك وهذا الفتح لك " [3] وعليه فلا مـــدعاة هنا للتلاعب بالنصوص تشويهاً لرموز الجهاد في أمتنا واتهاماً لنياتهم .

- وقال في مادة (توران شاه)[4] :متحدثاً عن حربه في اليمن " وفتح قلعة بها وسبى وغـــنم وخرج إلى بلاد اليمن .... ففتح توران شاه زبيد[5] عنوة وقبض علـــى صـــاحبها وأهلـــه واستولى على ما كان في خزائنه وتسلم الحصن "[6]

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي حيث يـــصور لنا أن توران شاه نال في معاركه باليمن سبي وغنائم عظيمه، حيث اقتحم الحصن واســـتولى على خزائن مدينة زبيد، كما أعتاد من مبالغاته وتهويله للوقائع، فتوران شاه في حقيقة الأمـــر لم يحز مكاسب كبيرة في هذا الفتح ولم يبق في البلاد طويلاً، يؤيد هذا ما قاله ابن الأثير فـــي ذكره فتح توران شاه لهذه القلعة حيث قال: " فحاصرها وقاتله أهلها فلم يكن لهم بقتال العسكر الإسلامي قوة ، لأنهم ليس لهم جنة تقيهم السهام .. فسلموها فملكها وأقام فيهـــا ولـــم يـــرد

[1] -محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركمانى الأصل الفارقى ثم الدمشقى الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبى ولد في ثالث ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ ، وله مصنفات نفيسة في التاريخ والسير وغيرها مات في ليلة الثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦٦/٥) .

[2] -الخليفة أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية بويع بعهد من أبيه وقيل كان يختم في كل ثلاث وختم في رمضان سبع عشرة ختمة، وكان يقول لولا أن الله ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحدا يفعل ذلك، مات في جمادى الآخر سنة ست وتسعين وله إحدى وخمسون سنة وكان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر. سير أعلام النبلاء (٣٤٧/٤) .

[3] - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (٦ / ٢٥٥)، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، عام ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م، ط١.

[4] - الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين وأسن منه، جهزه في سنة ثمان وستين إلى بلاد النوبة فرجع بغنائم كثيرة ثم بعثه على اليمن فظفر بعبد النبي المتغلب عليها وقتله واستولى على معظم اليمن وكان بطلا شجاعا جواداً ممدحا ومعنى تورانشاه ملك الشرق . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٣/٢١) وانظر: دائرة المعارف العربية (٢٦٣/٦).

[5] - زبيد اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة وساحل المندب . معجم البلدان (١٣١/٣).

[6] - انظر : دائرة المعارف العربية (٢٦٣/٦).

للبلاد دخلاً يرغب فيه وتحتمل المشقة من أجله "[1] ألا يتوجب علـى البـستاني أن يتحـرى الصواب في نقولاته تلك ولو على سبيل ما يسمى بأمانة الكلمة.

إنه بتتبع ما كتبه البستاني في دائرته عن مفهوم الجهاد وبعض أحكامـه يجـد أنـه يخالف ما نص عليه العلماء في بيان بعض تشريعاته وأحكامه من قتال وسبي وغنائم ...

- فعلى سبيل المثال، في مادة (جهاد) قال: " وإن ملك شيئاً قبل قسمة الغنيمة فهو له مجاناً أو بعدها فهو له بالقيمة "[2].

وقوله بجواز ملك الغنيمة قبل قسمتها أمر حرمه الإسلام ولا يحق لمسلم أخذ شيء منها حتى تتم قسمتها في جملة الغنائم ، بل هذا من الغلول[3] المنهي عنه لقوله تعالى : (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[4] ، وجاء تحريم ذلك في السنة المطهرة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه فـي الصحيحين قال : " قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: " لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[5] يقول : يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شـيئاً قـد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء[6]، يقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لـك شـيئاً قـد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت[7] فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق[8] فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك شيئاً قد أبلغتك "[9]

---

[1] - الكامل في التاريخ : أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني ج (١٠) ص (٤٥ و ٤٦) .

[2] - دائرة المعرف العربية (٦ /٤٧٤).

[3] - وهو الخيانة في المغنم والسرقة في الغنيمة وكل من خان في شيء خفية غل .... انظر لسان العرب (٤٩٩/١١) .

[4] - سورة آل عمران ١٦١.

[5] - صوت الفرس عند العلف وهو دون الصهيل ، انظر فتح الباري (٦ /٢٢٩) .

[6] - صوت البعير يسمى رغاء، انظر فتح الباري (٦ /٢٢٩).

[7] - أي الذهب والفضة وقيل ما لا روح فيه ، انظر فتح الباري (٦ /٢٢٩) .

[8] - تقعقع وتضطرب إذا حركتها الرياح وقيل معناها الثياب وقيل غير ذلك، انظر فتح الباري (٦ /٢٢٩).

[9] - صحيح البخاري كتاب الجهاد ، باب الغلول وقول الله تعالى (ومن يغلل يأت بما غل) (٣/ ١١١٨) دار بن كثير – بيروت ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

- وفي مادة (بهنسى[بهنسا][1]) قال البستاني متحدثاً عن فتح المسلمين لهذه المدينة : " والتقى جرير الحميري[2] بأحد البطارقة[3] فقال له البطريق ألم تكتفوا بما فعلتم حتى أتيتيم مدينتنا التي طلبها قبلكم الفراعنة والجبابرة والقبط[4] والقياصرة[5] والأكاسرة[6] والجرامقة[7] ورجعوا خائبين، وأنتم دخلتم بلادنا وقتلتم رجالنا ونهبتم أرضينا، فقولوا ما الذي تريدون فنعطيكم وترحلون عنا. فقال جرير: نريد الجزية أو الحرب وليس لنا غرض بالمال، فغضب البطريق "[8]

أورد البستاني هنا القصة مبتورة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي وقد أوجز في نقل المحاورة التي دارت بين الحميري والبطريق، وأحسب أن ما فعله هنا يتسق مع ما ذهب إليه في ذكر نصوص أخرى من أن دافع الفتوح الإسلامية مجرد أطماع دنيوية ومحاولة لفرض الهيمنة ليس إلا أما حقيقة تلك المحاورة التي دارت بين جرير والبطريق فكما ذكرها الواقدي[9] في فتوح الشام وبها نرد على مزاعم البستاني ، فقد كان جواب جرير الحميري للبطريق قوله: " أفرغت من كلامك، فقال له نعم قال له جرير: خذ جوابك، أما قولك كنا في ضيق حال فهو كما ذكرت ولكن الله أنعم علينا بالإسلام وهو أول نعمة ثم أمرنا بالجهاد ، وإن الله أباح لنا أموال المشركين ماداموا محاربين وأمرنا أن نجاهدكم حتى تؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، أو تسلموا أو تقاتلوا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. وأما قولك المال

---

[1] - هكذا وجدتها في كتب التاريخ .

[2] - هوجرير بن عبد الله الحميري قال بن عساكر له صحبة وجرير بن عبد الله هذا كان الرسول إلى المدينة بوقعة اليرموك. لإصابة في تمييز الصحابة (١ /٤٧٦).

[3] - والبطريق - بكسر الباء - هو كالأمير . قال ابن الجواليقي : البطريق بلغة الروم هو القائد أي : مقدم الجيوش وأميرها ، وجمعه بطارقة وقد تكلمت به العرب . البدر المنير (٩/ ١٠٧) .

[4] -القبط: طائفة بمصر قديمة، ويقال بنو قبطي بن مصر. ويقال القبط بن قوط بن حام. وقبط بطن من حمير. الأنساب للسمعاني - (٤/٤٤٤) .

[5] - ملوك الروم تسميهم العرب القياصرة والهراقل . البدء والتاريخ (٣ /٢١٠).

[6] - مفردها كِسْرَى وهو أَبو ساسان أنو شروان ملك الفرس . انظر: تاج العروس (١٦/ ١٥٧).

[7] - والجرامقة - قوم ينتهي نسبهم إلى باسل بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام وهم أهل الموصل في الزمن القديم من ولد جرموق بن آشور بن سام : نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب - (١/١٠).

[8] - دائرة المعارف العربية (٥/ ٦٤٨).

[9] - هو محمد بن عمر بن واقد الواسطي وهو من أو عية العلم ورأس في المغازي والسير ويروي عن كل ضرب مات سنة ٢٠٧هـ عاش ثمانيا وسبعين سنة رحمه الله . أنظر : تذكرة الحفاظ (١ / ٣٤٨)

فليس هو غرضنا ولا متاع الدنيا شهواتنا ... " [1] فهذا خطاب صريح لا يحتمل إليـه الـشك، يبين لنا سمو غاية المقاتل المسلم عن مطامع الدنيا. لكن البستاني أعمل فيـه يـد التحريـف بالحذف والانتقاء لتسلم له دعواه الكاذبة.

- وفي مادة (العبرانيون)[2] قال البستاني : " فلما امتد ملك الإسلام شـرقاً وغربـاً وأذلـوا الفرس والرومان لم يكن للمسلمين وطأة ثقيلة علـى اليهـود..... وبـات المـسلمون وشرعهم يأمرهم أن يعاملوا بالحسنى أهل الذمة إذا دفعوا الجزية وهم صاغرون يرفعون الحيف عنهم"[3].

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة واختلاق الأكاذيب كي يحكي صورة من الاسـتبداد بذوي الديانات الأخرى ورغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي، ففي المادة الـسابقة صـور البستاني للقارئ أن الإسلام لا يوصي أتباعة بالإحسان للذمي إلا عند دفعه للجزية وهو بهـذا يضطهد خصومه ويستضعف من لا يدين به ، وهي دعاوى باطلة يكذبها التاريخ ولقد تـشبث كثير من المستشرقين بعبارة الصغار الواردة في كتاب الله تعالى فـي عـدد مـن النـصوص وجعلوها دليلهم على موقف الإسلام المتعنت والرافض لفكرة قبول الأديان الأخرى، وإلا لمـاذا قرن الإسلام وجوب دفع الجزية لمن لم يسلم بحال الصغار، وهاهو البستاني يسير علـى تلـك الخطى مؤصلاً لهذا المفهوم. وللفصل في هذه المسألة فإن كلمة الصّغار هنا تحتمل معان عدة غير ما يفهمه القارئ، وليس المعنى محصوراً في كونها تدل على الذلة والهوان واحتقار دافع الجزية لكونه غير مسلم ، ولا يرفع الظلم الواقع عليه إلا عند تأديتها. وقد ذكـر المفـسرون أقوالاً مختلفة حول معنى (الصّغار) الوارد في قوله تعالى (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [4] وفي معناه قال ابن عباس :" يعطوها بأيديهم ولا يرسلون بها ".[5]

---

[1] - انظر فتوح الشام (٢ / ٢٧٠ و ٢٧١).

[2] - قال ابن عباس رضي الله عنه : أول من تكلم بالعبرانية موسى عليه السلام وبنو إسرائيل حين عبروا البحر وأغرق الله فرعون تكلموا بالعبرانية فسموا العبرانيين لعبورهم البحر وقيل إن بخت نصر لما سبى بني إسرائيل وعبر بهم الفرات قيل لبني إسرائيل العبرانيون ولسانهم العبرانية والله أعلم. معجم البلدان (٧٨/٤) وانظر: دائرة المعارف العربية (٦٥٨/١١) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٦٧٢/١١) .

[4] - سورة التوبة آية ٢٩ .

[5] - تفسير البغوي معالم التنزيل (٢ / ٢٦٨)

وقال ابن الجوزي[1] " وفيما يكلفون من الفعل الذي يوجب صغارهم عدة أقوال وذكـر منهـا أن دفع الجزية هو الصّغار ، وقيل أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصّغار "[2].

وقال مقاتل[3] أيضاً:" يعني مذلون إن أعطوا عفواً لم يؤجروا وإن أخذوا منهم كرهاً لم يثابوا"[4] فالكلمة ذات مفهوم أوسع مما يحكيه المستشرقون الذين ملئت قلـوبهم ضـغينة بالمـسلمين ودينهم. لأنها تعنى علو كلمة الإسلام وشريعته والعزة والاستعلاء لمن يدينون به، فتحقق الذل والصغار لغيرهم بسبب الصدود عنه .

- دحض الشبهة :

للرد على دعوى أن الفتوحات الإسلامية مجرد توسعات استعمارية وبحثاً عن مكاسـب ماديـة تتمثل في الحصول على الغنائم وفرض الجزية ونحو ذلك، نقول:

أولاً/ عاش العرب فترة طويلة في فقر وجوع في وقت كانت فارس والروم تزخـران بحياة مترفة، ولم تكن لديهم أية أطماع في غزوهما، ولما جاء الإسلام كان الفتح من الله على يد الصحابة رضوان الله عنهم لا لغرض من أغراض الدنيا إلا لإعلاء كلمـة الله ونشر الدين ، فعند ملاقاة رستم[5] للمغيرة بن شعبة قبل بدء معركـة القادسـية[6] سأله رستم : ما جاء بكم؟ فأجابه المغيرة : " الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى

---

[1] -عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج من ولد الإمام أبي بكر الصديق، الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب بجمال الدين الحافظ كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير في أربعة أجزاء وله في الأحاديث تصانيف كثيرة وله المنتظم في التاريخ وهو كبير وله الموضوعات، ولد تقريبا في سنة ثمان وقيل عشر وخمسمائة وقد كانت وفاته في سنة سبع وتسعين وخمسمائة. انظر : طبقات المفسرين للداودي (١ /٢٠٨).

[2] - انظر تفسير زاد المسير في علم التفسير: عبدالرحمن بن محمد بن الجوزي (٣ / ٤٢١) المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

[3] - كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي مات سنة نيف وخمسين ومئة ،سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٢٠١.

[4] - تفسير مقاتل بن سليمان. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (٤٣/٢)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - الطبعة : الأولى - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

[5] -رستم قائد الفرس قتل أيام القادسية وكان قد أقبل بالفيلة وجموع لم يسمع بمثلها والمسلمون في عدد دون من عدد المجوس فكان الظفر للمسلمين وكان الأمير عليهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. انظر: الروض الانف (١٠٤/٤).

[6] - في آخر سنة خمس عشرة للهجرة كان يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص حيث قتل الله رستم بالعراق وذلك أن سعدا حين حسر عنه الشتاء سار يريد القادسية فسمع به رستم فخرج إليه بنفسه . انظر : تاريخ الطبري (٢/ ٤٢٨).

عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه حتى نفضي إلى موعود الله قال وما موعود الله ، قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى لمن بقي " [1].

ثانياً/ حيازة المقاتلين للمغانم التي تجمع عقب انتهاء المعركة أمر أباحه الله لهم وتلك خصيصة ليست إلا لهذه الأمة كما صح عن النبي ﷺ قوله :(وأحلت لي الغنائم)[2] ، قال العلماء كانت غنائم من قبلنا يجمعونها ثم تأتي نار من السماء فتأكلها وهو ما دأب عليه نبينا عليه الصلاة والسلام حيث قال :" بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف آمري ومن تشبه بقوم فهو منهم " [3] قال الحافظ ابن حجر : وفي الحديث إشارة إلى فضل الرمح وإلى حل الغنائم لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في غيرها من المكاسب ، ولهذا قال بعض العلماء :"أنها أفضل المكاسب " [4].

ثالثاً/ ليس من بأس في الجمع بين الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله مع الرغبة في الحصول على الغنائم ولا يتنافيان ، فقد خرج النبي ﷺ في غزوة بدر لملاقاة قافلة أبي سفيان " ودل خروج النبي ﷺ ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة لأنه كسب حلال "[5] وجاء في نيل الأوطار أن المحققين ذهبوا إلى " أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما ينضاف إليه "[6] ، أما إفراد النية من القتال بإحراز الغنائم ونحوها من حظوظ الدنيا فهو أمر يمقته الإسلام ، وقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : "الرجل يقاتل

---

[1] - تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٢٦٨ .

[2] - صحيح البخاري .كتاب الصلاة : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً (١ / ١٦٨) .

[3] - مسند أحمد بن حنبل، حديث ابن عمر رضي الله عنه ح (٥٦٦٧) (٢ /٩٢) . مؤسسة قرطبة - مصر . (صححه الألباني) .

[4] - فتح الباري لابن حجر شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٩٨/٦) دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

[5] - أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (٣٨٣/٢) ، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان .

[6] - نيل الأوطار (١١ / ٤٩٨) .

للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قـال : مـن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" [1].

وتبطل الشبهة في مشروعية الجزية في الإسلام بعدة أمور:

أولاً/ من عظيم تشريعات الإسلام أنه لا يكره أحداً على اعتناقـه، ولـذا شـرع الله الجزية لمن أراد البقاء على ملته ، وليس وجوب دفع المال مقتصر على أهل الذمـة وحسب فقد فرض الله على المسلمين تأدية زكاة أموالهم وإن كان الفرق بينهما بيّن لكن المقصود هنا نفي تعمد الإضرار بغير المسلمين ، وكان قتادة رحمه الله يقـول " خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله فإنما الناس ثلاثة رهـط ، مـسلم عليـه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله "[2].

ثانياً / لايكلف دافع الجزية فوق طاقته من المال لأنه ليس مقصود لذاته فقد تقـرر عند أهل العلم أن مدار تأديتها على ما تيسر، قيل لمجاهد رحمه الله [3]: "ما شأن أهل الشام عليهم أربعة دنانير وأهل اليمن عليهم دينار،قال :جعل ذلك من قبل اليسار "[4].

ثالثاً/ دفع الجزية من غير المسلمين ليس عقوبة لمن أبى الإسلام كما يفهم الـبعض إذ له على الدولة المسلمة حمايته وتأمينه مما يخاف وله أن ينتفع مما هيأه الله في الدولة المسلمة مساواة بين كل من يعيش في كنف تلك الدولة وعند عجزهـا عـن حماية دافعها ، وتأمين ما ينتفع به لا تؤخذ منه قسراً ، هذا مـا أقرتـه الـشريعة السامية وسأنقل إليكم نظرة أحد المنصفين من مؤرخي الغرب [5] في مـسألة الجزيـة حيث قال: " لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين – كما يريـدنا

---

[1] - صحيح البخاري .كتاب الجهاد والسير . باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٣ /١٠٣٤) .

[2] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧٩/١٠) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار الفكر - بيروت .

[3] - مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين، قال ختمت على ابن عباس تسع عشرة ختمة كلها يأمرني أكبر فيها من ألم نشرح لك، وقال سلمة بن كهيل كان مجاهد ممن يريد بعلمه الله ، وقال قتادة أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، مات سنة ثلاث ومائة وقيل سنة أربع ، ويقال مات وهو ساجد رحمه الله تعالى. انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٩٣).

[4] - صحيح البخاري ، أبواب الجزية والموادعة (٣/ ١١٥١) .

[5] - وهو سيرتوماس وأرنولد مؤرخ بريطاني (١٨٦٤م) تركزت دراساته على تاريخ الحضارة وكان من أشهر كتبه (دراسة التاريخ).

بعض الباحثين على الظن – لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عــن قبــول الإســلام ،وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين " [١]، وفي الكتاب الذي كتبه أهل الحيرة[٢] عن خالد : " إنا قد أدينــا الجزية التي عاهدنا عليها خالد العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون علــى أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم"[٣] ، فكانوا كذلك .

رابعاً/ ليس الغرض من فرض الجزية الحصول على مكاسب مادية الأمر الــذي روج له كثير من المستشرقين ، ولو كان الأمر كذلك لأجبر أهل الذمة صغاراً وكباراً على تأديتها على الدوام ، ويبطل هذه المزاعم ما جاء عن مالك رحمه الله " أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله أن يضعوا الجزية عمن أسلم من أهــل الجزيــة حين يسلمون ، قال مالك[٤] : قضت السنة أن لا جزية على نساء أهــل الكتــاب ولا على صبيانهم وأن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجال الذين قد بلغوا الحلم"[٥].

٤- شبهات حول أخلاق الفاتحين :

جرياً على عادة البستاني في قلب الحقائق فإنا نجده يعتمد الكذب البين والتجني على التاريخ عند إيراد صورتين وهما:

---

[١] - الدعوة إلى الإسلام سيرتوماس وأرنولد ترجمة، د/ حسن إبراهيم حسن ، إسماعيل النحراوي، عبد المجيد عابدين . ص (٧٩-٨١) ، ط٣ ، مكتبة النهضة.

[٢] - الحيرة بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه والنسبة إليها حاري على غير قياس. معجم البلدان (٢ /٣٢٨) .

[٣] - تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري ٢/ ٣٢١ دار الكتب العلمية بيروت - ١٤٠٧هـ .

[٤] - مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر أبو عبد الله الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وصاحب المذهب ، برع في الفقه والحديث وأخذ القراءة عرضاً عن نافع بن أبي نعيم ، ولد سنة ثلاث وسبعين ومات سنة تسع وسبعين ومائة. انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/٢٩١).

[٥] - المنتقى / شرح الموطأ (٢/ ١٧٦) : القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف البابجي الأندلسي ط٢ دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

الصورة الأولى تحكي بطولة المستعمر الغربي " حيث يعتقد أنه رسول سلام جاء لحماية الدولة المستعمرة وتلبية حاجات شعوبها" .[1]

ويرد المفكر الإسلامي أنور الجندي على هذا الادعاء الباطل ذاكراً بعض مفاسد الاستعمار الأجنبي لبلاد المسلمين حيث يقول : لقد أفسد الاستعمار " نمو الإسلام وتوسعه ، ووقف في وجه زحفه السلمي وقاومه ، ووقف في وجه اللغة العربية وجمد انتشارها بحسبانها لغة القرآن . ونشر لغته وعمد الاستعمار إلى تمزيق الروابط التاريخية والفكرية بين قوميات المسلمين من عرب وترك وفرس ، وعمق هذه الخلافات بينها حرصاً على الانفصالية والحيلولة دون الوحدة الفكرية أو الأخوة الروحية ..... وإذا كان للاستعمار أثره البعيد في تمزيق وحدة العالم الإسلامي . وإقامة الكيانات الإقليمية ، فإن أخطر تحديات الاستعمار هي تحديات الغزو الثقافي في سبيل إبقاء الوجود الاستعماري ، ودعمه بما يحقق للاستعمار استمرار استنزاف المواد الخام لمنتجاته "[2] فأي خير حمله أولئك الصليبيون لشعوبنا ؟!

أما الصورة الثانية فتصف الفاتح المسلم بأنه مقاتل متوحش لا يجيد إلا إراقة الدماء والإرهاب والدمار وهي الأخرى صورة مزيفه تنم عن حقد ناقلها على الإسلام وأهله حيث لم يراع فيها أمانة النقل والتثبت من سلامة الرواية كما في المواد التالية :

- **قال البستاني في (مادة : بخارست): الواقعة في الشمال الغربي من مدينة القسطنطينية متحدثاً عن فتح العثمانيين لمدينة الفلاخ[3] : " وفي آخر القرن السادس عشر فتحها العثمانيون فاحرقوها ..."[4].**

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة واختلاق الأكاذيب رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي ففتح العثمانيين لهذه المنطقة لم يكن في أواخر القرن السادس عشر كما زعم بل كان في أواخر القرن الرابع عشر على يد السلطان بايزيد الأول، وإن مما يفقد دائرة البستاني قيمتها العلمية استطراده في الخلط بين الأحداث والتمادي في ذكر المفتريات، ففيما يتعلق بفتح

---

[1] - أنظر: دائرة المعارف العربية (مادة : سلطة - سيادة) ، (١٠/٢٧٤) .

[2] - انظر : العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي : أنور الجندي ص ١٦ دار الكتاب اللبناني - بيروت – لبنان – ط٢ – ١٩٨٣م.

[3] - إحدى بلدان أوروبا يسميها الأتراك (الأفلاق) يتحدثون باللغة اللاتينية ويطلقون على أنفسهم الرومان ، استولى عليها العثمانيون عام ١٣٩٣م . انظر : تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ص ١٧٠.

[4] - دائرة المعارف العربية (٥/٢٢٣).

بلاد الفلاخ جاء في كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية : أن السلطان العثماني بايزيد "سافر لغزو بلاد الفلاخ فقهر أميرها ... وأكرهه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العلية العثمانية على بلاده ويتعهد لها بدفع جزية سنوية مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائد قوانين أهلها وتم ذلك سنة ١٣٩٣م " [١]، مع العلم " أنه تكرر تمرد هذه البلاد على سلاطين الدولة العثمانية ولم أتحصل على ما يؤكد حرق العثمانيين للمدينة في كل فترات إخضاعها للدولة " [٢] في أي من كتب تاريخ الدولة العثمانية المتوفرة لدي ، كما أن البستاني لم يذكر سنده في روايته هذه ، وجدلاً وعلى فرض صحة ما قال فإن مدينة الفلاخ وقد تكرر منها التمرد وإحداث الفتن والقلاقل أكثر من قرنين من الزمان فمعاقبتها إن كان قد حصل أمر يقدر بقدره .

لكن اليقين الثابت أنه لم يقع شيء من هذا عند الفتح ولا يقبله الإسلام من فاتح، وإنما الواقع أن السلطان قد أقر بقاء أهلها فيها بشرط انضمامها لدولته إذ لا مدعاة لإحراقها حينئذ.

- في مادة (بهنسى [بهنسا][٣]) قال في فتح مدينة البهنسا :" فعل خالد الفعال المنكرة وما زال بالروم حتى دخلوا البلد وحُصروا بها وأخذ البطريق أسرى المسلمين وضرب رقابهم على السور ، ثم أحصى خالد القتلى فكانوا ٨٠ أميراً و٣٧٠ رجلاً ..... وصاروا (المسلمين) يدخلون البيوت ويأخذون الرجال من بين الحريم ويقتلونهم حتى كلت سواعدهم وجرى الدم في الأزقة وملأت القتلى الشوارع وقُتل من المسلمين في ذلك اليوم ٤٠٠ وصاروا يجرون القتلى في المركبات ويطرحونهم كراديس[٤] في الحفر ويردون عليهم الرمل والتراب ...."[٥].

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة واختلاق الأكاذيب رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي حيث لم يتضح لي من أين نقل البستاني هذه الأحداث رغم بحثي المتكرر لمعرفة

---

[١] - تاريخ الدولة العلية العثمانية : محمد فريد بك (٢١) ، ١٣١١هـ - ١٨٩٣م ، ط١.

[٢] - انظر : تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، الدكتور محمود محمد الحويري ص (١٧٠-١٧٣) المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة – ط١ – ٢٠٠٢م .

[٣] - هي بليدة بصعيد مصر الأعلى. الأنساب (٤٢١/١).

[٤] - الكُرْدوس: الجماعة من الناس: جمهرة اللغة - (٢ / ١٤٨).

[٥] - دائرة المعارف العربية (٥/ ٦٤٨).

مجريات هذه الوقعة في كتب الفتوحات ولعلها من المفتريات التي وردت في هذه الموسوعة ، ولكون البستاني كثيراً ما يستشهد بما دونه الواقدي في بعض كتبه فسأورد أحداث فتح هذه البلدة من كتابه فتوح الشام حيث قال فيه : ما مفاده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عامله بمصر عمرو بن العاص ﷺ يوصيه بالمرابطة وإرساله الأمراء لتبليغ دين الله وكان من جملة تلك الوصايا قوله :" ثم انتدب عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ﷺ وأقر عليهم خالد بن الوليد فنزل وثلة معه المدائن يدعون الناس إلى الإسلام فمن أجاب فله ما لنا وعليه ما علينا ، ومن أبى فليأمروه بأداء الجزية وإن عصى وامتنع فالحرب والقتال ، وأمرهم إذا حاصروا مدينةً أن يشنوا الغارات على السواد ، وإن بمصر مدينتين كما بلغني أحداهما يقال لها أهناس[1] قريبة من مصر والثانية يقال لها البهنسا أمنع وأحصن وبلغني أن بها بطريقاً طاغياً سفاكاً للدماء .. فلا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا هاتين المدينتين ، وعليك بتقوى الله في السر والعلانية أنت ومن معك وأنصف المظلوم من الظالم وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وخذ حق الضعيف من القوي ولا تأخذك في الله لومة لائم "[2].

هذا ما نص عليه الواقدي واستبانت من خلاله مراوغات البستاني حيث لم تتفق الروايتين إلا في "(أن عدد قتلى المسلمين ٤٠٠) وقولهما : أن المقاتلين المسلمين " كانوا يصعدون إلى البيوت ويأخذون الرجال من بين حريمهم من الروم حتى كلت سواعدهم من الذبح وجرى الدم في الأزقة وصارت القتلى في الشوارع والأسواق مطروحين" [3] فالملاحظ إذن أن البستاني لم يتطرق في روايته إلى تلك الوصية العمرية التي تحمل معاني سمو الفاتح المسلم، أما عن مسألة القتال الذي جرى وكان نتيجته ما سفك من دماء فقد كان في هذه الوقعة مقتصرا على المقاتلين دون إقحام النساء والضعفة وهو نتيجة طبيعة يفرضها الواقع كما قال تعالى مصداقاً لذلك ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[4] .

---

[1] - أهناس بفتح أوله وسكون ثانيه وبالنون والسين المهملة على وزن أفعال قرية من قرى مصر. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (١/ ٢٠٦).

[2] - انظر : فتوح الشام (٢٢٢/٢) .

[3] - انظر : فتوح الشام ج ١ ، ص (٣٠٥ و ٣٠٦) .

[4] - سورة البقرة آية ٢١٦ .

ويضيف الواقدي على ما سبق قوله:" وخرجت إليهم النصارى والقبط وهم يبكون ويقولون : نحن أهل ذمتكم ونحن عوام وتجار وسوقة وكلنا مغلوبون على أمرنا وقتل خيارنا بأسيافكم وبقية الأمراء ويقولون هؤلاء قد صاروا رعيتنا وليس لهم بطش فتركوهم ..." [1].

أما قول البستاني أن المسلمين " أخذوا يجرون القتلى في المركبات ويطرحونهم كراديس في الحفر ويردون عليهم الرمل والتراب "[2] ، فهي عبارة لاشك في أنه يُقصد بها تصوير مدى امتهان قتلى المسلمين وتحقيراً لشأنهم فقيمتهم وهم أحياء لا أموات ، بينما الأمر يبدو على خلاف ذلك ، فللواقدي رواية تجلي لنا موقف المقاتلين المسلمين من إخوانهم الشهداء حيث تقول :" وأتوا على مكان المعركة يتفقدون من قتل منهم فإذا هم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلاً ختم الله لهم بالشهادة ، فلما رأى المسلمون ذلك شق عليهم وكبر لديهم وأسرعوا تحت الليل وجمعوا الشهداء ودفنوهم في ثيابهم ودمائهم في مكان لا يعرف بالبطحى عند مجرى الحصى ومنقع السيل ، فدفنوهم هناك كل اثنين وكل ثلاثة وكل أربعة وكل خمسة في قبور ، وقدموا أهل السابقة وأصحاب القرآن وكان يعرف ذلك المكان بقبور الشهداء " [3].

- وقال في مادة (بيروت) : عن صلاح الدين[4] وفتحه لبيروت " وقيل أنه قطع زيتونها وعمل منه آلات الحصار والمجانيق"[5].

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة واختلاق الأكاذيب رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي حيث لم يفصح البستاني عن المصدر الذي استقى منه هذه المقولة مما يدل على عدم صحتها بل في تاريخ ابن خلدون ما يدل على أنها قصة مكذوبة حيث قال: أنه توجه تلقاء بيروت ليفتحها " فرأى أهلها قد صعدوا على سورها وأظهروا القوة والجلد والعدة وقاتلوا على سورها عدة أيام قتالاً شديداً واغتروا بحصانة البلد ، وظنوا أنهم قادرون على حفظه، وزحف المسلمون إليهم مرة بعد مرة فبينما الفرنج على السور يقاتلون إذ سمعوا من البلد

---

[1] - فتوح الشام ج ١، ص (٣٠٥ و ٣٠٦).

[2] - دائرة المعارف العربية (٥/ ٦٤٨).

[3] - فتوح الشام (١/ ٢٩٠).

[4] - السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب المولود سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، من أعماله افتتاح بلاد الفرنج وأسر ملوكهم في حطين سنة ثلاث وثمانين، توفي رحمه الله بقلعة دمشق بعد الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة . انظر : سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٨٧) .

[5] - دائرة المعارف العربية (٥ /٧٤٧) .

جلبة عظيمة وغلبة زائدة، فأتاهم من أخبرهم أن البلد قد دخله المسلمون من الناحية الأخـــرى قهراً وغلبة فأرسلوا ينظرون ما الخبر وإذا ليس له صحة، فأرادوا تسكين من به فلم يمكـــنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد، فلما خافوا على أنفسهم من الاخـــتلاف الواقـــع أرســـلوا يطلبون الأمان، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم وتسلمها..." [١].

- وفي مادة (دمشق) : قال في فتح المدينة :" فالتقى خالد (ابن الوليد ﷺ) والقـــواد فـــي وسطها هذا قتلاً مهيناً وهذا صلحاً وتسكيناً "[٢]... ونقل عن الواقدي قوله : أنهم فتحـــوا أبواب المدينة " مهللين مكبرين فدخل خالد المدينة في الجنود قاتلاً ناهباً ، وكان أهلها قد صالحوا أبا عبيدة (ابن الجراح ﷺ) وعاهدهم .. " [٣].

انتهج البستاني في هذه المادة أسلوب التجاهل وبتر الحدث رغبة في تـــشويه معـــالم الفتح الإسلامي ، ولقد اختصر وقائع فتح دمشق وكان اختصاراً مخلاً هدفه في ذلك كعادته أن يشوه أحداث تلك الفتوحات فلقد ألبس الصحابة رضي الله عنهم لباس التهمة والريبـــة حيـــث يبدو لقارئ هذه المادة أن الصحابة رضي الله عنهم يخفرون الذمم ويغدرون بالعهود وأنه لم يجر فتح الشام إلا بالخديعة ، لكن مفاد القصة في حقيقتها " أن أبا عبيدة رضي الله عنـــه رأى أن حقن دماء المسلمين ودخول المدينة صلحاً أولى من دخولها فتحاً لظنه أن أميره خالداً لـــن يخالفه الرأي في حين دخل خالد دمشق فتحاً بالسيف ، فالتقيا في المدينة وغضب خالد لفعـــل أبي عبيدة غير أن أبا عبيدة أصر على البقاء على العهد وأن لا تخفر ذمته فأجاب خالـــد لمـــا أراد أبوعبيدة ، فما كان من صلحٍ على يده أجراه وما كان من فتحٍ على يد خالد فهو كذلك" [٤].

- وفي مادة (زنكي[٥]) قال: " وسنة ٥٢٨ اجتمع زنكي مع تمرتاش[٦] .. وقصد مدينة آمـــد[٧] فحاصراها وقطعا الشجر وشعّثا البلد ثم عادا عنها ولم يبلغا غرضاً " [١].

---

[١] - الكامل في التاريخ (٥ / ١٧٤) .

[٢] - دائرة المعارف العربية (٨ /٦) .

[٣] - دائرة المعارف العربية (٨ /٦) .

[٤] - انظر: فتوح الشام (١/ ٧٨ – ٩٠) .

[٥] - ترجمت له سابقاً ص ٣٢.

[٦] - الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تمرتاش ابن جوبان ، البداية والنهاية (١٤/ ١٣٣).

[٧] - مدينة بالعراق حصينة مبنية بالحجارة من بلاد الجزيرة على نشز من الأرض، ودجلة محيطة بها من جوانبها إلا من جهة واحدة على شكل الهلال، وفي وسطها عيون وآبار. انظر : آثار البلاد وأخبار العباد (١ /٢٠١) .

أورد البستاني هنا رواية تصور الفاتح المسلم بأنه لا يعرف إلا لغة الاستبداد وسفك الدماء ولغة الخراب والدمار ، أما ما ورد في المادة فقد ذكره ابن الأثير في تاريخه [٢] ولكن ثمة أمر ينبغي إيضاحه والحديث عن حكمه وهو من الشبه التي يكثر إيرادها، ألا وهو حكم إحراق المدن والزروع وقطع الأشجار إذا احتاج المقاتلون لمثل ذلك، وسيأتي بيانه في معرض الرد على هذه الشبه إن شاء الله.

- وقال في مادة (باغرمي) [٣] " والدين في هذه البلاد الإسلام ولكن يدخلون فيه الخرافات وعبادة الأوثان وعادتهم في الحروب أن يخصوا الأسرى" [٤] .

انتهج البستاني هنا أسلوب المبالغة واختلاق الأكاذيب رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي ، ففيما سبق تتضح أكذوبة من أكاذيبه حيث لم أعثر على هذه المعلومة التي وسم بها أهالي باغرمي مطلقاً، لأن تاريخ هذه المملكة والأحداث التي مرت بها يوحي أنها مملكة مستضعفة تتنازعها الممالك عبر التاريخ، ولم يثبت لدي أي واقعة تاريخية تسجل سطو هذه المملكة على خصومها ، فضلاً عن أن يقوم أهلها بمثل ذلك الفعل، هذا ملخص ما جاء في كتاب العالم الإسلامي الحديث والمعاصر [٥].

ويُستنتج من هذا أن المنطقة لم تحظ بالاستقرار السياسي ولا القوة التي تردع الطامعين في حيازتها ، ولا دليل يثبت حقيقة مزاعم البستاني في ما ذكره عن أهاليها ، علاوة على أن تعذيب الأسرى مسألة فيها نظر لكون ذلك ولو ثبت ، سلوك لا يقره دين ولا خلق.

---

[١] - دائرة المعارف العربية (٩/ ٢٧٥).

[٢] - انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (٩/ ٢٧٤) .

[٣] - تقع في جنوبي تشاد وقد وصل الإسلام إلى هذه الرقعة في مطلع القرن العاشر الهجري، وكان أول حكامها المسلمين السلطان بريمي ولعل هذا الاسم محرف عن اسم إبراهيم. تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (٢/ ١٩٦).

[٤] - دائرة المعارف العربية (٥/١١٦).

[٥] - انظر تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (قارة إفريقية) ، د.إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، (١٩٦/٢).

- وقال في مادة (طرابلس): فتح المسلمين لها ١٢٨٧م " فجاءها الملك قلاوون[١] وفتحها عنوةً واقتحم المسلمون البحر سباحة بخيولهم .. وفتكوا بالأهلين وهدموا المدينة واحرقوها بالنار ، وبنو بلدة جديدة على نصف فرسخ " [٢].

أورد البستاني هنا القصة مبتورة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي وقد ذُكر نحواً من هذا في كتاب المختصر في أخبار البشر [٣]، لكن البستاني لم يوضح سبب أمر قلاوون بهدم المدينة ، وهذا من قبيل بتر النصوص والتعتيم على الحقائق ، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية سبب هدم الملك قلاوون للمدينة فقال: " ثم أمر الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد بما فيها من العمائر والدور والأسوار الحصينة التي كانت عليها وأن يبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن، ففعل ذلك "[٤] ولم يكن ذلك الهدم لمجرد الإفساد والتخريب كما يفهم من النص الذي جاء في هذه الدائرة.

- وذكر أيضا في مادة (طرابلس) قوله عن أحداث فتحها من قبل المسلمين أنها دانت في بادئ الأمر " للرومان وظلت على ولائهم إلا أن فتحها المسلمون بخدعة يوقنا [٥]"[٦].

أورد البستاني هنا القصة مبتورة رغبة في تشويه معالم الفتح الإسلامي ، وكان الأجدر به أن يكون منصفاً في نقله لمثل هذا الحدث حتى لا يحمل الموقف أكثر مما يحتمل فقد بتر القصة وتغاضى عن أهم أحداثها لأن حقيقة ما جرى في فتح طرابلس من قبل المسلمين أن البطريق يوقنا وأتباعه لحقوا بالمسلمين وعددهم يزيد عن اثني عشر ألف أثناء فتوح الشام آتين من حلب ثم دخلوا في دين الإسلام، وأبدى يوقنا رغبته في مساعدة أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه كي يتم له فتح طرابلس فلبس هو وأتباعه لبس الروم وساروا نحو طرابلس ودخل دار الإمارة ودخل عليه شيوخ طرابلس والبطارقة، فلما اجتمعوا إليه أمر بالقبض عليهم وقال:

---

[١] - هو السلطان المنصور سيف الدنيا والدين أبو المعالي وأبو الفتوح الصالحي النجمي أحد ملوك دولة المماليك، كسر التتر سنة ثمانين وتوفي في سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ظاهر القاهرة وملك بعده ولده الأشرف. انظر: فوات الوفيات (٢٢٥/٢).

[٢] - دائرة المعارف العربية (٢٤٢/١١).

[٣] - انظر المختصر في أخبار البشر (١/ ٤٧٧).

[٤] - البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (١٣/ ٣١٣): مكتبة المعارف – بيروت.

[٥] -هو عبد الله يوقنا أحد بطارقة طرابلس. انظر: فتوح الشام (١/ ٢٩٤).

[٦] -دائرة المعارف العربية (٢٤٠/١١) .

يا أهل طرابلس إن الله سبحانه قد نصر الإسلام وأهله وقد كنا في عيش مظلم نسجد للصلبان ونعظم الصور والقربان ونجعل لله زوجة وولداً، حتى بعث لنا هؤلاء العرب فهدنا الله وألحقنا بهم ببركة نبيهم ﷺ وهو النبي المبعوث الذي ذكره الله في التوراة وبشر به عيسى المسيح وإن الإسلام حق وقوله الصدق ..... فإما أن ترجعوا إلى دين الإسلام أو تؤدوا الجزية وإلا بعثكم عبيداً للعرب ، وهذا ما عندي والسلام "[1] فمنهم من أسلم ومنهم من رضي بالجزية، والقصة بتمامها في كتاب فتوح الشام .

- دحض الشبهة :

للرد على الشبهه المثارة حول أخلاق الفاتحين نقول :

أولاً- لجأ بعض قواد المسلمين في فتوحاتهم إلى إحراق المدن والزروع وقطع الأشجار لمسوغين اثنين، إما ليكف العدو عنهم أو ليظفروا بهم، حيث يقول تعالى في بيان ذلك : (وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ "[2] وقد تقرر هذا من فعل النبي ﷺ[3] ، كما بين العلماء " هذا إذا عَلِمَ أنه ليس في ذلك الحصن أسير مسلم فأما إذا لم يعلم ذلك فلا يحل التحريق ولا التغريق "[4]، وأما إذا لم تدع الحاجة إلى ذلك فلا يجوز بعض العلماء هذا الفعل ومن يفعله كائناً من كان فلا يحسب هذا على تعاليم الإسلام وأخلاقياته ، وإن كان في المسألة خلاف.

ثانياً- حرص ولاة المسلمين على مر العصور على توصية قوادهم بتقوى الله تعالى والتخلق بأخلاق الصالحين ، لأنهم في المقام الأول دعاة إلى الله جادوا بأنفسهم لتبليغ دينه، وقد أسهب البستاني في حديثه عن نهم الفاتحين إلى القتل والتعطش لسفك الدماء دون تفريق بين الصغير والكبير والمقاتل والأعزل ، وفندت بعض هذه المسائل، وإني أجمل القول هنا رداً على مثل

---

[1] - انظر : فتوح الشام للواقدي (٣٠/٢ و ٣١) .

[2] - سورة التوبة آية ١٢٠.

[3] - ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرق نخل بني النضير وقطع ولها يقول حسان :

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير . صحيح البخاري . باب قطع الشجر والنخل (٢/ ٨١٩) .

[4] - المبسوط : شمس الدين السرخسي (١٠/ ٣٢) دار النشر : دار المعرفة – بيروت .

هذه الشبهة بالحديث الذي جاء فيه :" أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان " [1].

قال ابن حجر رحمه الله : " فهذا يقتضي أن المنع من قتل النساء والصبيان لأنهم لا يقاتلون ، وفيهن معنى آخر أنهن من الأمور التي يستعان بها على العدو وينتفع بها دون مخافة منهن ، فأما إن قاتلن فإنهن يقتلن لأن العلة التي منعت من قتلهن عدم القتال منهن فإذا وجد منهن وجدت علة إباحة قتلهن ، لأن الحاجة داعيةٌ إلى دفع مضرتهن وإزالة منعهن من الوجود في الرجال " [2].

ثالثاً- الرد على شبهة دفن الشهداء : قد بين الله تعالى في كتابه العزيز أنه أعد للشهداء مالا يناله بقية العباد من عظيم الأجر وكريم المثوى يقول سبحانه (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [3].

ومن تكريم الله للشهيد أنه يدفن في ثيابه من غير تغسيل ولا تكفين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " والذي نفسي بيده لا يُكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكُلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك " [4].

قال ابن بطال[5] في شرح هذا الحديث : " وفيه أن الشهيد يبعث في حاله وهيئته التي قبض عليها " [6]، وقد بين العلماء الحكمة ف ي بعثه كذلك فقالوا : " أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة الله " [7]، وفي أمر دفن الشهداء جماعات في القبر الواحد نجد أن النبي ﷺ فعل ذلك مع شهداء أحد" ، فقد أمر عليه الصلاة والسلام أن يدفن الاثنين

---

[1] - صحيح البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب قتل الصبيان في الحرب . (٣ /١٠٩٨) .

[2] - المنتقى : شرح الموطأ (٣/ ٢٨) .

[3] - سورة آل عمران آية ١٦٩.

[4] - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من يجرح في سبيل الله عز وجل . (١٠٣٢/٣).

[5] - هو شارح صحيح البخاري العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام توفي في صفر سنة تسع وأربعين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨).

[6] - شرح صحيح البخاري: ابن بطال أبي الحسن بن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (٥/ ٢٠) مكتبة الرشد، الرياض ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

[7] - فتح الباري (٦/ ٢٠) .

والثلاثة في قبر واحد ويقدم أكثرهم جمعاً للقرآن أمام أصحابه في القبر "[1] وذلك بالطبع عند الحاجة إلى ذلك ، وإلا فالأصل أن كل ميت يدفن في قبر بمفرده.

رابعاً- ولرد ما يثار من شبهات حول معاملة الأسرى في الإسلام : فإن مصيرهم كما قررت الشريعة إما المن وإما الفداء عملاً بقول الله تعالى (حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) [2]، ولا مسوغ لتعذيب الأسرى بل ذلك مما يخالف تعاليم ديننا.

قال الطبري في تفسيره لمعنى هذه الآية فإذا أسرتموهم بعد الإثخان فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر وتحرروهم بغير عوض ولا فدية ، وإما أن يفادوكم فداءً بأن يعطوكم من أنفسهم عوضاً حتى تطلقوهم وتخلوا لهم سبيلهم " [3]، كما أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الأسير فقال سبحانه : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) [4]، قال قتادة رحمه الله: " أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم وإن أسراهم يوم إذٍ لأهل الشرك "[5].

وموجز القول في ما يتعلق بهذه المسألة أن "من الأسرى من له نخوة ونكاية في المسلمين فقتله أصلح، ومنهم الضعيف ذو المال الكثير ففداؤه أصلح ، ومنهم حسن الرأي في المسلمين يرجى إسلامه فالمن عليه أولى ، ومن ينتفع من خدمته ويؤمن شره، استرقاقه أصلح "[6] وهذا الأمر مرده إلى والي المسلمين لأنه يقوم مقام والي اليتيم . أما مزاعم الاعتداء على أسرى الحرب بالتنكيل والتعذيب فهو أمر لا تقوم له حجة والإسلام منه براء.

---

[1] - انظر السيرة النبوية ، ابن هشام ،(٣ / ٧٨) ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الخير دمشق، بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

[2] - سورة محمد آية ٤ .

[3] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١/ ٣٠٦) .

[4] - سورة الإنسان آية ٨ .

[5] - تفسير البغوي معالم التنزيل: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، (٥٢٤/٤) دار طيبة، الرياض، السعودية، ط١_١٤٢٣هـ.

[6] - كشاف القناع عن متن الإقناع (٨/ ٣٦).

٥ ـ شبهة القتال في الأشهر الحرم :

- قال في مادة (جهاد): عن القتال في الأشهر الحرم أنه (منسوخ وعلى ذلك الآية اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم [١]).

وفي مادة (دمياط) : ذكر تحصن المسلمين بدمياط أثناء قتالهم مع الفرنج فقال : " وأخذ المسلمون كثيراً من مراكب الفرنج حتى وهنوا فأحرقوا معسكرهم وأتلفوا مراكبهم بها وذلك في المحرم من سنة ٦٤٨هـ فلحق بهم المسلمون وقتلوا منهم نحو ١٠ آلاف ... " [٢] وقد ذكر صاحب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة نحواً من هذا الكلام "[٣]، وهي رواية جاءت متناقضة مع ما ذكره كتاب المختصر في أخبار البشر حيث حكى أن المبادأة بالقتال كانت من الفرنج وكان ذلك في شهر ذي القعدة لا في المحرم حيث " تقدم الفرنج عن دمياط .. وجرى بينهم وبين المسلمين في مستهل رمضان من هذه السنة وقعة عظيمة استشهد فيها جماعة من كبار المسلمين ، ..... ثم أن الفرنج كسبوا المسلمين بكرة الثلاثاء لخمسٍ مضين من ذي القعدة"[٤].

ونلخص القول رداً على هذه الشبهة فنقول:

أولاً/ حرم القتال في الأشهر الحرم عملاً بقوله تعالى : (يسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وإخراج أهله منه أكبر عندالله . .) [٥]، قال الألوسي[٦] رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : " فيه تقرير لحرمة القتال في الشهر الحرام ، وأن ما

[١] - دائرة المعارف العربية (٦ / ٥٧٣)

[٢] - دائرة المعارف العربية (٦ / ٣٨) .

[٣] - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل بن أبي الفداء (٣/ ١٤٠) المطبعة الحسينية المصرية ط١.

[٤] - انظر المختصر في أخبار البشر (١/ ٤٣٣).

[٥] - سورة البقرة آية ٢١٧ .

[٦] - سأورد ترجمة وافية له رحمه الله في الفصل الثالث باعتباره أحد المتصدين لمشروع تغريب الأمة ص ٢٤٨

اعتقد من استحلاله ﷺ القتال فيه ، وما وقع من أصحابه[1] عليه الصلاة والسلام كـــان مـــن باب الخطأ في الاجتهاد وهو معفو عنه بل من اجتهد وأخطأ فله أجر واحد "[2].

ثانياً/ كان في تحريم القتال في الأشهر الحرم حقنا للدماء وصيانة لها من العبث ، لأن مـــن مقاصده الكلية الحفاظ على النفس ، وفي حالة العدوان ومبـــادأة المعـــادين بالقتـــال جـــاز للمسلمين ردهم ومقاتلتهم ولو في شهر حرام عملا بقول البـــاري ســـبحانه : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[3] والمعنى هنا" : أي هتكه بهتكه ، تهتكون حرمته علـــيهم كمـــا هتكـــوا حرمتـــه عليكم"[4].

نتيجة :

هذه مقتطفات مما أورده المعلم بطرس في معرض حديثه عن الفتوحات التي تمت عبر التأريخ الإسلامي ويمكن إيجاز النتائج التي توصلت إليها في هذا الشأن فيما يلي:

أولاً/ كان للبستاني مواقف مضطربة مع النصوص التاريخية على اتجاهات عدة أثـــار من خلالها شبهاته في الفتح والفاتحين المسلمين وهي:

أ- نقله لنصوص مبتورة أو مكذوبة لا أصل لها أو قام باختصارها فـــي دائرتـــه شوه من خلالها أحداث وشخصيات تاريخية كانت ولا زالت رمزاً مـــن أعظـــم رموز التاريخ الإسلامي.

---

[1] - وسبب نزول الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أول سراياه وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل: (يسألونك عن الشهر الحرام) . تفسير الجلالين (٤٦/١).

[2] - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل (٢ / ١٠٨) : دار إحياء التراث العربي بيروت .

[3] - سورة البقرة آية ١٩٤.

[4] - تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: (٢/ ٧٧) دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م ، ط١:تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوتي و د.أحمد النجولي الجمل.

ب -بالغ في إيراد بعض الوقائع التاريخية وأدخل فيها ما ليس منهـــا رغبـــة فـــي تشويه معالم الفتح الإسلامي.

ج- تجاهل كثيراً من الأحداث التاريخية مخفياً بذلك الجوانب المشرقة في تـــاريخ الفاتحين.

د - لا يعتمد البستاني في نقولاته ما صح من الروايات المتضاربة فـــي الفتوحـــات الإسلامية بل الروايات التي تصف الأحداث بدموية أكثر هي المقدمة لديه ولو لـــم تكن صحيحة.

هـــ- تعمّد تكرار بعض الأحداث التي وقعت من قبل الفاتحين كذريعة لتـــصويرهم بالتعنت وفرض الإسلام بالقوة.

ثانياً/ يخرج القارئ لتاريخ الفتوحات الإسلامية من خلال الدائرة بما مفاده أن الفاتحين المسلمين لم يكونوا أبداً أصحاب رسالة عظيمة نذروا أنفسهم لتبليغهـــا للبـــشرية ألا وهي الدعوة إلى دين الله القويم.

ثالثاً/ في دائرة البستاني ما يوحي للقارئ أن اللغة الوحيدة التي يتعامل بها المسلم مع غيره هي لغة القتل وسفك الدمار ولغة التخريب والتدمير. وكأن الإسلام جاء لتـــأجيج طبائع الاستبداد في نفوس العرب الفاتحين.

ثالثاً/ حاول البستاني أن يظهر خصوم الإسلام أمثال النصارى وأتباع الديانات الأخرى في مظهر المستضعفين المستبد بهم من قبل الفاتحين.

المبحث الثاني / شبهات البستاني حول التشريع والأخلاق في الإسلام

شبهات البستاني حول التشريع والأخلاق في الإسلام :

من كريم فضل الله على هذه الأمة أن هيأ لها ديناً سمى بتشريعاته على الأديان كلها مما أثار عداوة اليهود والنصارى له فجعلوا يمكرون بأتباعه ويحيكون ضده المؤامرات منذ عصر الإسلام الأول إلى وقتنا المعاصر يقول تبارك وتعالى واصفاً مكرهم وغيهم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [1].

وقد بلغ بهم الحنق على الإسلام والمسلمين ما معه يتمنون أن لو حرمنا خير هذا الدين قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [2].

ومع أن كتبهم تدعوهم "إلى متابعة الحق إلا أن كفرهم يمنعهم وإن الكفر شر كله لأنه يورث الحسد ويحمل صاحبه على أن يبغض الخير" [3]، ومن ملامح هذا البغض ازدراء تعاليم الإسلام وإثارة الشبهات حوله والطعن في عقائده والقول فيه بغير علم ولكل غرضه في ذلك ؟! إلا أن الله ناصر دينه وحامي شريعة نبيه ولو كره الكافرون.

وفي هذا المبحث سأتناول شيئا من تلك الشبهات التي أثارها البستاني في موسوعته حول التشريعات الإسلامية.

١- شبهاته حول مصادر التشريع :

أولاً / القرآن الكريم:

حاول البستاني القدح في مصادر التشريع عند المسلمين والطعن في القرآن الكريم والسنة النبوية تارة بالتشكيك في صحتهما وتارة بامتهانهما والتحقير من شأنهما ومساواتهما بمصادر تشريعات النصارى المحرفة وذلك من خلال المواد التالية:

---

[1] - سورة الصف آية ٧ .

[2] - سورة البقرة آية ١٠٥.

[3] - تفسير الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (٣٥٠/١) دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- قال البستاني في (مادة : أبو بكر الصديق) عن حادثة جمع القرآن في عهده :" وأول من جمع القرآن وسماه مصحفاً ، والسبب في ذلك أنه لما قتل من القراء في حرب مسيلمة الكذاب[1] جماعة كثيرة أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال وجريد النخل والجلود ، وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر زوج النبي [ﷺ] إلى أن تولى عثمان بن عفان [ﷺ] ورأى الاختلاف في القراءات فجمع ذلك المكتوب ، وكتب منه نسخاً أرسلها إلى الأمصار وأبطل ما سواها " [2]

في المادة السابقة تعمد البستاني اختصار سرد قصة جمع القرآن الكريم بهذه الطريقة على سبيل القدح والطعن في القرآن الكريم وإثارة التساؤلات حول مدى سلامته من التحريف والتبديل، ومن المعلوم أن إقدام الصحابة رضي الله عنهم على جمع القرآن لم يكن بالأمر السهل كما صوره البستاني فالقصة بتمامها مذكورة في صحيح البخاري من رواية زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ وكان ممن يكتب الوحي قال ": أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني أرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمر: هو والله خيرٌ فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر، فقال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقلٌ ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ فقال أبو بكر هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسب[3] وصدور الرجال ..... وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عمر حتى توفاه الله ثم عند

---

[1] - مسيلمة بن حبيب وهو من بني حنيفة قال ابن قتيبة كنيته أبو ثمامة، جمع جموعا كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب وغوغائهم وقصد قتال الصحابة في أثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجهز عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجيوش وأميرهم خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة إحدى عشرة من الهجرة، فقاتلوه فظهروا على مسيلمة فقتلوه كافرا، قيل قتله وحشي بن حرب وقيل غيره. تهذيب الأسماء (٢/٤٠٠).

[2] - دائرة المعارف العربية (٢/ ٣٩) .

[3] - هو : العسيب، عسيب النخل وهو السعف قبل أن ييبس. جمهرة اللغة (٣٣٨/١) .

حفصة بنت عمر " [١]**. إن جمع القرآن الكريم على عهد أبي بكرﷺ كان حدثاً جلـل لـم يوفـه البستاني حقه مع ما ذكرت من إقدامه على بتر النص والتلبيس على الناس بغية الطعـن فـي مصادر تشريعنا وانتصاراً لدينه المحرف ؟!**

ولتأكيد بث الريبة حول مسألة جمع القرآن الكريم يربط الأحـداث ببعـضها فيـصور للقارئ مدى اضطراب الخليفة عثمان ﷺ حيث دفعه اختلاف القراءات إلى القيام بالجمع الثاني له في خلافته وإبطال ما سواه دون أن يشير إلى أنه قد تحرى في عمله جمع كل سوره.

وفي حقيقة الأمر نجد أن جمع عثمان ﷺ الأمة على مصحف واحد وإعدامه لما خالفه إنما كان بدافع " خشية تفرق الأمة وقد استحسنه على وأكثر الصحابة رضي الله عنهم وكان ذلك عـين المصلحة "[٢]**.**

- **وقال في (مادة : انسجام) مستشهداً بآيات القرآن الكريم كنوع من أنـواع البـديع عنـد البلاغيين فقال :" ومتى كان الكلام سالكاً مسلك الانسجام جاء النثر موزوناً كالشعر تقريباً وقد يكون أكثره شعراً ... وقد ورد ذلك في القرآن آيات كثيرة توزن على وزن الطويل . وقوله (سبحانه) " فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم " من البسيط وقوله (تعالى) :(الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) من الكامل ، وقوله (تعالى) "وجفـان كـالجواب وقـدور راسيات" من الرمل وقوله (تعالى) " لا يكادون يفقهون حديثاً " من الخفيف وكثيـر غيـر ذلك"**[٣]**.**

هنا بدأ البستاني أكثر جرأة في انتقاده للقرآن الكريم وامتهانه لآياته الكريمـة حيـث ساواه بأشعار العرب وادعى أنه موافق للأوزان الشعرية .وهذا طعن بين في القـرآن الكـريم وإنا لنعجب مما قال البستاني ، أين هو من قول الباري جل وعلا (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)[٤]**، وإن في هذا لغنية لو كان منصفاً فإن في الآية نفي من الله تعـالى أن يكون : " القرآن شعراً ، ثم نفى أن يكون النبي ﷺ شاعراً فقال :(وما ينبغي له) أي : لا يصح**

---

[١] - انظر : صحيح البخاري باب قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (٤ / ١٧٢٠) .

[٢] -جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس (٢٦٧/١) ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة : ٧.

[٣] - دائرة المعارف العربية (٤/ ٤٩٨) .

[٤] - سورة يس آية ٦٩ .

له الشعر ، ولا يأتي منه ، ولا يسهل عليه لو طلبه وأراد أن يقوله ، بل إذا أراد أن ينشد بيتاً قد قاله شاعر متمثلاً به كسر وزنه "[1] عليه الصلاة والسلام .

ثانياً / السنة النبوية :

- قال في (مادة : حديث) معرفاً الحديث : " الحديث عند المسلمين يقابل التقليد عند النصارى "[2] ويساوي البستاني هنا الحديث الشريف بما يسمى بالتقليد الكنسي وهو ما تداوله النصارى " خلفاً عن السلف جيلاً بعد جيل من العقائد وشعائر الديانة مشافهة مما لم يدوَّن في كتبهم المنزلة "[3] .

إنها مقارنة تقدح في السنة النبوية من وجه وتتضمن دعوة صريحة لدين النصارى من وجه آخر ولا نسلم للبستاني بهذه المقارنة وذلك لأن :القول ببطلان العمل بما دُوِّن من الكتب السماوية المحرفة يلزم منه قولنا ببطلان العمل بما تُلقىَّ مشافهة من باب أولى لعدم تيقن النزاهة في نقولهم ، قال تعالى (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً)[4] قال السعدي رحمه الله[5] " جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهوائهم منه، أبدوه، وما خالف ذلك، أخفوه وكتموه وذلك كثيراً "[6]، أما أحاديث المصطفى ﷺ وجملة ما أُثر من سنته فهي محفوظة بحفظ الله تعالى كما قد تكفل بحفظ كتابه الكريم. لذا فأحاديثه ﷺ لاشك في كونها وحي منزل من الله تعالى وهو لا ينطق عن هوى كما أخبرنا بذلك ربنا تبارك وتعالى حيث قال: { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى { ٣ } إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[7].

- وقال في (مادة : سحر) يستغل البستاني حادثة سحر النبي ﷺ ليباشر الطعن فيما نقل من سنته ﷺ مخالفاً بما نقله الصحيح الثابت من هذه القصة فيقول :" روى أن النبي [ﷺ]

---

[1] - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني (٤/ ٣٧٩) دار الفكر بيروت .

[2] - دائرة المعارف العربية (٦/ ٧١٥)

[3] - دائرة المعارف العربية (٦/ ١٨٢)

[4] - سورة الأنعام آية ٩١ .

[5] - له رحمه الله ترجمة وافية في الفصل الثالث. باعتباره ممن تصدى لمشروع تغريب الأمة . انظر ص ٢٧١ .

[6] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١/٢٦٤) ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م ، تحقيق ابن عثيمين .

[7] - سورة النجم آية ٣ و ٤ .

سُحِرَ وأن السحر عمل فيه حتى قال إنه ليخيل إليَّ أني أقول الشيء وأفعله ولم أقل ولم أفعله "[1] .

هذا النص ما هو إلا كذب على النبي ﷺ فلم أجده في مجموع ما روي عن قصة سحره ﷺ فمن الصحيح الثابت ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :" سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت .. في مشط ومشاقة يقال المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط والمشاقة من مشاقة الكتان "[2] وفي رواية أخرى تبين أن سحر النبي ﷺ لم يؤثر على أقواله كما زعم البستاني ، أن عائشة رضي الله عنها قالت: :" كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن "[3] وعليه فتشبث أعداء الإسلام من المستشرقين الحاقدين بالرواية التي أدعي فيها أن سحره ﷺ أثر في أقواله وأعماله لا تعضده النصوص الصحيحة " ومثل هذه الرواية من وضع الحديث استجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها "[4].

وللرد على شبهات البستاني المثارة حول القرآن والسنة النبوية نقول :

أولاً - القرآن والسنة وحيان من الله تعالى أوحى بهما إلى نبيه محمد ﷺ ولا يصح نسبة الخطأ أو النسيان على نبينا ﷺ في تبليغهما لأمته، أو القول بأن ما تعرض له ﷺ من مرض أو

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٩/ ٥٢٢) .

[2] - صحيح البخاري. كتاب الطب. باب هل يستخرج السحر (٥/ ٢١٧٤).

[3] - صحيح البخاري . كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٥/ ٢١٧٥).

[4] - أحكام القرآن / أحمد بن علي الجصاص أبو بكر (١/ ٦٠) ،دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ ، تحيق محمد الصادق قمحاوي .

نسيان ونحوه يجوز أن يطرأ على ما يبلغه من الوحي ، لأن حماية الوحي من العوارض البشرية أمر أوكله سبحانه إلى نفسه الكريمة فقال : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[1] ولمزيد بيان لمكانة القرآن والسنة في الإسلام يقول ﷺ :" ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه "[2] ونأخذ من هذا أن رسول الله ﷺ لم يكن يعلم " من حكم الله إلا ما أعلمه الله .. ويأتيه جبريل بالسنة كما يأتيه بالقرآن ولذلك قال :(أوتيت الكتاب ومثله معه) يعني السنة " [3].

ثانياً- القرآن كلام الله معجز البيان ولا يضاهي قوله بقول البشر وإلا لما تحداهم الله تعالى بقوله : (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[4] ، وعليه فمحاولة مساواته بكلام البشر ما هي إلا تخرصات وأكاذيب يتبناها المستشرقون المعادون للدين ، وهي محاولات يائسة مارسها الكفار من قبل على عهد رسول الله ﷺ حسداً من عند أنفسهم ، يقول الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[5] .

قال الرازي[6] في تفسيره :" واعلم أن القوم علموا أن القرآن كلام كامل في المعنى وفي اللفظ ، وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه ، وقضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول ، فدبروا تدبيراً في منع الناس عن استماعه ، فقال بعضهم لبعض (لاتسمعوا لهذا القرآن) إذا قرئ وتشاغلوا عن قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته ... " [7]

---

[1] - سورة القيامة آية ١٧.

[2] - سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة . سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأسدي (٤/ ٢٠٠) دار الفكر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . (صححه الألباني) .

[3] - شرح صحيح البخاري . أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، (٨/ ٤٠١) مكتبة ابن رشد ، السعودية ، الرياض - ط ٢- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ،.

[4] - سورة الإسراء آية ٨٨ .

[5] - سورة فصلت آية ٢٦ .

[6] -الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة فريد دهره ونسيج وحده فخر الدين أبو عبد الله القرشي التيمي البكري ، ولد سنة أربع وأربعين وخمس مائة واشتغل على والده الإمام ضياء الدين وكان من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي وله تصانيف عدة منها تفسيره الكبير توفي الإمام فخر الدين بهراة في يوم عيد الفطر سنة ست وست مائة .الوافي بالوفيات (٤/ ١٧٥).

[7] - التفسير الكبير : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (٢٧/ ١٠٣) ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٣٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٣ - إن التشكيك في نزاهة صحابة رسول الله ﷺ خاصة فيما يتعلق بجمع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتأديتهم لها إلى من بعدهم كما تلقوها عن النبي الكريم ﷺ لهو وسيلة من وسائل الطعن في مصادرنا المعصومة ، والحق أن صحابة رسول الله ﷺ لم يدخروا وسعاً في تبليغ ما وعوه من رسول الله من الوحيين في غير زيادة ولا نقصان ، ومن عظيم حرصهم على ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه :" لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم وتلا (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) " [١]

ومما يدل على ذلك أيضاً موقف زيد بن ثابت ﷺ حين شروعه في جمع المصحف حيث قال ﷺ : " لما نسخنا المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمستها فلم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﷺ الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين قول الله عز وجل (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)[٢] . فماذا بقي للمتخرصين مع مثل هذه المواقف العظيمة التي تجعلنا بكل ثقة نقول بأنهم جيل رباني أحسنوا الحفاوة بالوحيين وكانوا على قدر كبير من الأمانة في النقل فرضي الله عنهم وأرضاهم .

٢ - شبهات البستاني حول العقيدة الإسلامية :

أولاً / حول النبي محمد ﷺ ومطاعنه في نبوته :

تجرأ هذا الماروني على شخص النبي ﷺ طاعناً في صدق نبوته معتمداً في ذلك على ما لم يصح من القصص ، أو مختصراً لبعضها ، أو مبالغاً في إيرادها ، تحقيقاً للارتياب في صحة نبوته ﷺ .

---

[١] - تفسير الطبري . محمد بن جرير الطبري (٥٤/٢) دار الفكر بيروت ، ١٤٠٥هـ .والآية رقم ١٥٩ من سورة البقرة .

[٢] - مسند أحمد بن حنبل حديث زيد بن ثابت ح(٢١٦٨٣) (ج ٥ ص١٨٨) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين . وسورة الأحزاب آية ٢٣.

- في (مادة : بحيرا)[1] زعم البستاني أن هذا الراهب[2] لقي النبي ﷺ وحادثه وأمعن النظـر في صفات النبوة من جسده فيقول :" كان (الراهب بحيرا) ينكر لاهوت المسيح ويقـول إن تسميته بإله غير جائز بل يجب أن يدعى كلمة ..... وكانـت تمـر عليـه العربـان والقوافل فكان ينذرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الأصنام ... ثم إن أبـا طالـب خرج إلى الشام وأخذ رسول الله[ﷺ] (وعمره) تسع سنين ..... فلما رأى بحيرا رسول الله[ﷺ]جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها مـن صـفته ، فلما فرغ من الطعام سأل النبي ﷺ عن أشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيـراً موافقة لما عنده من صفته ، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه - ثـم قـال البـستاني مستطرداً - ولا بد أن الدعوة إلى التوحيد كانت مما يوافـق مـذهب بحيـرا ومقـصده كمسيحي يحاول ردّ الوثنين من العرب إلى عبادة إله واحد "[3] .

والحق أن مثل هذه الدعاوى يسعى من خلالها أعداء الإسلام إلى القول بأن :" محمد ﷺ لقـي بحيرا الراهب فاخذ عنه وتعلم منه، وما تلك المعارف التي في القرآن إلا ثمرة هذا الأخذ وذاك التعلم وندفع هذا بأنها مجردة خالية من التحديد والتعيين ، ومثل هذه الـدعاوى لا تقبـل مـا دامت غير مدللة.

والأمر الثاني هو أن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين ، مرة في طفولته ومرة في شبابه ، ولم يسافر غير هاتين المرتين ولم يجاوز سوق بصرى فيهمـا، ولم يسمع من بحيرا ولا غيره شيئاً من الدين ، ولم يك أمره سراً هناك ..... وكل ما هنالك أن بحيرا الراهب رأى سحابة تظلله ﷺ من الشمس فذكر لعمه أنه سيكون لهذا الغلام شأن ، ثـم حذره عليه من اليهود ، وقد رجع به عمه خوفاً عليه ولم يتم رحلته. وكذلك روى هذا الحديث من طرق في بعضه ، ورواية الترمذي ليس فيها اسم بحيرا وليس في شيء من الروايات أنـه

---

[1] - رجل نصراني من عبد القيس يقال له جرجيس . الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧٩٤) وانظر : دائرة المعارف العربية (٢١٧/٥) .

[2] - الراهب هو العالم في الدين المسيحي من الرياضة والانقطاع عن الخلق والتوجه إلى الحق . التعريفات (١/ ١٤٦) .

[3] - انظر: دائرة المعارف العربية (٥/ ٢١٨) .

سمع أو تلقى منه درساً واحداً أو كلمة واحدة لا في العقائد ولا في العبادات ولا في المعاملات ولا في الأخلاق ، فأنى يؤفكون"[1] .

- وفي (مادة : تميم) الصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه قال عنه :" وقيل أن الرسول روى عن تميم قصة الجساسة[2] وهذه منقبة شريفة لا يشاركه فيها غيره "[3].

إن ما ورد في هذه المادة عن هذا الصحابي الجليل صوابا ولكن لنا أن نسأل أليس في سيرة تميم ﷺ غير ما ذكره عنه في قصة الجساسة وملاقاته للدجال ؟! ولعل البستاني يرمي إلى أمر لم يصرح به حقيقة[4] كما صرح به المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية حيث جاء فيها " وكان تميم نصرانياً كغالب عرب الشام فاستطاع أن يخبر النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى..... ويقال إن تميماً كان أول من روى القصص الديني ..... وقد اخبر بها تميم النبي فأخذ بروايته وأشاعها في الناس "[5] أما عن قصة الجساسة فقد وردت في صحيح مسلم[6]، وقال النووي عن الحديث " هذا معدود في مناقب تميم لأن النبي ﷺ روى عنه هذه القصة ، وفيه رواية الفاضل عن المفضول ورواية المتبوع عن تابعه ، وفيه قبول الخبر الواحد "[7] لذا لا يتوهم واهم أن هذه القصة من قبيل ما يسمى بالمسيحيات في الإسلام ، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح مفنداً هذه الشبهة : " وقد اتفقوا على أن تقرير النبي ﷺ لما يفعل بحضرته أو يقال ويطلع عليه بغير إنكار ، يدل على الجواز لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار فلا يقر على باطل "[8]. وبناء على ماسبق فإن

---

[1] - انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني (٢/ ٣٠٦) : دار الفكر - لبنان - ط١- ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

[2] - اسم للدابة التي رآها تميم الداري ومن معه في الجزيرة التي لقوا بها الدجال وصفوها بغزارة الشعر بحيث لا يدرى ما قبله من دبره، انظر القصة في صحيح مسلم .

[3]- دائرة المعارف العربية (٦/ ٢٢٣،٢٤٤) .

[4] - خلاصة ما جاء في هذه القصة هو ملاقاة تميم الداري وجماعة معه قذفت بهم السفينة إلى أحدى الجزر ولقوا فيها دابة غريبة الأوصاف يقال لها الجساسة دلتهم على مكان الدجال فلقيه تميم ومن معه وسألهم عن شأن النبي ﷺ ثم أخبرهم ببعض علامات خروجه آخر الزمان ، فلما لقي تميم النبي ﷺ أخبره الخبر ، فزعم الزاعمون أن خبر الدجال لم يعرفه إلا من قصة الجساسة التي ذكرها له تميم الداري ﷺ .ولم يتلق ذلك من الوحي .

[5] - انظر : دائرة المعارف الإسلامية (مادة : تميم الداري) : مجموعة من المستشرقين (النسخة العربية) ،إعداد وتحرير/إبراهيم زكي رشيد و أحمد الشناوي ود.عبد الحميد يونس (٥٩/١٠) ، دار الشعب - القاهرة .

[6] - صحيح مسلم . كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة (٢٢٦١/٤) .

[7] - صحيح مسلم بشرح النووي (٨١/١٨) .

[8] - فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٢٣ و ٣٢٤) .

إيراد القصة مقتضبة بهذه الطريقة التى أتى بها البستاني لا تحمل إلا نتيجة واحدة وهي الطعن مجدداً في نبوة محمدﷺ .

- وفي (مادة : خاتم) وصف خاتم النبوة الذي بين كتفي النبي ﷺ بكثير من المبالغات التي يرمي فيها إلى القدح في نبوته فقال : " وخاتم النبوة قد اختلف الناس في صفته على عشرين قولاً وهو علامة كانت في كتف النبي محمد ﷺ ... وروي كالتفاحة وكزر الحجلة مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله... "[1].

يجاب عن مثل تلك المبالغات بما ذكره ابن حجر في الفتح حيث قال معلقاً على تعدد الأقوال في شأن صفة خاتم النبوة حيث قال :" وما ورد من أنها كانت كأثر محجم أو كالشامة السوداء أو الخضراء ، أو مكتوب عليها محمد رسول الله أو سر فأنت منصور أو نحو ذلك فلم يثبت منها شيء "[2]. وكل حديث في هذا الأمر إنما هو محاولة لتشكيك المسلمين في صدق نبوة نبيهم ﷺ.

ثانياً/ البستاني يدعو إلى عقيدة النصارى:

يورد في مواد موسوعته بعضاً من معتقدات النصارى بأسلوب سلس مبسط ناقش وعرض من خلاله بعض المسائل في تجاهل كامل لما يخالفها أو يعارضها لدى المسلمين من معتقدات ومن ذلك:

- ماجاء في (مادة : جلجثة) وقال فيها : " معناها الجمجمة. هو الجبل الذي صلب عليه المسيح كان أولاً خارج أسوار أورشليم[3] ... "[4].

تحدث البستاني هنا داعياً إلى أهم عقائد النصارى وهي عقيدة الصلب التي تخالف تماماً ما يعتقده المسلمون تجاه النبي عيسى بن مريم عليه السلام ، فالصليب الذي يتخذه النصارى موضوع " على معصية لزعمهم أن عيسى ابن مريم عليه السلام قتل وصلب على مثله فاعتقاد إعظامه طاعة والتمسك به قربة وقد أخبر الله بتكذيبهم فيه ومعصيتهم به فقال:

---

[1] - انظر : دائرة المعارف العربية (٧/ ٣١٨) .

[2] - فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٥٦٣).

[3] - أورشليم بالعبرانية هي مدينة بيت المقدس. انظر : مفاتيح العلوم (٧٥/١)

[4] - دائرة المعارف العربية (٤٩٧/٦) .

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)[1]" [2].

- وفي (مادة : دجال) كان له كلام في عقيدة النصارى بشأن نبي الله عيسى عليه السلام وخصمه دجال آخر الزمان بعضه حق كقوله :" وذكر خصماً للمسيح في كتاب النصارى المقدس خمس مرات "[3] وبعضه باطل كما في قوله :" قد دخل العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح - ويتابع نقلا عن نصوص من كتبهم المحرفة - وفي هذه الآيات اعتراف بتعليم سابق بأن ضد المسيح سيأتي ، وتصريح بوجود أضداد كثيرين خرجوا من المسيحيين وليسوا منهم ووصف الضد للمسيح بالذي ينكر الآب والابن أو لا يعترف بأن المسيح قد جاء في الجسد"[4].

وهذه محاولة أخرى يهدف البستاني من خلالها إلى بيان عقيدته في المسيح وأنها العقيدة الحقة ومن خالفها فهو من جملة الأضداد الذين يتزعمهم دجال آخر الزمان يدخل في ذلك المسلمون وغيرهم . وقد جاء في سنة النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحذر من فتنة المسيح الدجال ، فقد صح عنه ﷺ قوله للصحابة رضوان الله عليهم: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامروء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته ..... ثم ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لُدٍّ[5] فيقتله)[6]. أما حقيقة نزول المسيح عيس عليه السلام في آخر الزمان فليس لنصرة النصرانية وتأييد من يؤمن بالآب والابن كما يزعم البستاني

[1] - سورة النساء آية ١٥٧- ١٥٨ .

[2] - الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني : علي بن حبيب الماوردي البصري الشافعي (٢٢٠/٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ط١ ، تحقيق الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

[3] - دائرة المعارف العربية (٧ /٦٤٢) .

[4] - انظر : المصدر السابق (٧ /٦٤٢) .

[5] - لد بالضم والتشديد وهو جمع ألد والألد الشديد الخصومة قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى بن مريم الدجال فيقتله . معجم البلدان (٥ /١٥) .

[6] - انظر: سنن أبي داود :سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي : كتاب الملاحم باب في خبر الجساسة . ح(٤٣٢١) (٤/ ١١٧) . (صححه الألباني)

فذلك كله باطل مردود لقوله ﷺ :" والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مـريم حكمـا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد "[1] مما يدل على أنه عليه السلام سيحكم بالشريعة المحمدية لا بشريعة النصارى.

- وقال في (مادة : أسبوع) مبيناً ترتيب أيام الأسبوع : " أما العرب فيبتدئون من الأسـبوع بيوم الأحد وسموها بأسماء توافق تعليلهم في ترتيبها ، وأما الجمعـة ومعنـاه اجتمـاع الناس فلأن الخلق اجتمعوا فيه ، والسبت وهو عبراني ومعناه راحة لأن الله انقطع فيـه على قولهم عن العمل ..... ولكن وافق يوم الجمعة لليوم السادس لاجتماعهم فيه "[2].

يتغافل البستاني هنا عن ذكر فضل يوم الجمعة على سائر الأيام متأثراً بمعتقده وداعياً إليه ، حيث يعتقد النصارى بأفضلية يوم الأحد على سائر الأيام ولا حجة لهـم فـي ذلـك ولا برهان . ويجاب عن هذا بما جاء عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريـرة رضـي الله عنه :" خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خُلق آدم وفيه أُدخل الجنة وفيـه أُخـرج منها "[3]. ولقد خص الله هذه الأمة بذلك اليوم الفضيل وصرف عنه الأمم السابقة تكرمـةً لهـا ورفعاً لمنزلتها ، يقول ﷺ :" نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفـوا فيـه مـن الحق ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغداً لليهود وبعد غدٍ للنصارى "[4] .

ثالثاً/ شبهه حول عقيدة الإيمان بالله :

خاض البستاني في مسألة التوحيد وبيان معناه بغير علم ولا هدى ونسب أقواله الملفقة والمغلوطة إلى العلماء من باب الطعن في عقيدة المسلمين، حيث قال:

---

[1] - صحيح البخاري كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير (٢ / ٧٧٤) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٣٦٧/٣).

[3] - صحيح مسلم : كتاب الجمعة . باب فضل يوم الجمعة (٢/ ٥٨٥) .

[4] - صحيح مسلم : كتاب الجمعة. باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٥٨٥/٢) .

- في (مادة : توحيد) شارحاً لكلمة (توحيد) : " هي في عبارة العلماء اعتقاد وحدانيــة الله تعالى ..... والوحدانية أنه كونه واحد بذاته غير مركب من أجــزاء كتركيــب الأجــسام وليس له شريك في الألوهية ..... فتكون صفات الله عشرين واحدة نفسية وسبع صفات معانٍ وسبع معنوية وخمس سلبية ويستحيل عليه أضدادها التي هــي عــشرون أيــضاً. ومباني الإسلام خمسة ... "[1].

تحدث البستاني هنا عن عقيدة التوحيد حيث أورد تعريف العلمــاء لــه وخــاض فــي المسألة بغير علم ، وما ذكره لا يصلح أن يكون تعريفاً وافياً لمصطلح التوحيد بل هو نــاقص المعنى . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[2] رحمه الله " وليس المراد بالتوحيد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظن من أهل الكــلام والتــصوف ، ويظــن هؤلاء أنهم اثبتوا ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية التوحيد ، ويظن هؤلاء أنهــم إذا شــهدوا هــذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد "[3] وقال في موضع آخر " إنما التوحيد الذي أمر الله بــه العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده لا شريك لــه فيكــون الدين كله لله ، ولا يخاف إلا الله ولا يدعى إلا الله .... "[4]

ويرد على ادعاء حصر صفات الله تعالى بعدد معين نقلاً عن المتكلمين ومذاهبهم فــي الأسماء والصفات بقاعدة جليلة عند السلف رحمهم الله تعالى مفادها " الإيمان بما وصفه بــه نفسه في كتابه وبما وصفه به رسول محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غيــر تكييــف ولا تمثيل بل يؤمنون بالله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفوا عنــه مــا

[1] - انظر دائرة المعارف العربية (٦ /٢٦١) .

[2] - أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني الشيخ الإمام العلامة الفقيه المفسر الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء . ولد بحران عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وتحول به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى وصنف في فنون العلم ولعل تواليفه تبلغ ثلاثمائة مجلدة وكان قوالا بالحق نهاء عن المنكر ذا سطوة وإقدام وعدم مدارة . انظر : فوات الوفيات (١ /١٢٥) .

[3] - درء تعارض العرض والنقل : تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية ، (٣٧٧/٩) ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن .

[4] - منهاج السنة النبوية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (٢٨٩/٣- ٢٩٠) مؤسسة قرطبة ١٤٠٦هـ ، ط١ ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم .

وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ..."[1]، وعلى ذلك فأسماء الله وصفاته أكثر من أن تحصر في عدد قليل لأن ذلك من دلالات عظمته وكماله سبحانه.

رابعاً/ شبهه حول بعض الغيبيات:

خاض البستاني في بعض مسائل الغيبيات بغير علم ولا هدى وبأسلوب ساخر معارضاً ومتجاهل ما صح نقله في شأنها من باب الطعن في عقيدة المسلمين، حيث قال:

- وفي (مادة : حورية) واصفاً حور الجنة :" والحور في الجنان أربع رتب بيض وخضر وصفر وحمر ، ورائحة الطيب والمسك تفوح من أجسادهن دائماً فتعطر الأرجاء ، وقيل مكتوب على وجه كل واحدة منهن من أحبني فليعمل مشيئة الله فيراني ويعاشرني وأسلم نفسي إليه ، فكل من عمل أعمالاً صالحة وصام رمضان ولم يخرج عن السنة يكون له نصيب منهن في الجنة "[2].

هنا يتناول البستاني الحديث عن نعيم الجنة بنوع من السخرية مع يقيني أنه يعلم أن قوله هذا يعارض النصوص الصحيحة عن الصادق المصدوق من أخبار الآخرة، إذ يسم الحور بتعدد ألوانهن والكتابة على وجوههن ، وهذا مما لم يرد في شرعنا فما هذا الزور والبهتان ولم هذا السفه ؟ ومن جهة أخرى فما ذكره عن حور الجنة في حقيقته ليس مزية حسن بل ذلك مما يزهد في الشوق إلى نيلهن والفوز بملاقاتهن في الجنة. وفي المقابل فالوصف اللائق بهن هوىما ثبت عن ابن مسعود ﷺ قوله:(إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهن ذلكم بأن الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان ..)[3]

وفي (مادة : أبو طالب) قال زاعماً إسلام عم النبي ﷺ قبل وفاته :" وقع الاختلاف في إيمانه . وقيل لما قربت وفاته وهو على فراش الموت جعل يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس بإذنه وقال والله يا ابن أخي لقد قال الكلمة ، فقال الرسول الحمد لله الذي هداك يا عم" [4].

---

[1] - العقيدة الواسطية : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق : محمد بن عبد العزيز بن مانع. (٦/١) الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء - الرياض - ١٤١٢هـ ، الطبعة : الثانية .

[2] - دائرة المعارف العربية (٧ /٢١٧) .

[3] - تفسير الطبري (٢٧ /١٥٢) .

[4] - دائرة المعارف العربية (٢/ ١٩٧).

لم يقع الخلاف في وفاة عم النبي ﷺ على الكفر وهو قول لا صحة له لذا نـرد علـى هذه الأكذوبة بما جاء في صحيح السنة عن ابن المسيب[1] عن أبيـه : " أن أبـا طالـب لمـا حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلـب فلـم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ لاستغفرن لـك ما لم أنه عنه فنزلت (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)[2] "[3] . ومن قال غير هذا فهو مكذب لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبـي سعيد الخدري[4] ﷺ السابق أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال : لعله تنفعه شفاعتي يـوم القيامة فيجعل في ضحاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه " [5].

فربما استقى البستاني هذا الرأي " من أقوال الشيعة[6] المنحرفة ".[7] أما عذابه الذي يعذب به في النار يوم القيامة فهو من الغيب الذي أبانه الله لنبيه ﷺ وقد جاءنا بنص صحيح صريح.

- وفي (مادة : خيال) يقول متحدثاً عن الخيال :" ألا ترى إلى النبي ﷺ كيـف جعـل هـذا المحسوس مناماً والمنام خيالاً حيث قال : " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا "، يعني تظهـر عليهم الحقائق التي كانوا عليها في دار الدنيا ، فيعرفون أنهم كانوا نيامـاً لأن بـالموت يحصل الانتباه الكلي. فإذا الغفلة منسحبة على أهل البرزخ وأهل المحشر وأهـل الجنـة

---

[1] - سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة المخزومي القرشي، كنيته أبو محمد ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وأم سعيد بن المسيب بنت عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي، وكان من سادات التابعين فقها ودينا وورعا وعلما وعبادة وفضلا وكان سعيد سيد التابعين وأفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين . انظر: الثقات (٤ / ٢٧٣).

[2] - سورة التوبة آية ١١٣ .

[3] - صحيح البخاري .كتاب فضائل الصحابة . باب قصة أبي طالب (١٤٠٩/٣) .

[4] -أبو سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك بن سنان الخزرجي من سادات الأنصار وكان أبوه ممن شهد أحدا مات بالمدينة بعد الحرة بسنة سنة أربع وستين . مشاهير الأمصار (١ /١١)

[5] - سبق تخريجه ص ٨٧ .

[6] -كانت بداية التشيع مع بدء الفتن التي وقعت في عهد علي ﷺ بمعنى المناصرة والوقوف إلى جنب علي ﷺ ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان ﷺ وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة . ثم تحول على يد عبد الله بن سبأ اليهودي بعد ذلك إلى مذهب يقوم على سب الصحابة وتكفيرهم والتبرؤ منهم وما استثنى إلا القليل منهم . انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١/ ١٣٦).

[7] - انظر شرح نهج البلاغة: أبو حامد عز الدين هبة الله المدائني (٣٧/٤)، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ،ط١، تحقيق محمد عبد الكريم النمري .

والنار إلى أن ينجلي عليهم الحق في الكثيب الذي يخرجون إليه أهل الجنة فيشاهدون الله تعالى وهذه الغفلة في النوم فكل العوالم أصلها خيال ..... وكذلك أهل القيامة فإنهم لو وقفوا بين يدي الله للمحاسبة فإنهم مع المحاسبة لا مع الله ، وهذا نوم لأنه غفلة عن الحضور لكنهم أخف نوماً من أهل البرزخ وكذلك أهل الجنة والنار"[1].

ناقش البستاني في هذه المادة ركن أساس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، وتقول فيه بغير علم وعارض النصوص الصحيحة الصريحة في شأنه ، جاعلاً كل ما يعرض للإنسان بعد موته ابتداءً من حياته في البرزخ وانتهاءً بنعيم الجنة وعذاب النار من قبيل الخيال الذي لا حقيقة له ، وأن الناس في كل هذه المراحل في حالة نوم ومعايشة خيال مستنداً لقولٍ نسبه للنبي ﷺ " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا "[2]، ولم يغفل علماء السلف الحديث عن هذه القضايا التي هي جزء من عقيدة المسلم، فالثابت عندهم : " أن الدور ثلاث دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ، وقد جعل الله لكل دار أحكام تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها ، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً، فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من النار مطابق للعقل وأنه لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .....ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً "[3].

خامساً/ شبهه حول مسائل الشرك بالله تعالى :

يدعوا البستاني في المواد التالية إلى اللجوء إلى الشعوذة والخرافات مثيراً لبعض المسائل التي تفسد عقائد المسلمين معارضاً بذلك الأدلة الصحيحة على تحريمها، ومما قال :

- في (مادة : حرف) زاعماً تأثير الأحرف على الكون قال :" وأما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء المركبة منها وتأثير الأكوان عن ذلك فأمر لا ينكر ثبوته عن كثير منهم تواتراً "[4] .

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٧ /٥٠٦).

[2] - أخرجه ابن عساكر عن علي موقوفاً ، انظر الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث (١/ ٢٤٦) .

[3] - انظر شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي (٤٥٢/١) المكتب الإسلامي – بيروت ١٣١٩ هـ ط٤ .

[4] - دائرة المعارف العربية (٧/٧).

يساوم البستاني على عقيدة المسلم هنا متحدثاً عن تعلـم الحـروف (أبجـاد) وبيـان حقيقتها وتأثيرها في الكون والطبيعة مبيناً بأن هذا الأمر لا ينكر ثبوته ، وهي مسألة تنـاقض ما جرى عليه معتقد أهل السنة والجماعة من أنها أمور شركية تقدح في العقيدة ، فقـد روى ابن عباس ﷺ أنه قال " في قوم يكتبون (أبجاد) وينظرون في النجوم قال : ما أرى مـن فعـل ذلك له عند الله من خلاق "[1] لكون التأثير في الطبيعة أمر استأثر الله تعالى به لنفسه الكريمة.

- وفي (مادة : تنجيم) قال معرفاً إياه بأنه :" يراد به معرفة الحوادث المـستقبلية برصـد الكواكب من سيرها وطلوعها ... وهو إما استدلالي يراد به معرفة ما قدر على الإنـسان من قضاء الباري تعالى قبل وقوعه ، أو حسابي وهو المعرفة من حوادث الطبيعـة ..... وأما الشرع الإسلامي فقد حرمه ثم أفسده أئمتهم المعول على أرائهم "[2].

لقد جعل البستاني من دائرته مدونة لمحاربة الإسلام عقائدياً وفكرياً فقد تحـدث هنـا عن تعلم علم النجوم أو ما يسمى بالتنجيم وهو أمر فيه معارضة لنهي الشرع لمـا فيـه مـن إدعاء علم الغيب كما أنه يفضي إلى الشرك لما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال :" قال رسول الله ﷺ : من أقتبس علماً من النجوم أقتبس شعبة من سحرٍ مـا زاد زاد ومـا زاد زاد"[3]، قال الأمام البغوي[4] رحمه الله تعالى " والنهي عنه من علم التنجيم ما يدعيه أهلها مـن معرفة الحوادث التي تقع في مستقبل الزمان مثل إخبارهم بوقت هبـوب الريـاح ، ومجـيء المطر ، ووقوع الثلج ، وظهور البرد ، وتغير الأسعار ونحوها ، يزعمون أنهـم يـستدركون معرفتها بسير الكواكب ، واجتماعها وتفرقها وهذا علم أستأثر الله عز وجل به لا يعلمه أحـد

[1] - شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي (١٨٣/١٢) المكتب الإسلامي ،دمشق ، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ، ط٢، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش .

[2] - انظر : دائرة المعارف العربية (٦ /٢٢٧).

[3] - مسند الإمام أحمد بن حنبل . حديث بن عباس ﷺ .ح (٢٨٤١) (١/ ٣١١) ، قال شعيب الأرناؤوط (إسناده صحيح) .

[4] -الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، كان إماما في التفسير إماما في الحديث إماما في الفقه، وله من التصانيف معالم التنزيل في التفسير وشرح السنة، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة وقد جاوز الثمانين. انظر : طبقات المفسرين (١ /٥٠).

غيره "[1]، وفي الجملة فكل هذا غيب لا يعلمه إلا الله قال سبحانه (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)[2] .

ولا حقيقة لما ذهب إليه البستاني من أن علماء الأمة أبطلوا حديث رسول الله ﷺ الذي نص على تحريم التنجيم فلماذا يصر البستاني على تضليل القارئ ويناقش أمور تبطل توحيده وتحارب عقيدته ؟! .

- وقال البستاني في (مادة : أبراكاد ابرا) شارحاً هذه اللفظة ومبيناً مدلولها :" كانوا يعتقدون أنها تشفي من الحمى إذا كتبت أحرفها مقطعة على شكل مثلث في أحد عشر سطراً ينقص كل سطر منها حرفاً عما قبله وتقرأ من جهات مختلفة ، وذلك على رقعة من الورق أو الكتان مربعة تثقب على شكل صليب بخيط أبيض وتطوى بحيث تختفي الكتابة ، وتعلق الورقة في عنق المريض كعوذة مدة تسعة أيام ثم تنزع من عنقه قبل شروق الشمس على ضفة نهر مجراه إلى المشرق ..."[3]

تطرق البستاني هنا إلى مسألة الاستشفاء بالتعاويذ والتمائم التي بها صلبان وكلمات لا يعرف معناها معارضاً بذلك الشرع المطهر الذي قطع بحرمة هذه الأفعال لكونها تهدد عقيدة المسلم وتنقله من الإيمان إلى الشرك ، فهو من خلال ما ذكر من أباطيل يستميل أصحاب الأنفس الضعيفة ليخرجهم من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر عياذاً بالله تعالى ، وصدق الله تعالى إذ يقول (وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء)[4]، ويُردُ على تلك الخرافات التي كان الأولى بالبستاني أن يترفع عن إيرادها احتراماً لعقول القراء بالحديث الوارد عن المصطفى ﷺ " إن الرقى والتمائم و التولة شرك " [5] لكون هذه التمائم تحوي عبارات مجهولة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً علة تحريمها : " كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به فضلاً عن أن يدعوا به ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية ، وإنما رخص لمن لا يعرف العربية

[1] - شرح السنة (١٢/ ١٨٣) .

[2] - سورة النمل آية ٦٥ .

[3] - دائرة المعارف العربية (١/ ٢٠٧).

[4] - سورة النساء آية ٨٩.

[5] - سنن أبي داود . كتاب الطب . باب في تعليق التمائم ح (٣٨٨٣) (٩/٤) صححه الألباني.

فأما من جعل الألفاظ العجمية شعاراً فليس من الإسلام .. وسئل ابن عبد السلام[1] عن الحروف المقطعة فمنع منها مالا يعرف لئلا يكون فيه كفر " [2] أرأيت كيف يتقصد البستاني عقائد المسلمين ويعمل على محاربتها والقضاء عليها .

- وقال في (مادة : صفر) مورداً نصوصاً لا صحة لها في مشروعية التشاؤم بشهر صفر: " وذهب الجمهور أن القعود في هذا الشهر أولى من الحركة وروى عن النبي (ﷺ) أنه قال : من بشرني بخروج صفر أبشره بالجنة ..." [3]

حاول البستاني هنا إذكاء شيء من عادات الجاهلية التي نبذها الإسلام واندثرت بفشوه ورداً على ذلك نقول كيف يرغب النبي ﷺ في أمر ما وينهى عن فعله في نفس الأمر ، فأما القول المنسوب إلى النبي ﷺ في التبشير بخروج صفر فلا صحة له ، بل ثبت عن النبي ﷺ أنه قال " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر " [4]

قال ابن القيم [5] رحمه الله معلقاً على هذا الحديث " أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها . والنفي في هذا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ، والنهي يدل على المنع "[6]

الرد على شبهات البستاني المثارة حول العقيدة الإسلامية :

أولاً / مطعن البستاني في نبوة محمد ﷺ لا تقوم له حجة فقد أخبرنا الباري جل وعز أن كتب السابقين بشرت به عليه الصلاة والسلام ، قال سبحانه : (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)[7]، وفي موضع

---

[1] - عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الشيخ الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي ثم المصري ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة وتفق ، برع في جميع العلوم وله تصانيف مفيدة كا آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر .توفي بمصر سنة ستين وستمائة . انظر : طبقات الشافعية (٢ / ١٠٩) .

[2] - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٣٦) .

[3] - دائرة المعارف العربية (١٠ / ٧٢٨).

[4] - صحيح البخاري. كتاب الطب ، باب الجذام (٥ / ٢١٥٨) ح (٥٣٨٠) .

[5] - محمد بن أيوب الزرعي الفقيه العالم شمس الدين الأشقر، سمع الشيوخ في أيام ابن البخاري ونظم الشعر، مولده قبل الستين وستمائة (٦٦٠ هـ/ ١٢٦١م) ، توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة (٧١١ هـ/ ١٣١١م) .انظر: معجم المحدثين (١ /٢٢٤).

[6] - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (٢/٢٣٤) دار الكتب العلمية – بيروت .

[7] - سورة الشعراء آية ١٩٦.

آخر يقول سبحانه رداً على منكري رسالته من اليهود والنصارى (يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ) [1].

بل من النصوص التوراتية والإنجيلية ما هو شاهد على أنه نبي مرسل أوحي إليه كما أوحي إلى النبيين من قبل مع أنه قد حرف الكثير منها فمما بقي :

ما جاء في سفر التثنية، الإصحاح (١٨) فقرة (١٥) يقول الرب تعالى ((يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون)) .

وجاء في إنجيل يوحنا الإصحاح (١٤) فقرة (١٥-١٨) :((إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي / وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد / روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث فيكم)) .

ثانياً / تحدث البستاني عن تعاليم الدين النصراني، تارة بالتوسع في ذكر عقائده وتارة ببيان بعض مصطلحاته، ذباً عنه، وترغيباً في اعتناقه، ولا شك عند كل مسلم أنه دين نُسخ بالإسلام لما جرى عليه من التحريف والتبديل ، ولذا فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال :" والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار "[2] ، قال الأمام النووي[3] رحمه الله في شرح هذا الحديث أنه :" نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ وفيه مفهوم دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور ..... وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيهاً على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب ... "[4].

وإجمالاً فقد ارتضى ربنا جل وعز علو الإسلام واختتام الأديان به ليكون شاهداً على ما اعتراها من الانحراف ودخول العقائد الوثنية فيها كعقيدة الصلب والقول بالأقانيم[5] الثلاثة وغير

---

[1] - سورة الأعراف آية ١٥٧.

[2] - صحيح مسلم . كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جمع الناس ونسخ الملل بملته ح (١٥٣) (١٣٤/١) .

[3] - شيخ الإسلام حيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام ابن محمد بن جمعة النووي الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا، ولد النووي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى ، وتفنن في أصناف العلوم فقها ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وغير ذلك . انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٨ /٣٩٥) .

[4] - انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨٨/٢) .

[5] - تقول النصارى أن عيسى جوهر واحد وثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الإبن وأقنوم روح القدس . الأقانيم : الأصول ، واحدها أقنوم قال الجوهري : وأحسبها رومية . لباب التأويل في معاني التنزيل (٦٢٦/١) و لسان العرب (١٢/ ٤٩٦) .

ذلك لذا لم تعد صالحة للاعتناق والاعتقاد .... يقول تبارك وتعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ)[1].

ثالثاً / موقف الإسلام من الخرافات والتنجيم :

أورد البستاني بعضاً من المعتقدات والأباطيل التي تصادم عقيدة المسلم، كحديثه عن أمور يزعم أنها تكشف لنا المغيبات ، والاستطراد في ذكر بعض الخرافات التي تقدح في إسلام من يأخذ بها ويصدقها ، وقد قال تعالى: (وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[2].

وفيما يتعلق بمسائل التنجيم عموماً يخلص ابن بطة[3] إلى القول بأن :" ما لا يجوز النظر فيه والتصديق به ويجب علينا الإمساك عنه من علم النجوم فهو أن لا يحكم النجوم بفعل ولا يقضي لها بحدوث أمره كما يدعي الجاهلون من علم الغيوب بعلم النجوم ولاقوة إلابالله "[4].

وخلاصة القول : إن للدين الإسلامي شريعة تحكم أتباعه وتصونهم عن الوقوع في مثل هذه الانحرافات العقدية وليسو بحال كأصحاب الأديان المنحرفة فاؤلئك " أضعف الناس عقولا وأقلهم فطنة وتحصيلا فهم لذلك يعتقدون في الله المحالات وينكرون الضروريات ويستندون في أحكامهم إلى الخرافات فتارة يسندون قضاياهم إلى منامة رأوها أو خرافة سمعوها وما وعوها وأخرى تحكم فيهم متقسس[5] جاهل بمحض الجهل والهوى والأباطيل من غير أن يستدل على جواز شيء مما يريد أن يفعل من الأفاعيل لا بتوراة ولا بإنجيل ...."[6]

---

[1] - سورة المائدة آية ٧٢-٧٣ .

[2] - سورة هود آية ١٢٣ .

[3] - هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان الإمام القدوة أبو عبد الله ابن بطة العكبري الفقيه الحنبلي ، كان مجاب الدعوة أمارا بالمعروف لم يبلغه خبر منكر إلا غيره ، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاث مئة . انظر: الوافي بالوفيات (٢٧١/١٩) .

[4] - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله بن محمد بن بطة العكبرى (٢٤٤/١) ط٢، تحقيق عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

[5] - القس : رئيس من رؤساء النصارى في الدين وهو في مرتبة بين الأسقف والشماس والحاذق يقال فلان قس إبل عالم بها قسوس على زنة فلوس. المعجم الوسيط (٧٣٤/٢) .

[6] - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (٣٩٣/١) دار التراث العربي ، القاهرة ، تحقيق أحمد حجازي السقا .

رابعاً / موقفنا من الأمور الغيبية :

في مسائل الاعتقاد بعامة وما له علاقة بالغيبيات بخاصة كإخبار الله عن اليوم الآخر وما جاء فيه من نعيم الجنة مما لا يحيط الإنسان بإدراكها ولم تبلغه معرفتها إلا عن طريق النص الشرعي، فلا هي من قبيل الخيال ولا تخضع للآراء ، يجب على كل مسلم التسليم لها والإذعان لما جاء في النصوص منها كما كان حال السلف رحمهم الله قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عنهم :" وكان من أعظم ما أنعم الله عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا بذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده. فإنهم ثبت عندهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم بينهم هو الفصل ليس بالهزل "[1].

٣- شبهات البستاني حول تشريعات وأخلاق الإسلام :

في كثير من التشريعات والأخلاق الإسلامية يتخذ البستاني في تهجمه عليها الأساليب التالية :

أولاً/ أسلوب السخرية والتهكم والمبالغة في تصوير الخلاف بين العلماء عند إيراد بعض المسائل الفقهية طعناً في الشريعة:

- وفي (مادة : أبو رافع القبطي[2]) متحدثاً عن خبر عتقه وكيف أنه صار مولى لرسول الله ﷺ يقول :" قيل كان للعباس فوهبه للرسول (ﷺ) فلما أسلم العباس بشر أبو رافع الرسول بإسلامه فاعتقه، وقيل كان لسعيد بن العاص بن احيحة[3] فورثه عنه بنوه وهم ثمانية وقيل عشرة فاعتقوه كلهم إلا واحداً يقال له خالد بن سعد تمسك بنصيبه منه. وقد قيل

[1] - مجموع الفتاوى (٢٨/٣).

[2] -أبو رافع مولى النبي ﷺ القبطي يقال إبراهيم وقيل أسلم مات بعيد عثمان ﷺ. الكاشف (٢ /٤٢٥).

[3] - هو ابن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان أميرا شريفا جوادا ممدحا حليما وقورا ذا حزم وعقل يصلح للخلافة، ولي إمرة المدينة غير مرة لمعاوية وقد ولي إمرة الكوفة لعثمان بن عفان ، مات مع أبي هريرة سنة سبع أو ثمان وخمسين . انظر : سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٤٥).

إنما اعتقه منهم ثلاثة واستمسك بعض القوم بحصصهم منه فأتى أبو رافع الرسول يستعينه على من لم يعتق منهم ، فكلمهم فيه الرسول فوهبوه له فاعتقه "[1].

أثار البستاني هنا قضية الرق في الإسلام بشكل ساخر من خلال قصة عتق أبي رافع من قبل النبي ﷺ ، فزاد في القصة ونقص وغير وبدل، حنقاً منه على الإسلام وتشريعاته، ففيما يتعلق بمجريات هذا الحدث فالحق أن الأمر على خلاف ما ذكره البستاني حيث قال ابن حجر رحمه الله :" كان أبو رافع عبداً لأبي أحيحة سعيد بن العاص فأعتق بنوه نصيبهم منهم خالد بن سعيد فوهب نصيبه لرسول الله صلى فأعتقه ... "[2]. وليس من داع لهذه المبالغات التي تفضي إلى تحميل الأمر مالا يحتمل بل ينبغي أن ينظر إلى محاسن الإسلام التي اتضحت في هذه القصة حيث بان لنا مدى سماحة الإسلام ودعوته للتحرر من قيود الرق والعبودية.

- وفي (مادة : زرافة) قال في حكم أكل لحم الزرافة مركزاً حديثه على خلاف العلماء في شأنه قائلاً :" إن في حكم الزرافة وجهين أحدهما التحريم .. وفي شرح المهذب للنووي أنها محرمة بلا خلاف....، والثاني الحل وممن أفتى الشيخ تقي الدين بن أبي الدم الحموي[3]..."[4].

وهنا بالغ في تصوير مدى الخلاف بين العلماء وقدم رسالة مفادها التشكيك في الشريعة والقدح فيها من خلال تهويل الخلاف بين الفقهاء في هذه المسألة والحق في حل لحم الزرافة من حرمته أنه مختلف فيه عند الأئمة[5] ويرجع ذلك لاختلاف فهومهم فيما بلغهم من الأدلة ليس إلا، والذي لا أشك فيه قياساً على ما لاحظته مما سبق من مواد هذه الموسوعة أن البستاني قصد بذكر هذا التباين بين أراء العلماء إيراد شبهة اختلافهم حول المسائل الفقهية، مما نتيجته خلق جو من الحيرة تجاه أحكام الشريعة لدى العامة، وسيأتي الرد على هذه الشبهة في حينه.

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٢ / ١٥٠).

[2] - تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٠٠/١٢) دار الفكر - بيروت - ط١ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

[3] - هو العلامة شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن أبي الدم الهمداني الحموي الشافعي، صنف أدب القضاة ومشكل الوسيط وجمع تاريخا وألف في الفرق الإسلامية وغير ذلك، وله نظم جيد وفضائل وشهرة، توفي في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وست مئة وله ستون سنة سوى أشهر رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٥/٢٣).

[4] - دائرة المعارف العربية (٢١١/٩).

[5] - انظر الشرح الكبير لابن قدامة (٨١/١١) .

ثانياً : أسلوب المغالطة والتلفيق والخلط بين الأحكام وتجاهل النص الصحيح ومعارضته :

- في (مادة : صلاة) قال مبيناً بعض أحكامها ومتحدثاً عن هذه الشعيرة بغير علم: "ويفرضها الشرع فرض عين على كل مكلف ويحكم بإسلام فاعلها مع جماعةٍ، وهي عبادة بدنية مخصصة محضة فلا نيابة فيها أصلاً ... "[1] يربط البستاني هنا بين الإسلام وصلاة الجماعة متقولاً في هذه المسألة بما ليس له به علم حيث زعم أنه لا يتحقق الإسلام إلا بأداء الصلاة جماعة وهذا مخالف للدليل، فقد روى أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ يقول:" صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة " [2]، قال العلماء في شرح هذا الحديث " والحديث دليل على أن الجماعة غير شرط للصلاة وإلا لم تكن صلاة الفذ ذات درجة حتى تفضل عليها الجماعة بدرجات، والتمسك به على عدم وجوبها ضعيف إذ لا يلزم من عدم اشتراطها عدم وجوبها، ولا من جعلها سبباً لإحراز الفضل الوجوب فإن غير الواجب أيضاً يوجب الفضل)[3] ١.هـ، بل لو كان الأمر كما يذكر البستاني لخرج كثير من الناس من حوزة الإسلام لمجرد فوات صلاة الجماعة ولو لفرض واحد، وعليه فهذا قيد باطل الصقه البستاني في تشريعاتنا بلا دليل ولا نسلم له بذلك.

- وفي (مادة : سُنة) قال متحدثاً عن بعض سنن الإسلام بما لا يستند فيه إلى دليل : "وتسمى سنة مؤكدة أيضاً كالأذان والجماعة والسنن الرواتب ، كسنة الفجر والظهر والعصر والمغرب والركعتين اللتين بعد صلاة العشاء "[4].

يخلط البستاني المسائل ببعضها فمن المعلوم أن الشارع ينهى عن نوافل الصلوات بعد العصر ، وقد ورد النهي عن ذلك كما جاء في الأثر المروي عن معاوية رضي الله عنه حيث قال : إنكم لتصلون صلاة لقد صحبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يصليها ولقد نهى عنهما يعني

---

[1] - دائرة المعارف العربية (١١/١٠).

[2] - صحيح البخاري . كتاب الجماعة والإمامة : باب فضل صلاة الجماعة (١ /٢٣١) .

[3] - فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي (٢١٧/٤) المكتبة التجارية الكبرى ، ط١- مصر ١٣٥٦هـ .

[4] - دائرة المعارف العربية (١٠/ ١٤١).

الركعتين بعد العصر "[1]. وذلك لأن " المشركين يسجدون للشمس حينئذ والشيطان يقارنها وقت الطلوع ووقت الغروب فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين فسد هذا الباب "[2] .

وفي (مادة : حج) ذكر بعض المناسك في عبادة الحج عند المسلمين فقال : " وذبح الشاة للقارن والمتمتع وصلوة ركعتين لكل أسبوع ... "[3]

وفي هذا القول خلط بين المسائل وتقول على الله بما ليس للبستاني به علم متقصداً عامداً للعبث والإيهام لذا وجب القول بأنه لا معنى لصلاة ركعتين لكل أسبوع في هذا الموضع، ولا دليل على فعلهما بدون مسوغ، والذي ذهب إليه علماؤنا في شأن هاتين الركعتين هو وجوبهما " من أي طواف كان ولو تركها الحاج فعليه دم وإن تكرر ذلك في كل أسبوع " هذا خلاصة ما جاء في حاشية الطحاوي.[4] فانظر كيف يخلط البستاني المسائل بعضها ببعض مع تعمد عدم التحري في ضبط النصوص التي يستقيها من كتب أهل العلم ؟!

- وفي (مادة : شهيد) قال ناقلاً عن كتاب التعريفات[5] :" الشهيد كل مسلم طاهر بالغ قتل ظلماً ولم يجب بقتله مالٌ ولم يرتث"[6].

هنا تجاهل البستاني نصوصاً صحيحة صريحة بينت مفهوم الشهيد في الإسلام وما أعد الله له من كرامة وقد وجدت هذا النص في نفس الكتاب الذي أشار إليه[7] ولكنه تعريف لم يستوف معنى الشهيد في حقيقته . وتعامى البستاني عما سواه من التعريفات واقتصر على ذلك المفهوم الضيق لمعنى الشهيد لتوافقه مع مبدأ نبذه لفريضة الجهاد عند المسلمين ، أما الشهداء في الإسلام فهم كثر ولا يقتصر هذا المسمى على من قتل ظلماً ، فعن أبي هريرة

---

[1] - صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة وقوله عز وجل (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) وقته عليهم - باب لا يتحرى الصلاة قبل غروب الشمس (١ /٢١٣) .

[2] - مجموع الفتاوى (١١ /٢٩٢) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٦/ ٦٩٣).

[4] - انظر حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي ،(٤٧٩/١)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر ، ١٣١٨ هـ ، ط ٣ .

[5] - هذا الكتاب للشريف الجرجاني وهو كتاب تضمن معاني المصطلحات المستخدمة في الفنون والعلوم .

[6] - دائرة المعارف العربية (٦٢٢/١٠).

[7] - انظر كتاب التعريفات : علي بن محمد الجرجاني تحقيق إبراهيم الأبياري. (١٧٠/١) دار الكتاب العربي ، بيروت ط١-١٤٠٥هـ .

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :" ما تعدون الشهيد فيكم قالوا : يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال : شهداء أمتي إذاً لقليل قالوا : فمن هم يا رسول الله قال : من قُتــل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطــاعون فهــو شهيد ،ومن مات في البطن فهو شهيد ... "[1].

وإنما اختار البستاني ما ذهب إليه الجرجاني لما يخفى في مكنونه من ضغينة ضــد الفــاتحين المسلمين.

ثالثاً / وصف بعض التشريعات بالعنت والشدة وألمح إلى أن بعضها لا يلائم طبائع البشر:

- قال في (مادة : صوم):" أما المسلمون فالصيام عندهم من الفجر عند تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود إلى المغرب، وهو شديد يفسده ما لا يفسده عند غيرهم، كما لو دخــل غبار أو ذباب أو دخان في حلق الصائم أو أدهن أو اكتحل..... أو دخل حلقــه مطــر أو ثلج وهلم جراً "[2].

هكذا يصف فريضة الصيام لدى المسلمين وقصده بذلك اتهام تشريعات الإسلام بالجمود والعنت وعدم ملائمة أحكامه لطبيعة الإنسان معرضاً في الوقت نفسه عن ذكر ملامح التيــسير في هذه العبادة لكي يتسنى له إقرار هذه الفرية على الإسلام وأحكامه، فأين البــستاني مــن حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يرويه عن النبي ﷺ حيث قال عن حــال الــصائم :" إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه "[3] قال ابن قدامة المقدسي[4] في المغنــي :" ومن أكل أو شرب أو استعط[5] أو أوصل إلى جوفه شيئا من أي موضع كان أو استقاء فقــاء .. عامدا ذاكرا لصومه فسد وإن فعله ناسيا أو مكرها لم يفسد صومه وإن طار إلى حلقه ذباب

---

[1] - صحيح مسلم : كتاب الإمارة . باب بيان الشهداء ح (١٩١٥) (٣ /١٥٢١).

[2] - انظر : دائرة المعارف العربية (١١ /٧٠).

[3] - صحيح البخاري . كتاب الصوم . باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيا (٢ /٦٨٢).

[4] - الشيخ الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام إمام عالم بارع لم يكن في عصره بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه ولد بجماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وقرأ القرآن وسمع الحديث الكثير وله مصنفات عديدة مشهورة منها المغني في شرح مختصر الخرقي في عشرة مجلدات وغير ذلك من التصانيف المفيدة وكانت وفاته سنة عشرين وستمائة وقد بلغ الثمانين . انظر : البداية والنهاية (١٣/١٠٠) .

[5] - أصله من السعيط والسعاط ذكاء الريح وحدتها ومبالغتها في الأنف. لسان العرب (٧ /٣١٥).

أو غبار أو تمضمض أو استنشق فوصل إلى حلقه ماء .. أو ذرعه القيء لم يفسد صومه"[1]

وفي الجملة فأحكام الصيام مبنية على التيسير كما قال تعالى في شأن أحكام الصيام (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)[2] .

رابعاً/ تجاهل رأي الإسلام في بعض المسائل يبتغي من وراء ذلك إثارة الشبهات والقدح والتشكيك في نزاهة وواقعية أحكام الشريعة الإسلامية :

- وفي (مادة : صيد)[3] أورد البستاني ما عليه العبرانيون من عدم استخدام الكلاب للصيد بحجة نجاستها تاركاً هذه الشبهة دون أن ينقل رأي الإسلام فيها ، متجاهلاً قاعدة جلية قامت جل أحكام الإسلام عليها ألا وهي قاعدة التيسير ودفع المشاق عن العباد، وهو بمكره هذا يوحي إلى ذهن القارئ بشبهة جواز الأكل من صيد الكلب في التشريع الإسلامي مع العلم بنجاسته ، ومن أحسن ما قيل في حكم صيد الكلب رداً على هذه الشبهة قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالنبي رخص في اقتناء كلب الصيد والحرث ولابد لمن اقتناه أن يصيبه رطوبة شعوره كما يصيبه رطوبة البغل والحمار وغير ذلك بنجاسة شعورها والحال هذه من الحرج المرفوع عن الأمة ...... فدلَّ على أن الشارع راعى مصلحة الخلق وحاجتهم "[4] كما أن الحكم في مسألة صيد الكلب :" مبني على التيسير "[5].

---

[1] - عمدة الفقه: عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي (١/ ٣٦) تحقيق : عبد الله سفر العبدلي، محمد دغيليب العتيبي، دار النشر: مكتبة الطرفين - الطائف .

[2] - سورة البقرة آية ١٨٥.

[3] - انظر: دائرة المعارف العربية (١٠ / ٣٧).

[4] - انظر: مجموع الفتاوى : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني . تحقيق .عبد الرحمن بن محمد القاصمي النجدي. (٢١/٦٢٠) مكتبة ابن تيمية ، ط٢ .

[5] - الشرح الممتع (٣٥٧/١).

- وقال في (مادة : خنزير) واصفاً جودة لحمه متجاهلاً رأي الإسلام في حكمه :" وحيث تكمن الداجنة منها من التجول في الآجام وأكل البلوط وما أشبهها يكون لحمها أفخر من لحم التي لا تحصل على ذلك..... ومن الغريب أن لحم الآبد[1] أطيب من لحم الداجنة "[2].

خامساً/ أسلوب النقد الصريح والتهجم على بعض الأحكام:

قال في (مادة : حيوان) :" وأما المسلمون فيحرمون أكل بعض الحيوانات كالخنزير مثلاً ويجيزون بعضها كالجمل وهم في ذلك يخالفون الأمم..... ومن أراد الوقوف على ما يحسبونه طاهراً ونجساً فليرجع إلى كتاب حياة الحيوان[3]... "[4].

والحق أن حرمة أكل لحم الخنزير ليست قاصرة على أمة الإسلام كما ذكر البستاني بل اليهود كذلك يعتقدون حرمته هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنه يعاب على هذا الرجل أنه يسند مسائل الحلال والحرام لدى المسلمين إلى كتاب ككتاب حياة الحيوان وفيما وردنا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ غنية عنه . ثم إن النهي عن أكل هذا الحيوان مما اتفقت الأمة عليه لكونه كما ذكر العلماء " نجس العين كالكلب يغسل ما نجس بملاقاة شيء من أجزائه سبعاً إحداهن بالتراب ، ويحرم أكله لقوله تعالى : (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ)[5]، والرجس النجس، أما الضمير في قوله تعالى (فَإِنَّهُ رِجْسٌ) فهو " راجع إلى أقرب الخنزير فالخنزير كله رجس والرجس واجب اجتنابه " [6] لذا فالمسلمون متعبدون بتحريم أكله. ولا يعول على فعل النصارى الذين يستحلون أكله فقد ثبتت أضراره شرعاً وعقلاً.

ويكفي تنزهاً عن أكله أن النبي ﷺ حين نهى عن اللعب بالنردشير[7] شابهه بغمس اليد في لحم الخنزير ودمه استقباحا لهذا الفعل حيث قال عليه الصلاة والسلام " من لعب بالنردشير فكأنما

---

[1] -الآبد الوحشي وجمعها الأوابد ويقال للطير المقيمة بأرض شتاءها وصيفها : أوابد من أبد بالمكان يأبد فهو آبد . أنظر : لسان العرب (٣ / ٦٩) .

[2] - انظر : دائرة المعارف العربية (٧/ ٤٨١).

[3] - كتاب حياة الحبوان الكبرى ، لكمال الدين محمد بن موسى الدميري .

[4] - انظر : دائرة المعارف العربية (٧/٢٨٩).

[5] - سورة الأنعام آية ١٤٥.

[6] - المحلى (١ / ١٢٤)

[7] - النرد: معروف شيء يلعب به فارسي معرب وليس بعربي وهو النردشير . وشير بمعنى حلو . لسان العرب (٣ / ٤٢١).

صبغ يده في لحم خنزير ودمه "[1]. وأما ما أحل لنا الله من أكله فكله داخل في قوله تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)[2].

سادساً/ أسلوب انتقاء ونقل الشاذ من الآراء التي لا يعضدها الدليل بقصد الإفساد وإثارة الشبهات :

قال في (مادة : زنا) يتحدث عما يسقط به حد الزنا في الإسلام متصيداً للشاذ من الآراء وما لم يقم به دليل وذلك لبث الريبة حول أحكام الحدود في الإسلام : " وإن ادعى الزاني أنها - أي الزانية - زوجته سقط الحد عنه وإن كانت زوجة للغير بلا بينة ولو تزوجها بعد زناه سقط الحد "[3].

وقد نقل في هذه المسألة الشاذ من أقوال العلماء وما خالف الدليل قدحاً في الشريعة وجاء في المادة شبهتان ناقضتا ما نص عليه العلماء في مسألة نكاح الزانيين وهما:

الأولى : قوله " وإن ادعى الزاني أنها (أي الزانية) زوجته سقط الحد عنه (قال الشافعي[4] رحمه الله في هذه المسألة " مجرد دعواهما (أي الزانيين) أو دعوى أحدهما لا يسقط الحد لقوله ﷺ " لو أعطى الناس بدعواهم لادعى أناس أموال الناس ودماءهم "[5] ، وهذا لأن كل زان لا يعجز عن دعوى نكاح صحيح أو فاسد ، فلوا اسقطا الحد بمجرد الدعوى لانسد باب إقامة الحد)[6].

الثانية : قوله " ولو تزوجها بعد زناه سقط الحد" [7].

يبطل هذا القول كذلك ما جاء في المحلى :" من زنى بامرأة ثم تزوجها لم يسقط الحد بذلك عنه لأن الله تعالى قد أوجبه عليه فلا يسقطه زواجه إياها "[8].

---

[1] - صحيح مسلم : كتاب الشعر . باب تحريم اللعب بالنردشير (٤/١٧٧٠) .

[2] - سورة الأعراف آية ١٥٧.

[3] - دائرة المعارف العربية (٩/ ٢٥٠).

[4] - هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي، يكنى أبا عبد الله ولد بغزة سنة خمسين ومائة وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، سمع الشافعي رضي الله عنه من مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردي، وحدث عنه أحمد بن حنبل وغيره من العلماء، ينسب إليه المذهب المعروف. توفي سنة أربع ومائتين . انظر: صفة الصفوة (٢ /٢٥٨) .

[5] - مسند أحمد. حديث ابن عباس رضي الله عنه. ح (٣٤٢٧) (١/ ٣٦٣). حديث صحيح.

[6] -المبسوط : شمس الدين السرخسي (٥/٥٢) دار المعرفة بيروت .

[7] - دائرة المعارف العربية (٩/ ٢٥٠).

[8] - المحلى: علي بن محمد بن سعيد بن حزم الظاهري (١١/٢٥٢) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة، بيروت.

بما سبق من نصوص فإننا لا نجد مبرراً للبستاني فيما ذهب إليه وليس أهلاً لأن يرجح قــولاً شاذاً أجمع علماء الأمة على معارضته والقول بخلافه. و لو من قبيل درء المفاسد ومنع بــاب الشر الذي يريد فتحه البستاني من خلال نقاشه لمثل هذه المسائل.

سابعاً/ محاربة بعض الأخلاق التي دعا إليها الإسلام والاستهانة بها واستغلال الأحداث لتشويه معالم الشخصية المسلمة بتجاهل الصحيح من النصوص واعتماد تزوير التاريخ:

- كما في (مادة : رشوة) حيث ناقش البستاني مسائل عدة تتعلق بالرشوة لاحظــت منهــا قوله : " وإذا قبل المحتسب أو القاضي الإعطاء فمن يعرف انه يهدى للتودد والتحبــب لا للقضاء والحسبة فلا بأس بالقبول منه ، لأن الصحابة كانوا يتوسعون في قبول الهــدايا منهم لأن الهدية كانت عادتهم ، وكانوا لا يلتمسون منهم شيئاً وإنما كانوا يهدون لأجــل التودد والتحبب وكانوا يتوحشون برد هداياهم فلا يمكن فيه معنى الرشوة فلهــذا كــانوا يقبلونها ... "[1].

هنا تجاهل البستاني الحديث عن حكم الرشوة في الإسلام ولجأ إلى الــشاذ مــن الآراء وما لا صحة له قدحاً في الشريعة التي دعت إلى نبذ هذا الخلق الــذميم، وكــان الأجــدر بــه محاربة هذه الظاهرة بدلاً من التوسع في الحديث عنها، حيث لم يراعي كونهــا مــن الأمــور المحرمة التي نبذها الشرع ولم يتطرق إلى أثرها السيئ على المجتمع، مركزاً حديثــه حــول أحكام دافعها وآخذها. ثم ذكر في هذه المادة جواز قبول القاضي للهدية إن كان المُهــدي لهــا قاصداً للتودد والتحبب لا قاصداً الحكم له ، مستشهداً كما يزعم بتوسع الــصحابة فــي قبــول الهدية وهي فرية لا دليل للبستاني عليها ، بل المسألة جلها مخالفة لهــدي النبــي ﷺ ، ففــي الصحيح أن النبي ﷺ استعمل :" رجلاً من الأزد[2] يقال له اللتبية[3] على الصدقة فلما قــدم قــال هذا لكم وهذا أُهدي إليّ ، قال : فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر فيهــدى لــه أم لا والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته... "[4].

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٨ / ٦٠٤).

[2] - نسب الأزد هو الأزد بن الغوث ابن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان، ويقال الأزد والأسد لغتان بالزاي والسين، وقد افترقت الأزد على نيف وعشرين قبيلة من قبائل العرب. انظر: التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب (٣٤/١) .

[3] - هو ابن اللتبية الذي كان النبي ﷺ استعمله على الصدقة أبي لاس الخزاعي ﷺ. الآحاد والمثاني (٤/ ٣٠٣).

[4] - صحيح البخاري . كتاب الهبة وفضلها . باب من لم يقبل الهدية لعلة (٢ /٩١٦) .

يقول الأمام النووي رحمه الله في هذه المسألة " فإن أهدى إليه من له خصومة أو لم يهد قبـل ولايته حرم قبولها ، وإن كان يهدى ولا خصومة جارٍ بقدر العادة والأولى أُثيب عليها "[1] هـذا ما درج عليه السلف رحمهم الله وإنما كانوا يفعلون ذلـك ليربئـوا بأنفـسهم عـن مـواطن الشبهات.

فما هذا الطرح الساذج لمثل هذه القضية التي كان خليقا بالبستاني أن يحارب وجودها كخلـق ذميم بدلاً من أن يسوغ لبعض طرائقها أليس هذا من التلبيس على الناس والتهوين من شـأن ما أنكرته الشريعة وحاربته ؟!

- وانظر (مادة : السلام) حيث قال البستاني :" وأما العرب والأتراك فعبارات السلام عديـدة عندهم فيقولون صباح الخير ، ونهاركم سعيد ، ومساء الخير ، وليلة سعيدة ، وأوقـاتكم سعيدة والله معكم ، وعافاكم الله ، وعسى أن تكونا بخير وعافيـة ، والـسلام علـيكم ، وكيف حالكم ،وإلى غير ذلك من العبارات "[2]

هنا تجاهل البستاني الحديث عن مشروعية السلام بصيغته المعروفـة ومكانتـه فـي الإسلام حنقاً على هذا الدين وأهله وتهويناً من شأنه كخلق إسلامي دعا إلى فشوه في المجتمع ومن المعروف لدى كل مسلم أن السلام تحية المسلمين في الدنيا والآخـرة وإفـشاؤه مطلـب شرعي حظ عليه الدين ونبذ ما سواه من تحايا الجاهلية التي دعى البستاني إلى إحيائها فعـن أبي هريرة قال : " قال رسول الله ﷺ لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحـابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم ."[3] لذا نلاحظ أن البستاني حاول من خلال المادة السابقة القضاء على هذا السلوك القويم الذي هو شـعار المـسلمين ضـارباً بنصوص الكتاب والسنة التي تحض على إفشاء السلام عرض الحائط حيـث اعتبـره عبـارة فضفاضة ذات ألفاظ متعددة تختلف باختلاف الأمم كما هو الحال عند الأتراك والعرب وجـاعلاً لفظة (السلام عليكم) من جملة العبارات التي قد يستعاض عنها بغيرها ، ونجيب علـى ذلـك بأن لفظة (السلام عليكم) هي شعار المسلمين كما جاء في قوله تعـالى: (وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ

---

[1] - منهاج الطالبين وعمدة المفتين - يحيى بن شرف النووي أبو زكريا (١٤٩/١) ، دار المعرفة - بيروت .

[2] - دائرة المعارف العربية (٩ / ٧٠٧).

[3] - صحيح مسلم : كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (٧٤/١).

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً . . .)[1]، قال السيوطي رحمه الله " لأن تحية المسلمين السلام بها يتعارفون و بها يحيي بعضهم بعضاً "[2] أما ما عداها فلا يليق بالمسلم البدء بها لأنها من تحايا الجاهلية.

- ولتشويه معالم الشخصية المسلمة عمد البستاني في دائرته إلى وسمها بكل خلق ذميم

ونعتها بكل قبيح من الفعل حيث جمع مواد تصف أخلاق سلف هذه الأمة بأنهم :

ما بين سفكة للدماء لا يرحمون الخلق ومفسدون في الأرض يهلكون الحرث والنسل ، كما جاء في مادة (زنكي)[3] ومادة (طرابلس)[4] ...

وماجنون فسقة لا يرعوي أحدهم عن فعل معصية كما جاء في مادة (إسماعيل)[5] ومادة (سكينة)[6].

أو طغاة جبابرة يستبدون بالعباد كما في مادة (إبراهيم الموصلي)[7] ومادة (ابن طولون)[8].

أو ذوو ضمائر ميتة تفتقد مراقبة الله تعالى في الخلوات كما في مادة (ابن أبي الزوائد)[9].

أو محبون للفتنة قلوبهم مليئة بالضغينة كما في مادة (خالد)[10] ومادة (طلحة)[11].

وحسبنا القول أن ما ذكره البستاني في المواد السابقة مجرد تلفيقات ودعاوى مزيفة وتهم تفتقد المصداقية لذا فالإسلام وأهله منها براء لأننا نعلم علم اليقين أن تعاليمه موجهة برمتها لبناء الخلق القويم في النفوس المسلمة والرقي بها عن سفاسف الأمور ألم تتعلم الأمة طيلة

---

[1] - سورة النساء آية ٩٤.

[2] - الدر المنثور، عبد الرحمن بن كامل جلال الدين السيوطي (٦٣٤/٢) دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م

[3] - الفصل الأول ص ٦٠.

[4] -الفصل الأول ص ٦٢.

[5] -الفصل الأول ص ١٣١.

[6] - الفصل الأول ص ١٤٠.

[7] -الفصل الأول ص ١٣٢

[8] - الفصل الأول ص ١٣٦

[9] -الفصل الثاني ص ١٦٨

[10] -الفصل الأول ص ١١٨

[11] -الفصل الأول ص ١٢٢

هذه القرون من نبيها الكريم ﷺ حين أكد على هذا الأصل الأصيل فقال ﷺ : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[1] !

ويرد على جملة الشبهات التي أثارها البستاني حول تشريعات الإسلام وأخلاقه نقول :

بالنظر إلى جملة الشبهات التي أوردها البستاني حول بعض تشريعات الإسلام فإنها تتلخص في كون الدين الإسلامي يتصف بالجمود ولا يراعي في أحكامه طبيعة البشر ومتطلبات الحياة. ولنا أن نقول إن الله تعالى لما ختم الرسالات السماوية بنبوة محمد ﷺ هيأ لهذا النبي الكريم ديناً نسخ الأديان السابقة ، وكان له من السمو في تشريعاته والعظمة في تعليماته ما يؤهله ليكون الدين الخاتم الذي استبقاه الله تعالى وارتضى أن تدين به البشر جميعاً ، قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[2] .

ومعنى الظهور هنا هو " أنه لا يدان الله تعالى إلا به"[3] لأجل هذا أختص الله تعالى الشريعة المحمدية بخصائص لم تكن في الشرائع السابقة وتتجلى تلك الخصائص فيما يلي:

" أولاً- الشريعة الإسلامية ربانية المصدر ولكونها كذلك فالله حكيم بما يشرعه ويخلقه ، وحكمته جل جلاله معناها أن يضع كل شيء في موضعه المناسب بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق الصالح ورد الفاسد قال تعالى (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ).[4]

ثانياً- عالمية هذه الشريعة ، إذ هي ذات صبغة إنسانية وخصيصة عالمية فهي رحمة للعالمين، وهي منهاج للبشرية عامة وليست تشريعاً لجنس خالص من البشر أو الأقاليم. يقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[5].

ثالثاً- شموليتها: فهي شريعة مشتملة على نظم وأحكام وقوانين في كل جانب من جوانب البناء والإصلاح وفي كل ناحية من نواحي الحياة.

رابعاً- العطاء والتجديد من خصائص هذه الشريعة، لأنها تفي بحاجات الزمن المتطور وتواكب حضارات العصور المتقلبة.

---

[1] - مسند أحمد بن حنبل ، حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ح (٨٩٣٩) (٢ /٣٨١) ، صححه الألباني .

[2] - سورة التوبة آية ٣٣ .

[3] - تفسير البغوي (٤٠/٤)

[4] - سورة النمل آية ٦ .

[5] - سورة الأنبياء آية ١٠٧.

خامساً- التوازن بين المادة والروح مما اختصت به هذه الشريعة، فهي تنظر إلى الحياة على أنها وحدة متكاملة بين حق الإنسان لربه وحقه لنفسه وحقه لدينه.

سادساً- هذه الشريعة توازن بين مصلحتي الفرد والمجتمع فالإنسان كيان شخصي مسئول أمام الله وأمام نفسه ومجتمعه.

سابعاً- اليسر والبساطة والمعقولية ، مصداق ذلك قوله تعالى (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)[1].

ثامناً- التكميل والختم والهيمنة من خصائص هذه الشريعة ، فهي تمتاز بأنها جمعت في طياتها دعوات الرسل السابقين وزادت عليها بالتشريع الكامل الأبدي.

تاسعاً- الأصالة والخلود مما خص الله به هذه الشريعة ، قال سبحانه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [2] ، وهي بهذا لا يتطرق إليها تحريف أو يطرأ عليها تبديل أو تغيير.

عاشراً- الشريعة الإسلامية شريعة تمتاز بالعدل المطلق وتحرص على إقامته بين الناس ذلك لأنها تستند إلى علم إله ورحمة إله وحكمة إله (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[3] ".[4]

أما المسائل الخلافية التي يكثر ورودها في كتب الفقه فللرد على من يتخذها شاهداً على اضطراب أحكام الدين والتشكيك في واقعيته نقول: إن تعدد أراء العلماء في المسائل الفقهية وغيرها لا يعد قدحا في الشريعة بل على العكس من ذلك فهذه الخلافات الناشئة والمشتهرة بين أئمة المذاهب مردها إلى عدة أمور:

أولها / أن المفتي مجتهد والمجتهد مأجور في خطأه وصوابه ولا ملامة عليه كما في الحديث " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر"[5].

ثانيها / تعدد الآراء في المسألة الواحدة مظهر من مظاهر التيسير في هذا الدين يقول تبارك وتعالى (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)[1].

---

[1] - سورة البقرة آية ١٨٥ .

[2] - سورة الحجر آية ٩ .

[3] - سورة الملك آية ١٤ .

[4] - انظر :الإسلام شريعة الزمان والمكان : عبد الله ناصر العلوان ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

[5] - صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب (أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) (٦ / ٢٦٧٦) .

ثالثها / عند معارضة رأي العالم للدليل في مسألة ما فقد يكون مرده أسباب أحاطت بهذا الرأي كعدم بلوغ الدليل إليه أو عدم رجحان صحته لديه إلى غير ذلك من الأسباب فالأصل في هذا إحسان الظن بالعالم يقول شيخ الإسلام رحمه الله حول هذه المسألة : " فإذا جاء حديث صحيح فيه تحليل أو تحريم أو حكم ، فلا يجوز أن يعتقد أن التارك له - من العلماء ..... يعاقب لكونه حلل الحرام، أو حرم الحلال، أو حكم بغير ما أنزل الله. وكذلك إن كان في الحديث وعيد على فعل من لعنة أو غضب أو عذاب ونحو ذلك، فلا يجوز أن يقول: إن ذلك العالم الذي أباح هذا أو فعله داخل في هذا الوعيد. وهذا مما لا نعلم بين الأمة فيه خلافاً "[2].

نتيجة :

في هذا المبحث جمعت الدراسة العديد من مواد موسوعة البستاني التي تتحدث عن الإسلام تشريعاته و عقائده وخرجت بما يلي:

أولاً / أورد البستاني نصوصاً ومواد تقدح في مصادر التشريع لدينا حيث تضمنت التشكيك في صحة وصول القرآن الكريم والسنة إلينا سالمين من التحريفات كما عمل على التحقير من شأنهما. ووصفهما بما لا يليق بهما.

ثانياً / يطعن البستاني في نبوة المصطفى ﷺ معتمداً على ما لم يصح من النصوص وزاعماً أن تلقيه لدعوة التوحيد لم يكن إلهيا بل كانت دعوته من وضع البشر.

ثالثاً / جعل البستاني موسوعته وسيلةً للدعوة للدين النصراني حيث ناقش وعرض بعض عقائد النصارى تارة بمقارنته بمصادر الإسلام وتارة بتصويره كدين سماوي سالم من التحريف.

رابعاً / ناقش البستاني بعض المسائل التي تفسد عقيدة المسلم ودعا من خلالها إلى اللجوء إلى الشعوذة والخرافات. معارضاً بذلك الأدلة الصريحة الصحيحة على تحريمها.

خامساً/ انتهج البستاني عدة أساليب تبين عدائه للشريعة المحمدية كأسلوب السخرية والتهكم والمبالغة في تصوير الخلاف بين العلماء عند إيراد بعض المسائل الفقهية ، وأسلوب المغالطة

---

[1] - سورة البقرة آية ١٨٥.

[2] - انظر : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، اسم المؤلف: محمد جمال الدين القاسمي (١/ ٣٨٣) دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ط١.

والتلفيق والخلط بين الأحكام وتجاهل النص الصحيح ومعارضته ، ومن أساليبه كذلك وصـــف بعض التشريعات بالعنت والشدة واتهام بعضها بعدم ملائمة طبائع البـــشر، والنقـــد الـــصريح لبعضها الآخر كما أنه ينتقي وينقل الشاذ من الآراء التي لا يعـــضدها الـــدليل فيحـــشو بهـــا موسوعته ، يبتغي من وراء ذلك كله إثارة الشبهات والقدح والتشكيك فـــي نزاهـــة وواقعيـــة أحكام الشريعة الإسلامية.

سادساً/ كان للبستاني موقفه الهزيل من الأخلاق في الإسلام حيث حاربها واستهان بها مستغلاً الأحداث لتشويه معالم الشخصية المسلمة بتجاهل الصحيح من النـــصوص واعتمـــاد تزويـــر التاريخ.

بعد أن تم الحديث عن شبهات البستاني حول تشريعات وآداب الإسلام ، نأتي فـــي المبحثـــين التاليين لنسلط الضوء على ما ذكره البستاني حول سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام وبقية أعلام الإسلام حيث تطرق في موسوعته إلى الحديث عن العديد من الشخصيات البارزة في التـــاريخ الإسلامي، متناولاً بعضاً منهم بنفس الأسلوب الذي اتخذه في حديثه عــن الفتــوح الإســلامية والتشريعات، لذا ينبغي ذكر بعض المسائل المهمة كتقعيد للبدء في الحديث عن موقفـــه مـــن النبي محمد ﷺ ثم من رموز وأعلام الإسلام قديماً وحديثاً .

المسألة الأولى :

إن إيماننا بعصمة النبي ﷺ من الوقوع في المآثم يستوجب منـــا تنزيـــه ﷺ عــن أن يقول أو يفعل ما يخالف طباع الأنبياء قال القاضي عياض " واعلم أن الأمـــة مجتمعـــة علـــى عصمة النبى ﷺ من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه "[1].

المسألة الثانية :

إن صحابة النبي ﷺ ثم تابعيهم أفضل هذه الأمة ومن زعم غير ذلك فقد أخطـــأ وظلـــم وتعدى، لقوله ﷺ : " خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فما أدري قـــال النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله مرتين أو ثلاثا..."[2].

المسألة الثالثة :

يكفي بياناً لفضل ولاة المسلمين عبر التاريخ بغض النظر عن سيرهم أن نظام الـــدين والدنيا لا يحصل في كل عصر من الأعصر إلا بإمام موجود ، ولو لم يكن ذلك لأدى إلى " دوام الاختلاف والهرج إلى يوم القيامة ولو لم يكن للناس إمـــام يطـــاع لا نـــثلم شـــرف الإســـلام وضاع..."[3].

---

[1] - شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٥٨)

[2] - صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها. (٥ /٢٣٦٢) .

[3] - تهذيب الرياسة وترتيب السياسة : أبو عبد الله القلعي الشافعي تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو . (١/ ٩٤) مكتبة المنار ، الأردن الزرقاء ، ط١ ، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو .

المسألة الرابعة :

العلماء لهم الفضل بما فضلهم الله به ، يقول النبي ﷺ مبيناً منزلتهم في هــذه الأمــة:" فــضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم "[1] ، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم :" يدينون الله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل "[2] وقد أجاد الإمام الثوري[3] رحمه الله في وصف مكــانتهم حيث قال :" لو أن فقيهاً على رأس جبل لكان هو الجماعة " [4].

وفيما يلي نورد منهج البستاني في النيل من رموز وأعلام المسلمين كمــا جــاء فــي موسوعته

[1] - سنن الترمذي . كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق محمد شاكر وآخرون ، ح (٢٦٨٥) (٥٠/٥) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،.(صححه الألباني).

[2] - القول السديد شرح كتاب التو حيد: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٧/١) .

[3] -التابعي الجليل سفيان بن سعيد الثوري عبد الله بن محمد بن ايوب المخرمى، كان مولده في سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك وتوفى في سنة إحدى وستين ومائة أخذ عنه العلم وهو ابن ثلاثين سنة، أدرك سفيان الثورى جماعة من كبار التابعين وروى عنهم ومسانيده أكثر من أن تعد. انظر: صفة الصفوة (١٤٧/٣).

[4] - مرقاة المفتاح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري (١/ ٣٨٢) دار الكتب العلمية ، لبنان بيروت .

المبحث الثالث / شبهات البستاني حول الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم .

١ - حول سيرة النبي ﷺ :

استغل البستاني الأحداث التي جرت في حيات النبي ﷺ للنيل من خلقه الكريم بالاعتماد على الشاذ والمكذوب .

- **قال في (مادة : زينب) حكي سبب تزوج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنه: "وكانت (زينب رضي الله عنها) قبل النبي (ﷺ) تحت زيد بن حارثة فمضى النبي (ﷺ) يوماً إلى بيته لغرض فرفعت الريح باب الخباء فرأى زينب حاسرة فأعجبته ومن ثم كُرّهت إلى زيد فلم يستطع أن يقربها فجاء إلى النبي (ﷺ) فأخبره فقال أرابك منها شيئ قال لا، فقال النبي (ﷺ) أمسك عليك زوجك واتق الله، ففارقها زيد واعتدت فحلت للرسول (ﷺ) وانزل الوحي على الرسول (ﷺ) :" فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا "[1] فقال النبي (ﷺ) من يبشر زينب أن الله قد زوجنيها... "[2]**

حاول البستاني هنا التطاول على شخص النبي ﷺ حيث نال من خلقه الكريم وكأنه بشر عادي لا يملك مؤهلات النبوة ويميل به هواه حيث يميل فقد تحدث في المادة السابقة عن سبب تزويج النبي ﷺ من زينب زاعماً أنه ﷺ رآها صدفة فأعجبته وهي تحت زيد وقتها فكان ما كان من الوحي الذي يبشره بزواجه منها تطيباً لخاطره. وأقول إنما هذه من الافتراءات والتفسيرات الشاذة التي تعلق بها المستشرقون قدحاً في شخص النبي ﷺ وصحابته الكرام، أما القول الصحيح في هذه المسألة فما أورده ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ)[3] حيث قال :" نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثه ..... فقد أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال اتق الله وأمسك عليك زوجك، فقال أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه "[4] أما الحكمة في تزويج النبي ﷺ زينب رضي الله عنها بهذه الحال فيفسرها قوله تعالى (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ

---

[1] - سورة الأحزاب آية ٣٧ .

[2] - دائرة المعارف العربية (٩ /٣٥٤) .

[3] - سورة الأحزاب آية ٣٧ .

[4] - انظر تفسير القرآن العظيم : (٣/ ٤٩٢)

لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً)[1] الآية ، فإن الله تعالى لما حرم التبني أحل بعده ما ترتب عليه كنكاح أزواجهم بعد تطليقهن وكذلك الميراث بالتبني فهي عـادة جاهليـة حرمها الإسلام ففي بادئ الأمر كان الرجل :" يتبنى غيره فينسب إليه دون أبيه من النسب وقد كان حكماً ثابتاً في الإسلام، وقد كان النبي ﷺ تبنى زيد بن حارثه ﷺ وكان يقال له زيـد بـن محمد حتى أنزل الله تعالى :(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[2]"[3] فالمسألة إذن ليست كما صورها البستاني إذ لم يصح خبر زواج النبي من زينب بسبب إعجابـه بهـا وليس لنبي مرسل أثقلته مهام الدعوة إلى الله تعالى أن تشغله أمور كهذه .

٢ - حول سيرة الصحابة رضي الله عنهم :

حيث عمل على إساءة الظن بالصحب الكرام من خلال تهويل بعـض المواقـف التـي دارت بينهم أو إثارة الشكوك حول شخوصهم ومسمياتهم أو التعدي عليهم باتهامهم بأوصـاف ليست فيهم مستعيناً في ذلك بالروايات الموهومة والتي لا أصل لهـا مـع بتـر النـصوص والانتقائية في نقلها .

- في (مادة: خالد) تحدث البستاني عن سيرة الصحابي الجليل خالد ابـن الوليـد ﷺ فـي حروب الردة فكان مما قال : أنه" سار إلى البطاح وظفر بمالك بن نويرة [4]وقتله وتـزوج امرأته أم جميل . وكان قد أسلم – أي ابن نويرة - فعنفه عمر بن الخطاب وأبو بكر على ذلك ثم رضي عنه أبو بكر..... ولما توفي أبو بكر وولي الخلافة عمر (ﷺ) كتب عمـر إلى أبي عبيدة أن يعزل خالداً ويتولى جنده وذلك لأنه كان ساخطاً عليه في خلافة أبي بكر لإيقاعه بابن نويرة كما تقدم الخبر ..." [5]

---

[1] - سورة الأحزاب آية ٣٧ .

[2] - سورة الأحزاب آية ٤٠.

[3] - أحكام القرآن : أحمد بن علي الرازي الجصاص (٣/ ٤) دار إحياء التراث - بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي .

[4] - هو مَالك بن نويرة بن جَمْرَة بن شداد ابن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي. أخو متمم بن نويرة . قدِم على النبي وأسلم، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلّم على بعض صدقات بني تميم . فلما توفي النبي وارتدت العرب ، وظهرت سجاح وادعت النبوة ، صالحها .. وقيل قتل مرتداً . أنظر : أسد الغابة (٥/٥٤).

[5] - انظر : دائرة المعارف العربية ج (٧) ص (٣٣٠ _ ٣٣٢) .

ويعاود البستاني حديثه في هذه المادة عن قصة عزل عمر لخالـــد رضـــي الله عنهمـــا ، فيحكي أن عمر ، قال : (ياخالد إنك على لكريم وإنك إلي لحبيبب وكتب إلـــى الأمـــصار إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت أن يتوكلوا عليه فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة) [1].

اعتمد البستاني في المادة السابقة أسلوب نقل الروايات التي تبدوا في ظاهرها متـضاربة والخلط بين الأحداث مع بتر القصة بقصد الإيهام وبث الريبة في أمر الصحابة رضـــي الله عنهم ، وإعطاء صورة مشوهة عن سيرهم تحكي التباغض والـشحناء بيـنهم فـالقول الفصل في هذه المسألة أن ما ذكره البستاني من أن عمر سخط على خالد لأجل قتله ابـن نويرة أمر لا صحة له ، لذا ينبغي بيان قصة مقتل ابن نويرة بتمامها كما جاءت في كتب التاريخ لإزالة اللبس الذي أحدثه البستاني بإيرادها ، فمما رواه ابن الأثير في قصة مقتل ابن نويرة : أنه لما قدم خالد لمحاربة المرتدين " بث السرايا وأمرهم بداعيـة الإسـلام وأن يأتوه بكل من لم يجب وإن امتنع أن يقتلوه وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذنـوا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وإن أجـابوكم إلـى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم قال فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم وكـان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلمـا اختلفـوا أمـر بهـم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء فأمر خالد مناديا فنادى دفئوا أسراكم وهي فـي لغة كنانة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم فقتـل ضـرار بـن الأزور مالكا وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال إذا أراد الله أمرا أصابه .. ومضى (خالد) حتى أتى أبا بكر فغضب أبو بكر حتى كلمه عمر فيـه فلـم يـرض إلا أن يرجع إليه فرجع إليه حتى قدم معه المدينة وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك فقـال عمـر لأبي بكر إن سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه في ذلك فقال هيه يا عمر (تأول فأخطـأ) فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين وودى مالكا، وكتب إلـى خالد أن يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد وقد غـرز فـي

---

[1] - دائرة المعارف العربية ج (٧) ص (٣٣٠ _ ٣٣٢) .

عمامته أسهما فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال له أرثاء قتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك وخالد لا يكلمه يظن أن رأي أبي بكر مثلــه ودخــل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب فخرج خالد وعمر جالس فقال هلم إلــي يــا ابــن أم سلمة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه "[1] .

وفي السنة العاشرة يذكر ابن الأثير كذلك :" أن خالد بن الوليد سار فــي طريــق الــروم وأصاب أموالاً عظيمة وأجاز منها الأشعث بن قيس بعشر الآف وكتب عمر بن الخطــاب ﷺ إلى أبي عبيدة يكلفه بالتحري عن مصدر هذا المال وأن يقبل عزل خالد – يعزله مــن مكانه ويتولى مكانه – ثم أرسل في طلبه .... فرجع خالد إلى قنسرين[2] فخطــب النــاس وودعهم إلى حمص فخطبهم ثم سار إلى المدينة، فلما قدم عمر شكاه، وقال: قد شــكوتك إلى المسلمين فبالله إنك في أمري لغير مجمل (يا عمر) فقال له عمر: من أين هذا الثــراء ؟ قال : من الأنفال والسهمان ما زاد على ستين ألف فلك. فقوم عمر ماله فزاد عــشرين ألفا فجعلها في بيت المال ، ثم قال : يا خالد والله إنك علي لكريم وإنك إلي لحبيــب ولــن تعاتبني بعد اليوم على شيء) وكتب إلى الأمصار إني لم أعزل خالــداً عــن ســخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه (ويبتلــوا بــه) فأحببــت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة "[3] .

ذلك ما أورده ابن الأثير في كتاب الكامل حول قصة عزل عمر لخالــد بتمامهــا ولكــي لا تبقى مثل هذه الأحداث مرتعاً لشبهات الحاقدين فالقول الحق الذي ينبغــي بيانــه قطعــاً لأطماعهم في التشويه والتزوير أن جملة ماحدث في قصه العزل هذه ما هو ألا موقفان " أحدهما في زمن خلافة أبي بكر والآخر في خلافة عمر رضي الله عــنهم أجمعــين وكلاهمــا منهج فرعي يلتزم بشروطه، وما كان لطالب علم فضلاً عن العلماء أن يــضرب بــأي منهمــا الآخر لما للصحابيين من فضل وعلم .

---

١ - الكامل في التاريخ (٢ / ٢١٧) .

٢ - بلدة بالشام كان فتحها على يد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في سنة ١٧هـ . معجم البلدان (٤ / ٤٠٣) .

٣ - الكامل في التاريخ (٢ /٣٨٢) .

بل أستطيع القول أن موقف أبي بكر رضي الله عنهما ما كان ليصلح في وقته غيره، وكما أن موقف عمر مع خالد في حينه – رضي الله عنهما – ماكان لفيد سواه فهل كان كل منهما صاحب منهج اكتملت شروطه عن هوى ورغبة ؟ حاشا لله . إنه الحق والعمل له وفق أصل ونص ودليل ذلك: موقف أبي بكر حيث وقف أبو بكر رضي الله عنه موقفاً صلباً شامخاً أمام المرتدين ومانعي الزكاة والمتنبئة وأنفذ جيش أسامة ﷺ الذي أوصى بإنفاذه رسول الله ﷺ قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى، وعاش فترة قصيرة عمل خلالها على تثبيت دعائم دولة الإسلام وإرساء قواعدها وإقرار هيبتها .. وخالد عند أبي بكر أحد الفرسان الذين تنتظرهم الأيام لتفتح أذرعتها له إيذاناً بعموم الخير وانتشار الإسلام وعموم الأمن والسلام .

إنه خالد سيف من سيوف الله عز وجل على رقاب الكافرين وهذه أيامه الناس في ظل الإسلام يلتمسونه وإخوانه لرأب الصدع وثبوت الأمر وزوال الكرب والمسلمون يتطلعون إليهم وهو في شوق إلى أن يعود الأمر إلى سيرته الأولى. ومن ثم فإن لأبي بكر فهماً صحيحاً من خلال نص وأصل فقد عمل على إبرازه قوة الإسلام والحيلولة دون تحجيمها أو الهوانة معها فقد فهم ووعى قوله { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [1]، فهم ووعى أن إنكار المنكر بمنكر أشد منه شرعاً لا يجوز..... وإننا اليوم لنرى البون شاسعاً بين معالجة رجال الحرب ورجال السياسة لموقف واحد إن المقاتل – وبطلنا ليس كأحدهما بل هو مفرد علم بينهم – صارم حازم لا يعرف سوى صوت سلاحه علاجاً باتراً قاضياً على الأوهام والظنون..... ولما مات أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب وتكرر من المواقف ما يزكي عنده تسرع خالد وعلو شأنه وجدت من الأحوال والمواقف ما يحتم النظر في الأمر وتقليبه على وجوهه حيث كثرت الفتوحات ودخل في دين الله أجناس شتى وكانت لهم من مفاهيم الجاهلية ما بلغ ببعضهم إلى تأليه بعض أسلافهم وكبرائهم. هنا خشي عمر على مصالح المسلمين فقد عم الخير وانتشرت الفتوحات وصار أمثال خالد في صفوف المسلمين ما يعوض عن خالد بخاصة وأن إسلام خالد لا شبهة فيه

[1] -سورة آل عمران آية ١٣٩.

ولا يخشى من تفويت الإمارة منه، فهو المسلم المحتسب الذي إن كان في المقدمة عمل بحقها وإن كان في السوقة أدى ما عليه فيها " [1]

وجملة القول أن ما جرى من أحداث هذه القصة كانا رأيان رأياهما الشيخان رضي الله تعالى عنهما ابتغيا فيهما مرضاة الله وليس ذلك عن هوى ورغبة أو ضغينة على أحد منهم .

ويستطرد البستاني في ذكر مواقف تحمل على إساءة الظن بأصحاب رسول الله ﷺ يريد بذلك إيصال رسالته التي مفادها أن الصحابة رضوان الله عليهم لا يصلح أن يكونوا قادة ولا قدوات لهذه الأمة، بدليل الخلافات التي نشأت بينهم بعد موت النبي ﷺ ، حيث ينتقي من الروايات والأحداث التاريخية ما يؤصل هذه الفكرة وإن كانت تلك الروايات موهومة أو لا صحة لها ومن ذلك :

- أولاً : قوله في (مادة : طلحة) مورداً اعتراض طلحة بن عبيد الله على استخلاف عمر رضي الله عنهم من قبل أبي بكرﷺ قبل وفاته فقال:" ولما نزل بأبي بكر الموت وعهد إلى عمر لم يرض طلحة عن ذلك بل دخل عليه فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك ، ثم بايع طلحة لعمر فجعله عمر على مقدمته لما خرج من المدينة ... .. وكان من المقربين " [2]

فيما سبق اقتطع البستاني النص الذي يحقق مبتغاه مما ورد في كتب التاريخ ثم صاغه بأسلوب يحكي فيه مدى استرضاء عمر ﷺ لطلحة بن عبيد الله ﷺ حيث لم يزل عمر ﷺ يتودد إليه ويغريه بالمناصب طمعاً في استدامة الخلافة له، وسببه أن طلحة ﷺ ممن كان يعارض استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما - كما زعم البستاني- أما النص بتمامه فبعض كتب التاريخ لم تورد هذا الحوار الذي دار بين أبي بكر الصديق و طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما في هذا الشأن كما في تاريخ الطبري[3]، وعلى العكس من ذلك هناك رواية أخرى تذكر تأييد طلحة لاستخلاف عمر جاءت في تاريخ ابن خلدون ونصها :" ولما احتضر أبو بكر عهد

---

[1] - انظر : في مناهج الدعوة (منهج الإعداد والتكوين) ، ص ٣٨-٤١ .

[2] - انظر : دائرة المعارف العربية (١١/ ٣٣٠) .

[3] - انظر تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٢) .

إلى عمر رضي الله عنهما بالأمر من بعده بعد أن شاور عليه طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه فأثنوا على رأيه ... " [1]

أما ما جرى بين أبي بكر وطلحة رضي الله عنهما في هذا الشأن فسأنقله كما وجدته في تاريخ ابن الأثير حيث قال :" دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه فكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسألك عن رعيتك، فقال أبو بكر أجلسوني فأجلسوه فقال : أبالله تخوفني إذا لقيت ربي فسألني قلت استخلفت على أهلك خير أهلك "[2] .

إننا حين نقارن بين رواية البستاني وما ذكره ابن خلدون وابن الأثير في مسألة معارضة طلحة لاستخلاف عمر رضي الله عنهما يتبين لنا كيف أن البستاني اقتطع الرواية وانتقى منها ما يحقق غرضه غمزاً ولمزاً وليس هذا التدليس من المنهج العلمي في شيء ...

ثم إن تولية عمر لطلحة لم تكن استرضاءً لمعارض وإنما كانت معرفة لقدر وإدراكاً لكفاءة وفضل كما حضّ على ذلك الإسلام .

- وفي (مادة : أبي موسى) نال البستاني من الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ذاكراً ماجرى في قصة التحكيم بينه وبين عمرو بن العاص رضي الله عنهما على إثر الفتنة التي دارت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فقال :" وكان أبي موسى غير ذكي في الحكم فلذلك خدعه عمرو في ذلك الحكم الذي اتفقا عليه وقتئذٍ وهرب أبو موسى إلى مكة "[3].

يتضح هنا تبجح البستاني على ذلك الصحابي الجليل ﷺ وأرضاه، هكذا هو البستاني يستطرد في ذكر الخلاف بين الصحابة دون توخي الأمانة في النقل تحقيقاً لمآربه، وقد دفع ابن العربي[4] هذه التهمة عنه ﷺ قائلاً :" وكان أبو موسى رجلاً تقياً فقيهاً عالماً ... وزعمت

---

[1] - تاريخ ابن خلدون (٥١٧/٢) .

[2] - الكامل في التاريخ (٢٧٣/٢) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٣٥٨/٢) .

[4] - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، أحد الأعلام ولد في شعبان سنة ثمانية وستين وأربعمائة وكان من أهل التفنن في العلوم، صنف التفسير وأحكام القرآن وشرح الموطأ وشرح الترمذي وغير ذلك، وولي القضاء ببلده وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . انظر : طبقات المفسرين للداودي (١٨٠/١) .

الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد "[1].

ويتابع ابن العربي قوله :" هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع " [2].

- وقال في (مادة : أم سلمة) مورداً نصاً عن النبي ﷺ يخبر فيه أم سلمة رضي الله عنها بعلامة مقتل الحسين رضي الله عنه وفيه :" أن النبي (ﷺ) أعطى أم سلمة تراباً من تربة الحسين حمله إليه جبريل فقال لها إذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين ، فحفظته في قارورة عندها ، فلما قُتل الحسين صار التراب دماً فأعلمت الناس بقتله "[3].

لقد وردت هذه القصة في كتابي الكامل[4]، و نهاية الأرب في فنون الأدب[5]، والأهم من هذا أن البستاني أراد استثمار الخلاف الذي نشأ بين الحسين ﷺ ويزيد بن معاوية لبيان فساد ذلك الجيل وظلامية تاريخ المسلمين غير أنني لم أعثر على نص كهذا في كتب الصحاح وربما نقله من كتب الشيعة الذين يقدسون تربة الحسين حيث جاء في كتاب (الحسين عليه السلام سماته سيرته) تعليقاً على ذلك الحديث قول :" فما هذه الأسرار التي تحتويها هذه الأخبار؟ وما سر هذه التربة التي تفيض دمعة الناظر إليها وتتحول إلى دم ، ولها رائحة خاصة وكان طيبها دليلاً عليها لمن يهواها "[6].

- وقال في (مادة : أم الدرداء)[7] يصور لنا أن زوج أبي الدرداء الصغرى كانت امرأة جاهلة ومن جهلها أنها " كانت تجلس للصلاة في صفوف الرجال وكانت تحب مجالسة

---

[1] - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : محمد بن أبي بكر العربي ، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد مهدي الاستنابولي (١٧٦/١) . ط٢، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ،.

[2] - المصدر السابق (١/ ١٧٩) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٤/ ٤٠٤) .

[4] -انظر الكامل في التاريخ (٤٤٣/٣) .

[5] -انظر نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري تحقيق : مفيد قمحية وجماعة (٢٩٨/٢٠) دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، الطبعة : الأولى ،.

[6] - الحسين عليه السلام سماته وسيرته : السيد محمد رضا الحسين الجلالي ، ص١٥٣ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، قمّ المقدسة ، الجمهورية الإسلامية في إيران.

[7] - هو اسم لزوجتي الصحابي الجليل أبي الدرداء (أم الدرداء الكبرى) و(أم الدرداء الصغرى) وكلتاهما من فضليات النساء علماً وصلاحاً.

العلماء"[1]. وقد آثر البستاني إخفاء علة فعلها هذا لكي تبقى حقيقة واحدة في نظر القارئ وهي اتهامها بالجهل والطيش لكونها تصلي بين الرجال وتترك صلاتها مع النساء وللذب عن عرض هذه المرأة الفاضلة فأنا نقول هنا ما لم يقله البستاني، فأم الدرداء الصغرى[2] " كانت يتيمة في حجر أبي الدرداء في برنس[3] تصلي في صفوف الرجال وتجلس في حلق القراء، حتى قال لها أبو الدرداء الحقي بصفوف النساء "[4] ولم يصدر منها ذلك الفعل إلا لكونها حديثة السن لا تميز بين الصفين لذا كان يأمرها أبو الدرداء بالتنحي عن صفوف الرجال، وبهذا يبطل إيهام البستاني في هذه المادة، إذ لا يتصور أن زوج أبي الدرداء ذلك الصحابي الجليل تصاف الرجال في صلاتهم، وهذه مسألة معروفة لا يخفى حكمها على عوام المسلمات فضلاً عن أزواج الصحابة رضوان الله عليهم .

[1] - دائرة المعارف العربية (٤/ ٤٠٣) .

[2] - أم الدرداء زوج أبي الدرداء اسمها هجيمة وقيل جهيمة الأوصابية الدمشقية وهي الصغرى وأما الكبرى فاسمها خيرة وقد عرفت بفقهها ماتت سنة إحدى وثمانين . انظر: تقريب التهذيب (١ /٧٥٦).

[3] - البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو ممطرا أو جبة . قال الجوهري : البرنس قلنسوة طويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام ، وقد تبرنس الرجل إذا لبسه ، قال : وهو من البرس ، بكسر الباء ، القطن ، والنون زائدة ، وقيل : إنه غير عربي . انظر : لسان العرب (٦/ ٢٦) .

[4] - تهذيب التهذيب : (١٢/ ٤٩٣)

المبحث الرابع / شبهات البستاني حــول أعــلام الإســـلام

١ - شبهات البستاني حول أئمة وخلفاء المسلمين :

لقد كان لأعلام الأمة من الخلفاء وقادة المسلمين نصيب وافر من أضاليل البستاني فقد توسع في ذكر مثالبهم والطعن في سيرهم حيث كال لهم التهم بالجور والفسق وانتقى من روايات المؤرخين ما شذ منها وما لا سند لها من أصلها مما يحمل قراء دائرته على بغضهم واعتبار عدم أهليتهم لقيادة الأمة وذلك من خلال ما سرد في المواد التالية :

- قال في (مادة : عباس) حيث أورد نصاً نسبه إلى النبي ﷺ فقال فيه :" إن النبي (ﷺ) قال للعباس أنت وولدك المنصورون إلى يوم القيامة ، وعن النبي (ﷺ) قال هبط عليّ جبريل عليه السلام وعليه قباءٌ أسود وعمامة سوداء وفي وسطه منطقة من ذهب ، فقلت له يا جبريل ما هذه الصورة التي ما رأيتك هبطت عليّ في مثلها ، قال هذه صورة الملوك من ولد العباس ، قال فقلت وهم يومئذٍ على الحق قال نعم ثم قال رسول الله (ﷺ) اللهم اغفر لولد العباس حيث كانوا وأينما كانوا " [١].

عمل البستاني من خلال هذه المادة وسواها على استغلال الشقاق الذي كان بين بني أمية وبين بني العباس الذين أسسوا دولتهم على أنقاض دولة الأمويين ، مستعينا في ذلك بأكاذيب وأباطيل نسبها إلى النبي ﷺ ولا أصل لها بل وجدت ما ذكره في الموضوعات [٢]. وبهذا يتبين مدى ولعه بمثل هذه الوقائع التاريخية التي تستغل من قبل أعداء الإسلام للقدح في المسلمين وتاريخهم .

- وقال في (مادة : حسين) ذاكراً قصة مقتل الحسين ﷺ من قبل جنود يزيد بن معاوية وفيها إنه ﷺ قتل واحتز رأسه :" وانتهبوا أثقاله ومتاعه وما على النساء من ثياب .."[٣].

لقد بالغ البستاني في تصوير الأحداث التي جرت في مقتل الحسين ﷺ حيث إن قاتلي الحسين ﷺ كما روى انتهبوا أثقاله ومتاعه وما على النساء من الثياب، وقد وجدت في بعض كتب المؤرخين ما نصه :" وجاذبوا النساء ملاحضهن عن ظهورهن ، فمنعوا من ذلك

---

[١] - دائرة المعارف العربية (١ / ١٧٩) .

[٢] - الموضوعات : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي تحقيق : توفيق حمدان (٣٤٢/١) دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م ، الطبعة : الأولى .

[٣] - دائرة المعارف العربية (٧/ ٤٩) .

فأمسكوا "[1]. أما أن يصل الحال بقاتلي الحسين إلى تعرية نساء آل البيت الأطهار فـذلك مـالا يعمله أسوياء الفطر . فضلاً عن أن يكونوا مسلمين. وإنما ذلك من مبالغات البـستاني التـي يسعى من خلالها لتشويه تاريخ قرون الإسلام الأولى ، ولعله مما أخذه عن الرافضة .

- ما جاء في سيرة الخليفة المهدي[2] :

- في (مادة : سفيان) يذكر جور الخليفة المهدي من خلال موقفـه مـع سـفيان الثـوري رحمهما الله فقد لقيه سفيان وسلم عليه :" تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة، فأقبل عليـه المهدي بوجه طَلِق وقال له يا سفيان تفرمنا هاهنا وهاهنا وتظن أن لو أردناك بسوء لـم نقدر عليك وقد قدرنا عليك الآن فما تخشى أن نحكم فيك بأهوائنا ، فقال سفيان إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر ..." [3] وهي قصة ذكرها صاحب كتاب مروج الذهب[4] وغيره .

ــ وقال في (مادة : دحمان)[5] : يصور فسق الخليفة المهدي وفساد حاله " وغنى ليلة بحـضرة المهدي العباسي فنال منه ٥٠ ألف دينار ..... حتى صارت الخلفاء تحب سماعه وترغب فيـه وتطلبه فتقدمه وتعظم مكانه "[6] كذا وجدت في كتاب الأغاني[7] وفي غيره نحواً منه.

وللرد على ما سبق أقول : إن من كتاب التاريخ من كان منصفاً في بيان سيرة المهـدي، فقـد قرأت من سيرته ما يدل على صلاح حاله واستقامة شأنه ، حيث كان رجاعاً إلى الله تعـالى . ومما يدل على ذلك أن أصابت البلاد في عهده ريح شديد حتى ظن الناس أنها ستسوقهم إلـى أرض المحشر ، فوُجد المهدي واضعاً خده على الأرض وهو يقول : " اللهم احفظ محمداً فـي

---

[1] - انظر أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٤٢٣/١) .

[2] -المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة ست وعشرين وكان جواداً ممدحا مليح الشكل محببا إلى الرعية حسن الاعتقاد، تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقا كثيراً وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين روي الحديث عن أبيه وعن مبارك وغيرهم ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه . تاريخ الخلفاء : (١ /٢٧١).

[3] - دائرة المعارف العربية (٩ /٦٣١) .

[4] - انظر : مروج الذهب (١/ ٤٩٢) .

[5] - هو دحمان عبد الرحمن بن عبد الله الأشقر المغني مولى بني ليث كان بالمدينة في حياة الأربعة الحذاق ابن سريج ومعبد ومالك وابن عائشة ويأخذ منهم ، اشتهر بالغناء، عاش تسعين سنة ومات في خلافة الرشيد . الوافي بالوفيات (١٨ /١٠٢) وانظر : دائرة المعارف العربية (٦٤٧/٧)

[6] - انظر : دائرة المعارف العربية (٧/ ٦٤٧) .

[7] - انظر : الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني (٣٠/٦) دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان ، تحقيق علي بن مهنا وسمير جابر .

أمته اللهم لا تشمت بنا أعدائنا من الأمم فما لبثوا إلا يسيراً حتى انكشفت الريح وزال عنهم ما كانوا فيه "[1] . وكان رحمه الله يعمل بوصية أبيه المنصور التي أثرت عنه وقال فيها :" يا أبا عبد الله ، إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة "[2]

- ما جاء في سيرة الخليفة هارون الرشيد :

- في (مادة دنانير)[3] يصف حال الرشيد وشغفه بهذه الجارية :" وكان الرشيد يسير إلى منزله ويسمعها حتى ألفها واشتد عجبه بها ، فكان يكثر مسيره إلى مولاها ويقيم عندها ويبرها ويفرط ، حتى أنه وهبها في ليلة عقد قيمته ٣٠ ألف دينار ، وعلمت زبيدة[4] بحاله فشكته إلى أهلها وعمومته فعاتبوه "[5] ذكر الأصبهاني هذا في الأغاني[6] .

- وقال في (مادة : الشطرنج) :" وكان اللعب شائعاً بين الملوك كهارون الرشيد...... "[7]، وهذا مذكور في كتاب الدرر[8] ولم أجده في غيره .

- وقال في (مادة : إسماعيل[1]) أن إسماعيل هذا غنى للرشيد " وقد عجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد بأبيات فكاد الرشيد يرقص واستخفه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم "[2] وهي رواية لم أجدها إلا في كتاب الأغاني[3] .

---

[1] - الكامل في التاريخ (٥ / ٢٦١).

[2] _ مختصر تاريخ دمشق (٤ / ٣٧) .

[3] - زعم البستاني أن دنانير هذه مولدة بالمدينة وكان مولاها قد أدبها وخرجها في الأدب والشعر والغناء حتى صارت أروى الناس للغناء القديم، وهذا كذب وزور. فقد جاء في كتاب الإماء والشواعر قوله: دنانير جارية محمد بن كناسة مولدة، من مولدات الكوفة، رباها محمد بن كناسة، وأدبها، وخرجت: شاعرة ، أديبة ، فصيحة ، وقيل أنها كانت تغني، وذلك باطل كان محمد بن كناسة، رجلاً زاهداً ، نبيلاً ، وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم وليس مثله من يعلم جارية له: الغناء. الإماء والشواعر (١/ ٤٥) .

[4] - زبيدة امرأة الرشيد وابنة عمه وهي ابنة جعفر أم العزيز الملقبة زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية ، كانت أحب الناس إلى الرشيد ، وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر ، وإنما لقبت زبيده لأن جدها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها وهي صغيرة ويقول إنما أنت زبيدة لبياضها فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به ، وأصل اسمها أم العزيز ، وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كبير ، وروى الخطيب أنها حجت فبلغت نفقتها في ستين يوما أربعة وخمسين ألف ألف درهم ، توفيت ببغداد في جمادي الأولى سنة ست عشرة ومائتين. انظر : البداية والنهاية (١٠ /٢٧١)

.

[5] - دائرة المعارف العربية (٨ /٤٠) .

[6] - انظر الأغاني (٧١/١٨) .

[7] - دائرة المعارف العربية (١٠/ ٤٦٦) .

[8] - انظر نثر الدرر في المحاضرات : أبو سعد منصور بن الحسين الآمدي (٧٨/٣) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ط١ ، تحقيق خالد بن عبد الغني محفوظ .

وقال في (مادة : إبراهيم الموصلي[٤]) ومن أخبار إبراهيم أن الرشيد غضب عليه يوماً فقيده وحبسه بالرقه[٥] ،ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه ..... فأمر بإحضاره فحضر بقيوده ففكت عنه وأمر الرشيد فناولوه عوداً فغنى فطرب الرشيد وقال : هنأتني يومي وسأهنيك بالصلة فأنصرف، ولما أصبح أرسل له مائة ألف درهم "[٦] .وهي قصة مذكورة في كتاب الأغاني[٧] كذلك .

بعد سرد المواد التي حكى البستاني من خلالها شيئاً من سيرة الخليفة هارون الرشيد لاحظت أنه عمل في خط واحد مع أصحاب الأقلام الحاقدة من المستشرقين والرافضة[٨] وغيرهم حيث صوبوا سهامهم جميعا على خلافته واتهموه بالفسق والمجون ، لا لشيء إلا لكونه حقق نجاحاً كبيراً في خلافته يتمثل في أنه قاد دولة الإسلام إلى أوج عزها في جميع المجالات وقد نقل المنصفون عنه العديد من المواقف التي تعكس عظيم شخصيته ، وتدل على حسن ديانته . فمن ذلك : أنه رأى الرسول ﷺ في المنام فقال له : " إن هذا الأمر صائر إليك فحج ماشياً .. ووسع على أهل الحرمين ، فأنفق فيهم الرشيد أموالاً عظيمة ، ولم يحج خليفة قبله ولا بعده ماشياً رحمه الله ، ولقد كان من أحسن الخلفاء "[٩]

---

[١] - هو إسماعيل بن الهربذ مكي مولى لآل الزبير بن العوام وقيل بل هو مولى بني كنانة أدرك آخر أيام بني أمية . الأغاني (١١٨/٧) وانظر : دائرة المعارف العربية (٣/ ٦٢١) .

[٢] - دائرة المعارف العربية (٣/ ٦٢١) .

[٣] - انظر : الأغاني (١١٩/٧)

[٤] - إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق المعروف بالموصلي وهو من أرجان ينتسب إلى ولاء الحنظليين سمى الموصلي لأنه صحب بالكوفة فتيانا في طلب الغناء فاشتد عليه أخواله في ذلك فخرج من الكوفة إلى الموصل ثم عاد إلى الكوفة فقال له أخواله مرحبا بالصبى الموصلي فبقي ذلك عليه فولد إبراهيم بها في بنى عبد الله بن دارم سنة خمس وعشرين ومائة ، مات إبراهيم الموصلي المغني والد إسحاق فيما ذكر سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد . انظر : تاريخ بغداد (٦/ ١٧٥)، وانظر دائرة المعارف العربية (١/ ٢٦١) .

[٥] - الرقة بفتح أوله وثانيه وتشديده وأصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء وجمعها رقاق ، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي . معجم البلدان (٣/ ٥٨)

[٦] - دائرة المعارف العربية (١/ ٢٦١) .

[٧] - انظر : الأغاني (١٨٠/٥) .

[٨] - الرافضة مسمى يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية . الذين رفضوا الشيخين وأكثر الصحابة ، وزعموا أن الخلافة في على وذريته من بعده بنص النبي . فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (١٦٣/١) .

[٩] - النجوم الزاهرة (٢ /٦٥) .

ويُنقل عن الفضيل بن عياض[1] قوله : " ما من نفس تموت أشد علي موتا من أمير المـؤمنين هارون ، ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره ، قال فكبر ذلك علينا فلما مات هارون وظهرت الفتن وكان من المأمون[2] ما حمل الناس على خلق القرآن[3]، قلنا الشيخ كان أعلم بما تكلم "[4]

- ما جاء في سيرة الخليفة المعتصم[5] :

- قال البستاني في (مادة : خليع[6]) : " ولما ولي المعتصم الخلافة بعد المأمون سأل عن الخليع وأمر بقدومه وأنشده أبياتاً ، فلما أتاه أدناه المعتصم وملأ فمه جوهراً من جواهر كانت بين يديه ، ثم أمر بإخراجها من فمه ونظمها في سلك ودفعها إليه ... "[7] ، وقد ذكر هذا الأصبهاني في الأغاني[8] .

- وقال في (مادة : براعة) ومن مستفتحات الابتداء مطلع قصيدة مُدِحَ بها المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان، وهو :

---

[1] - أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الزاهد المشهور، ومولده بأبيورد وقيل بسمرقند ونشأ بأبيورد ،وقدم الكوفة وسمع الحديث بها ثم أنتقل إلى مكة شرفها الله تعالى وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٤ /٤٩)

[2] - هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين وأمه أم ولد يقال لها مراجل الباذغيسية ، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة ، أحد الخلفاء العباسيين وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرا توفي بطرسوس سنة ثماني عشرة ومائتين وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة . انظر : البداية والنهاية (١٠ /٢٨٠) .

[3] - في سنة اثنتي عشرة ومائتين ظهرت فتنة القول بخلق القرآن على عهد الخليفة المأمون وتصدى لها العلماء فحوسبوا وعذبوا . انظر : تاريخ الإسلام (١٥ / ٨) .

[4] - سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٨٩)

[5] - أمير المؤمنين المعتصم محمد بن هارون أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة وأمه أم ولد اسمها ماردة ، بويع بعد المأمون بعهد منه إليه في رابع عشر رجب سنة ثماني عشرة ومائتين ، وكان يقال له المثمن لأنه ثامن خلفاء بني العباس وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح وقتل ثمانية أعداء منهم قائد الرافضة ورئيس الزنادقة وكان موته سنة سبع وعشرين ومائتين ، انظر : فوات الوفيات (٢ /٤٤٣)

[6] - خليع : هو الحسين بن الضحاك بن ياسر أبو علي البصري الشاعر المعروف بالخليع مولى باهلة ، أقام ببغداد وهو شاعر ضالع في ضروب الشعر وأنواعه ، وبلغ سنا عالية يقال إنه ولد في سنة اثنتين وستين ومائة ومات في سنة خمسين ومائتين. انظر : تاريخ بغداد (٨ /٥٤)

[7] - دائرة المعارف العربية (٤٥٩/٧) .

[8] - انظر الأغاني (١٧١/٧) .

يا دار غيرك البلا ومحاك   يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور "[1] .

وقد ذكرت هذه الحادثة في كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب[2] وغيره .

مقابل هذا فقد تجاهل البستاني أن يذكر ما عُرف عن المعتصم رحمه الله من الشجاعة والبسالة ونصرة المستضعفين ، ففي فتح عمورية[3] حين خرج ملك الروم وفعل بالمسلمين ما فعل في بلاد المسلمين " بلغ الخبر المعتصم فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه ، وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ، ونهض من ساعته وصاح في قصره النفير النفير "[4] وسير جيشاً لتأديب الروم .

- ما جاء في سيرة الملك الظاهر بيبرس :

- قال في (مادة : الظاهر بيبرس[5]) : " وكان شديد الحرص على إقامة شعائر الدين صارماً على مخالفيه ، فأمر بإراقة الخمور وإبطال ضمان الحشيش وإزالة المنكرات .. وحبس بعض النساء حتى يتزوجن ، وجعل حد السكر السيف ..... وكان سنة ٦٦٣ هـ قد أمر بحرق النصارى فتشفع فيهم فعفا عنهم "[6] .

إن تطاولات البستاني على أعلام المسلمين لحقت بالملك الظاهر بيبرس فقد ناله شيئاً من مفترياته عليهم في المادة السابقة ، صحيح أن الملك الظاهر عرف بتشدده وحرصه على

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٢٦٤/٥) .

[2] - خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (٢٢/١) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ط١ ، تحقيق عصام شقيو .

[3] - بفتح العين المهملة وميم مشددة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة وهاء في الآخر من بلاد الروم ، وهي بلدة كبيرة ولها قلعة داخلها حصينة وأكثر ساكنيها التركمان وهي التي فتحها المعتصم ابن الرشيد أحد خلفاء بني العباس فلما فتحها أنشده أبو تمام قصيدته التي أولها :

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٣٣٥/٥) .

[4] - الكامل في التاريخ (٤٠/٦)

[5] - السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي ، صاحب مصر والشام . ولد في حدود العشرين وستمائة وكان غازيا ، مجاهدا ، مرابطا ، خليقا للملك ، ،وكان له أياما بيضاء في الإسلام ، ومواقف مشهودة ، وفتوحات معدودة . وقد دخل الروم ، قبل موته بشهرين ، وكسر التتار . انتقل إلى عفو الله وسعة رحمته يوم الخميس بعد الظهر الثامن والعشرين من المحرم . انظر : تاريخ الإسلام (٥٠ /٢١٧) .

[6] - دائرة المعارف العربية (١١ /٤٠٠) .

إقامة شعائر الدين والقسوة والتغليظ في العقوبة على الفسقة ، ولكن لم أجد في سيرته ما يدل على مغالاته في تطبيق تلك الشعائر بالشكل الذي حكاه البستاني . فالثابت من سيرته رحمه الله أنه أمر " بإراقة الخمور في سائر بلاده وأوعد من يعصرها بالقتل فأريق في الأجناد والعوام منها ما لا تحصى قيمته "[1] ، هذا وحسب ولا حجة للبستاني في دعواه أنه أمر بإحراق النصارى . كما قد أثنى عليه الإمام الذهبي خيراً فقال : " كان الظاهر خليقاً بالملك لولا ما كان فيه من ظلم ، قال : والله يرحمه ويغفر له ؛ فإن له أياماً بيضاء في الإسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة "[2] .

- ما جاء في سيرة إبراهيم بن المقتدر :

- قال في (مادة : إبراهيم بن المقتدر[3]) : يصف هذا الخليفة : " وكان فيه دين وصلاح وكثرة صلاة وصيام وكان لا يشرب الخمر "[4]

في هذا إشارة من البستاني إلى أنه يندر أن يكون خلفاء المسلمين في حال مستقيمة حيث لم يسلم أحد منهم طيلة التاريخ من عيب في ديانته وخلقه إلا ما استثناه البستاني كما هو الشأن بالنسبة للخليفة المقتدر ، وعلى أية حال فإننا لا نقول بعصمة أئمة الإسلام ولكن فسق أحدهم " لا يخرجه من أن يكون أهلاً للإمامة والسلطنة فإن الأئمة بعد الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم قل ما يخلوا واحدٌ منهم عن فسق فالقول بخروجه من أن يكون إماماً بالفسق يؤدي إلى فساد عظيم "[5].

- ما جاء في سيرة ابن طولون :

---

[1] - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (١٥٤/٧) دار النشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر .

[2] - حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة: عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السيوطي (٢٤٨/١)

[3] - الخليفة المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله الهاشمي العباسي البغدادي ، بويع بعد أخيه المكتفي في سنة خمس وتسعين ومئتين وهو ابن ثلاث عشرة سنة وما ولي أحد قبله أصغر منه ، وخلع مراراً ثم أعيد إلى السلطة وقتل في الرابعة ، كان ربعة مليح الوجه أبيض بحمرة نزل الشيب بعارضية وعاش ثمانيا وثلاثين سنة . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٣) .

[4] - انظر : دائرة المعارف العربية (٢٣٠/٢) .

[5] - المبسوط : شمس الدين السرخسي (٥ / ٣٢) دار المعرفة - بيروت .

- **في (مادة : ابن طولون[1]) قال : " وراح أحمد بن طولون في يوم الجمعة إلـى الجـامع ، فلما رقى الخطيب المنبر وخطب ودعا للمعتمد[2] ولولده ونسي أن يدعو لأحمد بن طولون ونزل عن المنبر ، فأشار أحمد إلى خادمه أن اضربه خمسمائة سوط ، فـذكر الخطيـب سهوه وهو على مراقي المنبر فعاد وقال بعد الحمدلة والديباجة "[3]**

لم أجد أصلاً لهذه القصة فيما أعلم ، بل كان الإمام الطحاوي[4] رحمه الله يثني عليه خيراً حيث قال : " ما أدري كم كان يجيء أحمد بن طولون إلى بكار[5] وهو على الحديث فما يشعر به بكار إلا وهو جالس إلى جنبه ، فيقول ما هذا أيه الأمير هلا تركتني حتى أقضي حقك ، أحـسن الله مجازاتك "[6] وهذا الموقف مما يدل على حسن خلقه وتواضعه لأهل الفضل والعلم .

- **ما جاء في سيرة السلطان إبراهيم العثماني[7] :**

- **جاء في (مادة : شكرباره) : أنها امرأة اشتهرت في أيام السلطان إبراهيم خان العثمـاني " كانت من مصاحبيه أي سميرة تروي له النكات والأقاصيص ، وتدرجت شيئاً فشيئاً إلى**

---

[1] -أحمد بن طولون صاحب مصر أبو العباس ولد بسامراء، و قد أجاد حفظ القران وطلب العلم وتنقلت به الاحوال وتأمر وولي ثغور الشام ثم إمرة دمشق ثم ولي الديار المصرية في سنة أربع وخمسين وله إذ ذاك أربعون سنة، وكان بطلا شجاعا مقداما مهيبا سائسا جوادا ممدحا من دهاة الملوك توفي أحمد بمصر في شهر ذي القعدة سنة سبعين ومئتين . انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٦) .

[2] - هو أمير المؤمنين المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد مكث في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام ، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهرا . بويع للخلافة بعده المعتضد أبي العباس أحمد بن أحمد الموفق بن جعفر المتوكل ، وكان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم . انظر : البداية والنهاية (١١ /٦٥) .

[3] - انظر : دائرة المعارف العربية (١/ ٥٦٩) .

[4] - محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي وطحا من قرى مصر ولد سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وقد صنف أبو جعفر في اختلاف العلماء وفي الشروط وفي أحكام القرآن العظيم وكتاب معاني الآثار مات رحمه الله في مستهل ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة عن بضع وثمانين سنة . انظر : تذكرة الحفاظ (٣ /٨٠٨) .

[5] - هو القاضي بكار ابن قتيبة ابن أسد بن عبيد الله بن بشير بن صاحب رسول صلى الله عليه وسلم أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي البكراوي البصري القاضي الكبير العلامة المحدث أبو بكرة الفقيه الحنفي قاضي القضاة بمصر، مولده في سنة اثنتين وثمانين ومائة بالبصرة، كان عظيم الحرمة وافر الجلالة من العلماء العاملين كان السلطان ينزل إليه ويحضر مجلسه، قدم بكار قاضيا من قبل المتوكل في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومئتين فلم يزل قاضيا إلى أن توفي في ذي الحجة سنة سبعين ومئتين . سير أعلام النبلاء (١٢ /٥٩٩) .

[6] - رفع الإصر عن قضاة مصر : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني تحقيق : د.علي محمد عمر ، (١/ ١٠١) مكتبة الخانجي - القاهرة /مصر - ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى .

[7] -هو السلطان إبراهيم بن السلطان أحمد أخو السلطان مراد جلس على تخت الملك سنة وفاة أخيه السلطان مراد وهي سنة تسع وأربعين وألف ، واستمر في الملك إلى أن انفتل من مدته سنة ثمان وخمسين وألف وكانت مدة سلطنته ثمان سنين وثمانية أشهر . انظر : سمط النجوم العوالي (٤/ ١٢٠) .

المداخلة في أمور المملكة وابتزاز الرشوة يميناً وشمالاً ، فكثر كلام النـــاس فـــي ذلـــك فاتصل الخبر إلى مسامع السلطان فنفاها .. وذلك سنة ١٦٤٨م "[1]

في المادة السابقة أتهم البستاني السلطان إبـــراهيم العثمـــاني بـــسوء إدارة الدولـــة والتشاغل عنها بتوافه الأمور بينما كانت فترة خلافته مليئة بالقلاقـــل والفـــتن التـــى اشـــتغل بإخمادها " كأخباره في مواجهة المسيحيين البنادقة الذين قاموا بحرق بعض ثغور الدولـــة ، وانشغاله بمحاولة القضاء على حركات داخلية مناوئة مما دعا إلى عزله ثم أعيد إلى الـــسلطة مرة أخرى وكان هذا في عام ١٦٤٨م "[2]

وفي الجملة فمؤرخوا تاريخ الدولة العثمانية يشهدون بأنه " كان محافظاً على كرامة الدولـــة غير متراخٍ في معاقبة من يمسها بسوء أو يتعدى حدودها "[3] فمتى يجـــد شـــخص كالـــسلطان إبراهيم وقتاً للعبث ومجالسة الخاملين ؟!

٢- شبهات البستاني حول أعلام الإسلام من التابعين وعلماء الأمة :

فيما يأتي جمعت الدراسة بعض المواد التي تطرق فيها البستاني إلى ذكر سير رمـــوز الدعوة الإسلامية وبعضاً من صالحي وعلماء هذه الأمة حيث لم يـــسلموا مـــن تطاولاتـــه وكتاباته المسمومة وبنفس أسلوبه السابق في إيراد الأحداث فبعض ما ذكره عـــن أولئـــك الأعلام كذب لا أصل له وبعضها مبالغ فيه ومنها ما هو ضعيف لم تثبت صـــحته . فمـــا وافق هواه منها قبله وتغاضى عما سواها . وجملة ما ســـيأتي مـــن المـــواد نلحـــظ فـــي مضمونها افتراءه على تلك الرموز ، تارة بوصفهم بالجهل والفسوق وتارة بحـــب الـــدنيا والركون إلى ملاذها ومجاراة أهل الفسق وتارة باتهامهم بالابتداع في الدين .

- ما جاء في سيرة الإمام زين العابدين [4]علي بن الحسين رضي الله عنه :

---

[1] - دائرة المعارف العربية (١٠/ ٥١٨) .

[2] - انظر: تاريخ الدولة العلية (١/٢٨٧ و ٢٨٨) .

[3] - تاريخ الدولة العلية (١/٢٨٦) .

[4] - من سادات التابعين ولد سنة ثلاث وثلاثين توفي سنة أربع وتسعين للهجرة، كثير البر بأمه ولم يكن يأكل معها في صحفه فقيل له في ذلك فقال أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، وقد كان من أحسن أهل بيته طاعة وأحبهم إلى مروان والى

- قال البستاني في (مادة : زين العابدين) يذكر خبر وفاته ﷺ: وكانت وفاة زين العابــدين بالمدينة في ١٢ محرم سنة ٩٤هــ ، قيل مات مسموماً والذي سمه الوليــد بــن عبــد الملك[١] "[٢]

لا صحة لما ورد في المادة السابقة من خبر تسميم الوليد بن عبد الملك للإمام زين العابدين رحمهما الله ، ولم تتوسع الكتب التاريخية في ذكر سبب وفاة هذا الإمام الجليل لكونه جرى طبيعة ، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لذكره المؤرخون ، فعلى سبيل المثال يقول ابن خلكان : توفي الإمام علي بن الحسين " سنة أربع وتسعين وقيل تسع وتسعين وقيل اثنتين وتسعين للهجرة بالمدينة ودفن بها في البقيع في قبر عمه الحسن بن علي رضي الله عنه في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه " [٣]

- ما جاء في سير السيدة سُكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم :

- قال في (مادة : سُكينة) : " وكانت تحب الهزل واللهو والطرب، ولها مع ابن سريع المغني قصة طويلة ..."[٤]

إنها فرية على هذه السيدة الوقور وجدت مثلها في كتاب " المرقصات والمطربات "[١] ، والحق أن السيدة سكينة عرفت بعلمها وفضلها فهي من المحدثين الثقات وقد كانت رضي

عبد الملك وكان من دعائه (اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني) ، وكان يبجل فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت من أهل المدينة وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة، ولا عقب للحسين إلا من زين العابدين . انظر : الوافي بالوفيات (٢٠ / ٢٣٠) .

[١] - يكنى أبا العباس أمه ولادة العبسية وكان أسمر طوالا حسن الوجه وكان له تسعة عشر ابنا ، بايع له عبدالملك قبل موته ، عاش اثنتين وخمسين سنة وقيل اثنتين وأربعين وقيل خمسا وأربعين ، كانت خلافته عشر سنين إلا شهرا ، كان أهل الشام يرون للوليد فضلا ويقولون بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة وأعطى المجذومين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وكان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل بيده فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها، توفي يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بدير مران وحمل إلى دمشق . انظر :المنتظم المنتظم (٧ /٢٣) و (٦ / ٢٦٨) .

[٢] - دائرة المعارف العربية (٩ / ٣٥٧)

[٣] - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : احسان عباس (٣ /٢٦٩) دار الثقافة - لبنان .

[٤] - دائرة المعارف العربية (٩ /٦٩٣)

الله عنها " تروي عن أهل بيتها وروى عنها أهل الكوفة "[2]، وقال الذهبي رحمه الله : " وكانت شهمة مهيبة "[3] ولا يعقل أن ينسب إليها مثل هذه الترهات .

- **ما جاء في سيرة عطاء بن أبي رباح [4]رحمه الله :**

- **قال في (مادة : أبجر)[5] : " وكان الأبجر ماهراً في الغناء... دخل في الطواف حين أصبح فرأى عطاء بن أبي رباح يطوف بالبيت فقال : يا أبا محمد اسمع صوتاً أخذته في هذه الليلة .. قال له: ويحك في هذا الموضع ، قال : كفرت برب هذا البيت إن لم تسمعه سراً لأجهرت به قال هاتِ فغناه أبياتاً ..... فطرب وارتاح ، وقال : أصبت يا أبا عبيد الله ما في نفسي وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر " [6]**

وجدت هذه القصة في كتاب الأغاني [7] ولم أعثر عليها مروية في غيره .

وليس خليقاً بهذا التابعي الجليل أن تنسب إليه هذه القصة لجلالة قدره بين أهل زمانه ومراقبته لله تعالى فقد أُثر عنه قوله :" أتنكرون أن عليكم كراماً كاتبين عن اليمين والشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدره وليس فيها شيءٌ من أمر آخرته "[8] .

كما أنه رحمه الله عرف بزهده في ملبسه ومأكله ، فكيف يأمر لغيره بالمال الوفير وقد أثر عنه " أن أثوابه لا تساوي خمسة دراهم " [9].

---

[1] - انظر : المرقصات والمطربات : أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (١ / ٢٤-٤٣)

[2] - الثقات : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق : السيد شرف (٣٥٢/٤)

دار الفكر - ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥م ، الطبعة : الأولى .

[3]- الثقات : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (٤ / ٣٥٢) دار الفكر ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ط١ تحقيق السيد شرف الدين أحمد .

[4] - عطاء بن أبى رباح مولى آل أبى خيثم الفهري القرشي واسم أبى رباح اسلم كان مولده بالجند من اليمن ونشأ بمكة وكان أعور اشل أعرج ثم عمى في آخر عمره وكان من سادات التابعين وكان المقدم في الصالحين مع الفقه والورع كان مولده سنة سبع وعشرين ومات بمكة سنة أربع عشرة ومائة كنيته أبو محمد . انظر : مشاهير الأمصار (١ /٨١) .

[5] - هوعبيد بن قاسم أبو طالب الأبجر المغني مولى كنانة وقيل بني الليث لم يكن بمكة أظرف ولا أشجى ولا أحسن هيئة من الأبجر لازم الوليد بالشام إلى أن قتل ثم خرج إلى مصر فمات بها . انظر : الوافي بالوفيات (١٩ /٢٨٠) .

[6] - انظر : دائرة المعارف العربية (١ / ٢٠٠) .

[7] - انظر : الأغاني (٣ / ٣٤٢) .

[8] - سير أعلام النبلاء (٥ / ٨٦) .

[9] - المصدر السابق (٥ / ٨٧) .

- **ما جاء في سيرة الربيع بن خثيم[1] رحمه الله :**

- **قال البستاني في (مادة : ربيع) يتحدث عن الربيع بن خثيم أحد التابعين الأجلاء يقول : " وكان يذهب إلى المقابر ليلاً ويحي ليله هناك "[2]**

ذكر صاحب كتاب صفوة الصفوة خلاف ما رواه البستاني في سبب مجيئه إلى المقابر ليلاً حيث قال " إذا كان الليل ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر ، فيقول يأهل المقابر كنا وكنتم فإذا أصبح فكأنه نشر من قبر "[3] وهذا هو الأصوب لكون الربيع يعد من كبار علماء السلف ولا يخفى على مثله بطلان إحياء الليل بصلاة ودعاء ونحوه عند المقابر لما في الحديث الذي رواه ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول :" لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذّر ما صنعوا " [4]

- **ما جاء سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب[5] رحمه الله :**

- **في (مادة : ابن سعود) [6] تحدث البستاني عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أثناء عرضه لتوسعات الدولة السعودية فقال : " اتحد مع ابن عبد الوهاب مبتدع مذهب الوهابية وتولى إمرة طائفة الوهابية وصار حاكمهم وقائد عسكرهم "[7]**

---

[1] - الربيع بن خثيم الثوري التميمي أبو يزيد من عباد أهل الكوفة وزهادهم والمواظبين منهم على الورع الخفى والعبادة الدائمة إلى أن مات بها بعد قتل الحسين بن على سنة ثلاث وستين . مشاهير الأمصار (١ /٩٩) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٨ / ٥٤٠)

[3] - صفوة الصفوة : عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج ٣ / ٦١) دار المعرفة بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٩٧م .

[4] - صحيح البخاري . كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣ /١٢٧٢) .

[5] - هو الإمام الشهير والداعية الإسلامي محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد التميمي، الذي ظهر في أثناء القرن الثاني عشر الهجري بنجد فدعا إلى توحيد الله بالعمل والعبادة على خطى السلف الصالح، ولد في العيينة من بلدان العارض بنجد سنة ١١١٥هـ فنشأ بها وشب محباً للعلم وارتحل إلى البلدان في طلبه، وتصدى للبدع وحارب الشركيات المنتشرة في البلاد في ذلك الوقت، وبعد مضي سبع وعشرين سنة من ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود توفي هذا الإمام سنة ١٢٠٦هـ عن واحد وتسعين عاماً قضاها في تحصيل العلم ونشره وخدمة الدعوة إلى الله تعالى . انظر : مشاهير علماء نجد . ص ٢٠

[6] - هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان ، من بني مانع المنسوب إلى مرة ذهل بن شيبان ،من عدنان : أول من لقب بالإمامة من آل سعود ، في نجد ، كان مقامه في الدرعية . وولي الإمارة بعد وفاة أبيه بسنتين ــ أو أربع سنين ــ سنة ١١٣٩هـ وحسنت سيرته وقويت شوكته ، وفي أيامه ١١٥٧هـ وفد على الدرعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية المعروفة باسمه فتعاهدا على أن يكون ابن سعود حارساً للدين وناصراً للسنة وأن يستمر الإمام محمد في دعوته ، كان شجاعاً حازماً توفي بالدرعية . الأعلام للزركلي (٦/ ١٣٨).

[7] - دائرة المعارف العربية (١/ ٥١٧) .

أثارت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب جدلاً واسعاً لدى المستشرقين وهاهو البستاني يترسم خطاهم ويقول بأقوال المتحيزين منهم ضد دعوته ، فقد ذهب فريق منهم إلى نعتها بالجمود والتزمت ، والبعض يقول إنها دعوة إلى دين جديد ، أما المنصفون منهم فينظرون إليها بأنها دعوة إصلاح وتجديد [1]، وخلاصة القول :" أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان يحب أن يرى الدين في صورته الأصلية وكان مولعاً بإتباع السلف الصالح في العقائد والأعمال وكان يتبع مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في الفروع الفقهية ، لكنه إذا وجد حديثاً يخالف مذهب الحنابلة فلا يمنعه مانع من العمل بذلك الحديث "[2] .

ومما قاله الإمام في إحدى رسائله رداً على من بدعوا دعوته :" فنقول وبالله التوفيق الذي ندين به الله وحده لا شريك له والكفر بعبادة غيره ومتابعة الرسول النبي الأمي حبيب الله وصفيه من خلقه محمد ﷺ " [3]

وللرد على مجمل شبهات البستاني حول الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم من الأئمة الأعلام وخلفاء المسلمين وولاتهم نقول :

أولاً : القدح في صحابة النبي ﷺ قدح في النبي الكريم الذي اصطفاه الله من بين خلقه ليكون للعالمين نذيراً ، واصطفى له صحب يقومون بتبليغ رسالته وحمايته والجهاد معه . يقول الإمام مالك رحمه الله في شأن من يتطاول على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم :" إنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه ، .. ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين " [4] وقل مثل ذلك في شأن العلماء من هذه الأمة .

ثانياً : القدح في الصحابة رضوان الله عليهم قدح في الدين ، لأن الفضل لهم بعد الله تعالى في تبليغه إلى من خَلَفَهم ، فهم الناقلون للشريعة المحمدية فإن ذممنا أحداً منهم ذممنا الشريعة ، قال أبو زرعة الرازي[5] رحمه الله : " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب

---

[1] - انظر : مواد التاريخ الوهابية : للرحالة جوهان لود فيج بوركهارت ص(١٢- ١٦) .

[2] - موقف المستشرقين من دعوة محمد بن عبد الوهاب (عرض ونقد) : رسالة ماجستير : الطالب مرسال عبد الله مرسال المحمادي ص١٩٤.

[3] - رسالة كتبها الإمام إلى عبد الله الصنعاني (مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) (٣ / ٥٩)

[4] - الصارم المسلول على شاتم الرسول : أحمد بن عبدا لحليم بن تيمية الحراني (٣ / ١٠٨٩) ط١، دار ابن حزم ، تحقيق محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير أحمد شودري .

[5] - الإمام الحافظ الرحال الصدوق أبو زرعة أحمد بن الحسين ابن علي بن إبراهيم بن الحكم الرازي الصغير وكان واسع الرحلة جيد المعرفة وصنف التصانيف مات بطريق مكة قديما في سنة خمس وسبعين وثلاث مئة . سير أعلام النبلاء (٤٦/١٧) .

رسول الله ﷺ فأعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق ،والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح أولى بهم وهم زنادقة "[1] . ونرد بذلك أيضاً على الطاعنين في علماء هذه الأمة فهم الذين تحملوا أمانة التبليغ عن الصحابة رضي الله عنهم .

وهذا شأن المستشرقين وغيرهم ممن يحقد على الإسلام وأهله ولهم في ذلك أحوالاً ، فمنهم المبالغ والمحرف والواضع فيما يتناولونه من سير هؤلاء الصحابة الأطهار .

ثالثاً : الصحابة رضوان الله عليهم بشر يخطئون ويصيبون ولا ندعي عصمتهم ، غير أنه لا إثم على أحدٍ منهم فيما نشب بينهم من التنازع لكونهم مجتهدون ، والمجتهد له أجران إن أصاب ، أجر واحد إن أخطأ كما صح ذلك عن النبي ﷺ من حديث عمرو بن العاص ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فله أجر واحد ثم أخطأ فله أجر "[2]

فإذا قلنا ذلك في شأن الصحابة رضي الله عنهم فهو القول في أعلام الهدى من التابعين وتابعي تابعيهم .

وبهذا نحفظ على أعلام أمتنا مكانتهم ونقطع الطريق على كل ساع في النيل منهم .

رابعاً : الدولة الأموية دولة نشأت في القرون المفضلة التي زكاها النبي ﷺ ووصفها بالخيرية فقال :" خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " [3]وعليه فلا يتصور أن يكون خلفاء هذا الدولة على عظيم فساد ؛ وذلك بحكم قربهم من العهد النبوي ، ولكونهم أدركوا الصحابة رضوان الله عليهم .

خامسا : صرح كتاب التأريخ الإسلامي الأوائل بعدم صحة جميع ما دونوه ، وأبانوا ذلك في كتبهم . ففي تاريخ الطبري مثلاً يقول رحمه الله :" فما كان في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكر قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في

---

[1] - الكفاية في علم الرواية : أحمد بن على بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي (١/ ٤٩) المكتبة العلمية – المدينة المنورة ، تحقيق أبو عبد الله السورقي ــ إبراهيم حمدي المدني .

[2] - سبق تخريجه ص ١١١

[3] - صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٥ /٢٣٦٢).

الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في الحقيقة من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا "[1]

أما روايات أبي الفرج الأصبهاني[2] التي نقل البستاني العديد منها في دائرته فيقول هو في شأن بعض مروياته " لعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي[3] أو حكاه عن رجل ادعى فيه ما لا يعلم "[4]

وعليه فلجوء البستاني لمثل هذه الروايات يقودنا إلى أمرين :

أولهما : القول بأن اعتماد البستاني على كتاب الأغاني وطرحه ماعداه إنما هو قصر نظر وعدم إحاطة وسوء بضاعة ومخالفة للمنهج العلمي الذي يلزم الاستقصاء .

ثانيهما : القول بأن في كتاب الأغاني من المرويات ما فيها كيد واضح وكذب فاضح وغرض مشين يُعزى إلى النكارة والجهالة ولا يثبت به حق بين !

فابن الجوزي رحمه الله يقول : " ومثله – أي الأصبهاني - لا يوثق به فإنه يصرح في كتبه بما بوجب العشق ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر " [5].

وإذا علمنا هذا جاز لنا القول بأن البستاني يفتقر إلى حد كبير إلى نزاهة القلم ويفتقد للأمانة العلمية .

ويعطينا ابن الأثير حكماً عاماً ينطبق على مجمل مرويات المؤرخين القدامى والمعاصرين حيث يقول :" فإن الناس قد حشدوا تواريخهم بمقتضى الأهواء "[6] وهم في بذلك يخلطون بين صحيح الروايات وفاسدها وذلك هو : "الموت الأحمر والخطر الأكبر فإنهم ينشئون أحاديث استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم "[7]

---

[1] - تاريخ الطبري (١٣/١) .

[2] - صاحب كتاب الأغاني واسمه علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبدالرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي صاحب كتاب الأغاني وكتاب أيام العرب ذكر فيه ألفا وسبعمائة يوم من أيامهم وكان شاعرا أديبا كاتبا و فيه تشيع توفي في ذي الحجة من هذه السنة وكان مولده في سنة أربع وثمانين ومائتين . أنظر: البداية والنهاية (٢٦٣/١١).

[3] - هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤ هـ) مؤرخ وعالم أنساب وله معرفة بأخبار العرب ومثالبها ووقائعها ، ينقل عنه الخطيب البغدادي قوله : حفظت مالم يحفظه أحد ، ونسيت مالم ينسه أحد .

[4] - الأغاني (٢ / ٤١) .

[5] - البداية والنهاية (١١ /٢٦٣)

[6] - الكامل في التاريخ (٣ / ١٤) .

[7] - العواصم من القواصم (١/ ٢٦٠) .

سادساً: وضح النبي ﷺ قاعدة جليلة لا ينبغي للمسلم أن يحيد عنها في تعامله مع ولاة المسلمين برهم وفاجرهم ، حيث جاء عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم قال: لا ما صلوا أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه " [1] وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : " إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا : يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم "[2] ، وذلك لحفظ كيان الأمة وصيانة دمائها، وهي غاية يهدف المغرضون من أعداء الإسلام إلى تغييبها عن واقع الناس، والسعي نحو تأليب الشعوب على حكامهم باذلين لأجل ذلك كل الطاقات .

نتيجة المبحثين الماضيين :

أولاً / استغل البستاني بعض الأحداث التي جرت في حياة النبي ﷺ الخاصة للنيل من شخصه الكريمة والإيهام بعدم عصمته .

ثانياً / عمل البستاني في موسوعته على إساءة الظن بالصحب الكرام من خلال تهويل بعض المواقف التي دارت بينهم أو التعدي عليهم باتهامهم بأوصاف ليست فيهم مستعيناً في ذلك بالروايات الموهومة والتي لا أصل لها مع بتر النصوص والانتقائية في نقلها ، ليصل بذلك إلى فكرة مفادها أن عهد الخلفاء الراشدين وما بعده كان عهد اضطرابات وخلافات ولا يصلح أن يكون مجتمعا صالحاً يُقتدى به .

ثالثاً / أراد البستاني النيل من السنة النبوية المطهرة من خلال القدح فيمن نقلها إلينا وذلك بإثارة الشكوك حول شخوصهم ومسمياتهم .

رابعاً/ تناول سير العديد من الخلفاء وولاة المسلمين بالطعن فيهم وكيل التهم لهم فقد توسع في ذكر مثالبهم واتهمهم بالجور والفسق وانتقى من روايات المؤرخين ما شذ منها ومالا سند لها من أصلها مما يحمل قراء دائرته على بغضهم واعتبار عدم أهليتهم لقيادة الأمة .

---

[1] - صحيح مسلم كتاب الإمارة.باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك (٣ /١٤٨٠).

[2] - صحصح مسلم كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٣ /١٤٧٢).

خامساً/ في نصوص أخرى يتطاول البستاني على علماء الأمة متهماً إياهم بالجهل والفسق والابتداع في الدين ومجالسة أهل المجون مورداً بعض القصص والأباطيل التي لم تصح عنهم لتكون المحصلة من الطعن في رموز الأمة غياب القدوات والنماذج المشرقة في المجتمع مما ينتج عنه الهزيمة النفسية والشعور بالإحباط .

الفصل الثاني

دور البستاني في الترويج للمذاهب الهدامة

ويشتمل على :

المبحث الأول : جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان الأخلاقي

المبحث الثاني : جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان الفكري

المبحث الثالث :جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان السياسي

مقدمة :

كان للبستاني دور بارز في نشر المذاهب الفكرية المنحرفة، حيث يعتبر من منظري أوائل القرن التاسع عشر لتلك التيارات الهدامة القديمة متزعماً ما يسمى بحركة التنوير في الشام آنذاك، يبرز هذا الأمر من خلال ما يلي :

أولها : يتضح ولع البستاني الشديد بهذه الفلسفات لكونها من أوائل العلوم التي تلقاها في صغره .[1]

ثانيها : يعتبر المعلم بطرس البستاني أول من أدخل في المعاجم العربية لفظة (نظرية) بصيغتها الدالة على معناها الاصطلاحي ، حيث قال في معجمه محيط المحيط :" النظري نسبة إلى النظر ويطلق على مقابل الضروري ويسمى كسبياً ومطلوباً ، وهو الذي يتوقف حصوله على نظر وكسب كتصور النفس و العقل كالتصديق بأن العالم حادث ، ويطلق في تقسيم العلوم مطلقاً على ما كان غير متعلق بكيفية عمل ، ويقابله العلمي وهو ما كان متعلقاً بها ويطلق في تقسيم الحكمة على مالا يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا، ويطلق في تقسيم الصناعات على ما لا يتوقف حصوله على ممارسة العمل والعلمي عكسه. النظرية مؤنث النظري وفي الهندسة قضية محتاجة إلى برهان لإثبات صحتها "[2] وبهذا أمكنه إدخال هذا المصطلح في ثقافتنا العربية.

ثالثها: إيماناً من البستاني بدوره في تغريب الأمة الإسلامية كان من أهم ما قام به الترويج لتلك المذاهب الهدامة حيث يعتبر " من أنشط العرب في نقل الحضارة الغربية وتطويع اللغة العربية للتعبير عما تضمنته من مفاهيم " [3].

رابعها : طوع البستاني جميع إمكانياته خدمةً لأرباب تلك المذاهب المنحرفة الذين تربطهم به صلة ، حيث أتاح الفرصة لأقلامهم المسمومة عبر مجلاته وصحفه لنشر تلك الضلالات ، فقد نشر في مجلة (الجنان) مقالاً لأحدهم يحمل عنوان (سياحة العقل) وفيه ألمح إلى نظرية (النور) الطبيعية ، تلك النظرية التي تفسر أصل نشوء المادة وهي تؤكد على

---

[1] - انظر الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المؤصل ص٥٣١ .

[2] - محيط المحيط: بطرس البستاني (٢ /٢٠٩٣) بيروت (١٨٧٠م – ١٢٨٦هـ)

[3] - العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب : محمد حامد الناصر ص ١٣٠، مكتبة الكوثر/ الرياض ، ط٢، ٢٠٠١م-١٤٢٢هـ .

الأصل الطبيعي المادي لنشوء العالم ، وقد أثار هذا المقال ضجة في أوساط معلمـــي وطـــلاب المدارس التبشيرية المنتشرة في الشام في ذلك الوقت ، حيث اعتبروه خروجاً علـــى الكتـــاب المقدس ، واتهمت تلك الأفكار عام ١٨٧١م بالكفر .[١]

هذا ولم تسلم موسوعة البستاني (دائرة المعارف) من هذه اللوثات الفكرية المــضللة، بل شغلت حيزاً كبيراً من موادها، وسنورد أبرزها عرضاً ونقداً من خلال هذا الفصل .

[١] - انظر : حركة التنوير العربية في القرن التاسع عشر، حلقة حلب دراسة ومختارات : جمال باروت ص٤٦ و ٤٧، منشورات وزارة الثقافة – سوريا – دمشق ١٩٩٤م ، مكتبة الأسد .

جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان الأخلاقي

١- استغلاله لدعوة فلسفة الجمال :

أهتم الفلاسفة الغربيون بالعديد من القضايا التي تتعلق بالجانب الأخلاقي وكان من أبرزها ما يسمى بـ (فلسفة الجمال) أو الجمالية، وإذا ما أردنا الحديث عن مصطلح الجمالية أو علم الجمال ، " فقد عرفه البعض بأنه ترجمة لكلمة (الأستطيقا) وهي كلمة يونانية (aesthesis) ومعناها (المدرك الحسي) ، فعلم الجمال في حقيقته علم فلسفي جذوره غربية ، حيث يعد الفيلسوف جوتليب[١] واضع بذوره الأولى وذلك خلال القرن الثامن عشر الميلادي " [٢]. ويتركز هذا العلم على شكلي المعرفة " الأول الإدراك الحسي والثاني العقل التصوري ..... ، لتكون المحصلة أن الجمال هو امتزاج عضوي بين التصورات والمدركات " [٣]

فهي إذن نظرية تقوم على الأسس التالية:

الأساس الأول: تقديس العقل بحيث لا يمكن أن يكون اعتبار الشيء جميلاً من عدمه إلا بواسطته.[٤]

الأساس الثاني: " إقصاء الأديان لكونها جوفاء من مضامين فكرة الجمال ".[٥]

الأساس الثالث : "لا يؤمن فلاسفة الجمال بما نسميه بجمال الروح باعتباره غير ظاهر وبالتالي غير واقعي ولا حسي ". [٦]

وقد لخص البستاني حديثه عن معنى الجمال وبين بعض ملامحه الفلسفية فيما يلي:

- قال في (مادة : جمال) : " الجمال أمر قد شغل الفلاسفة القدماء والمتأخرين مدة طويلة وأوقع بينهم جدلاً طويلاً لمعرفة حقيقته وكنه أسراره ، ولذلك اختلفت آراؤهم في

---

[١] - الفيلسوف : يوحنا جوتليب فخته فيلسوف ألماني (١٧٦٢م- ١٨١٤م) تخرج من جامعة برلين وتأثر بفكر الفيلسوف كانط صاحب كتاب نقط العقل العملي وكان ينادي بما يسمى بالطريقة المثالية التي تستنبط الشيء من الفكرة، كما كان له أراء إلحادية تتمثل في كونه يؤمن بوحدة الوجود فالإله الحقيقي بالنسبة له هو الله الإنسان . من أشهر كتبه المبادئ الأساسية لنظرية المعرفة. انظر: قاموس الفلاسفة ص ٨٠.

[٢] - انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : نقلها من الإنكليزية /فؤاد كامل و جلال العشري وعبد الرشيد الصادق، ص٢٨٠، دار القلم، بيروت، لبنان.

[٣] - انظر : معنى الجمال نظرية في الأستطيقا : ولترت ستيس ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، ص ١٢٤ ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م .

[٤] - انظر : المدخل إلى علم الجمال : هيغل ، ترجمة جورج طربيش ص ١٠٩ ، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت .

[٥] - المدخل إلى علم الجمال ، ص ٢٨٢ .

[٦] - انظر المدخل إلى علم الجمال : هيغل ص ٩٢ .

تعريفه ..... وقالوا إن القبيح في الأشياء إنما هو بالاعتبار لا بنفس ذلك الشيء فلا يوجد في العالم قبيح إلا بالاعتبار فارتفع حكم القبيح المطلق من الوجود فلم يبق إلا الحسن المطلق إذ قبح المعاصي إنما ظهر باعتبار النهي وقبح الرائحة المنتنة إنما هو باعتبار من لا يلايمها طبعه .. ومن لا يلايمها طبعه من المحاسن فكل ما خلق ليس قبيحاً ببعض الاعتبارات . هذا والذي عليه جمهور الفلاسفة أنه ليس حسن ولا قبيح في المخلوقات حقيقة إلا ما يلايمه الجمال الإلهي وما يخالفه .. فالحسن أو الجميل عند زيد يكون قبيحاً عند عمرو وبالعكس كما أن قطع اليد شرٌ لكن إذا كانت سلامة بقية البدن فهي خير " [١].

إننا أمام هذا النص الذي تحدث فيه عن معنى الجمال فمنه ما يقبل ومنه ماهو مردود عليه نوجه تساؤلنا للبستاني فنقول :

أين نظرة الأديان للجمال ؟ أهي تعاديه أم تحث عليه ؟ أم تهمشه ؟

لماذا لم يتحدث عن جمال الروح أو الجمال المعنوي والخلقي الذي هو لب الجمال الحقيقي ؟

هل الزنا والفجور والعهر والسفور في أصله جميلاً لولا أنه منهي عنه كما يدعى البستاني ؟

لماذا لا يعد القيم والمبادئ والمثل العليا والتعامل الحسن من أولويات ما يتجمل به المرء ؟

تساؤلات لم أجد لها جواباً في كلام البستاني أخلص بعدها إلى ذكر نقائص حديثه عن معنى الجمال فأقول:

أولاً : لم يف البستاني هنا بشرط الحيادية الذي وعد الالتزام به في مقدمة موسوعته حيث قال : " وقد جعلنا هذا التأليف خلو الغرض من كل وجه والابتعاد عن التحزبات بحيث يكون كتاباً عمومياً لكل الملل والمذاهب يستفيد منه من لا كتاب له كما يستفيد منه صاحب الكتاب "[٢] ، وقد لاحظنا هنا اقتصاره على مفهوم الجمال عند الفلاسفة وهذا ما يؤكد أسس النظرية التي تقوم على أساس الفصل بين الدين والجمال .

ثانياً : دعا البستاني إلى ما يسمى بالفلسفة الجمالية من خلال المادة السابقة حيث يدور حديثه على محاور :

---

[١] - انظر : دائرة المعارف العربية (٥١٢/٦) .

[٢] - دائرة المعارف العربية (٤/١) .

أولها : إقصاء نظرة الأديان عموماً والإسلام خصوصاً حول معنى الجمال ومدلولاته، ولقد أشارت نصوص الشريعة إلى معناه ودعت إليه ظاهراً وباطناً، ففي الجانب العقدي مثلاً ربط القرآن بين الجمال والخلق كدلالة على وجوده سبحانه يقول الله تعالى (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ)[1] وفيما يتعلق بالجانب النفسي والروحي رغب الإسلام في التجمل والظهور بمظهر حسن إمتاعاً للنفس وتكريماً لها ففي الحديث أن رجلاً " أتى النبي ﷺ وهو أشعث سيء الهيئة فقال رسول الله ﷺ أمالك مال ، قال من كل المال آتاني الله عز وجل ، قال : فإن الله عز وجل إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أحب أن ترى عليه "[2]

بل ذهب الدين الحنيف إلى ما هو أبعد من هذا فقد جعل الله تعالى التجمل بين الزوجين سبباً لديمومة الحياة الزوجية السعيدة ، ولقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بهذا كما جاء في حدث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :" إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة[3] ".[4]

ومن الجماليات في الإسلام كذلك أن يتبع من القول أحسنه يقول تعالى :(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)[5]، ومن الهجر أجمله يقول سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام : (وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً).[6]

هذه بعض الجماليات في ديننا الحنيف التي لم تتسع لها دائرة البستاني.

ثانيها : من الخطأ القول بأن المقياس الحقيقي للجمال هو الحس وحده، كما زعم الفلاسفة ففي عالم الجمال ما يعجز الفكر الفلسفي عن إدراك كنهه ، وليس العقل والحواس وحدهما هما الحكم العدل في كون الشيء جميلاً من عدمه ، هذا ما يعنونه بالمدرك الحسي كما في أصول النظرية . ففي الكون مما غاب عن حِسنا ما لا ندركه بعقولنا ، يقول تبارك وتعالى :

---

[1] - سورة ق آية ٦.

[2] - مسند أحمد بن حنبل . حديث مالك بن نضلة أبي الأحوص رضي الله عنه. ، (٣ /٤٧٣) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

[3] - تمتشط الشعثة : الشعثة : المرأة البعيدة العهد بالغسل والتسريح ، والامتشاط، تسريح الشعر : يعني : حتى تصلح من شأنها ، بحيث إذا قدم عليها بعلها ، وجدها متجملة ، حسنة الحال . وتستحد المغيبة : المغيبة : المرأة التي غاب عنها زوجها ، والاستحداد : أخذ الشعر بالموسي وغيرها . جامع الأصول (١/ ٥١٩) .

[4] - صحيح البخاري كتاب النكاح. باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم. (٥ /٢٠٠٨).

[5] - سورة الزمر آية ١٨ .

[6] - سورة المزمل آية ١٠ .

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1] ، أي " ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه ، فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجديد " [2]

ثالثها : في مسألة الحسن والقبح يؤكد البستاني ما ذكره الفلاسفة من أن الأصل في الأشياء المخلوقة خلوها من القبح بل تتساوى الموجودات كلها في ملاحتها وجمالها أصالة . "ويلزم من هذا مساواة الكفر بالإيمان ومساواة الخير بالشر ، وهذا من قبيل الخوض في القدر بالباطل وفيه منافاة لحكمة الله من خلق الأشياء حسنها وقبيحها ". [3]

- وقال في (مادة : رقص) متحدثاً عن هيئته ومظاهر الحسن في حركاته حين تؤديه المرأة مع الرجل في المجتمعات الغربية : هو " أن يأخذ الرجل بيد المرأة الواحدة ويلف زنده على خصرها وهي تفعل كذلك وينتقلان انتقالاً لطيف الحركة أدبياً لا تخل باللياقة - أي هذه الطريقة في الرقص - وقد صار فناً قائماً بذاته يتعلمونه تعلماً "[4]

في معرض حديث البستاني عن أدبيات هذه الفلسفة يبدوا مدى إعجابه بالرقص المختلط بين الجنسين حيث وصفه باللياقة وهي دعوة مبطنة إلى سفور المرأة والترغيب في إظهار زينتها ومفاتنها للناظرين لأنه لا سبيل للإقرار بحسنها وجمال خلقها إن هي عزفت عن مخالطة الرجال واحتجبت عن الأنظار. وهذا بالضبط ما دعا إليه رفاعة الطهطاوي[5] في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)[6] حيث يزعم أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد فالرقص " على الطريقة الأوربية ليس من الفسق في شيء بل هو أناقة ولياقة "[7]

---

[1] - سورة النحل آية ٨.

[2] - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبي السعود محمد العمادي (٩٨/٥) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

[3] - انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦٧/١٤) ، فقد تحدث في هذا الموضع عن مسألة الحسن والقبح في أصل الأشياء .

[4] - دائرة المعارف العربية (٦٥٨/٨) .

[5] - هو رفاعة رافع بن بدوي بن على الطهطاوي (١٢١٦هـ/١٢٩٠هـ) ولد في طهطا وقصد القاهرة سنة ١٢٢٣هـ فتعلم في الأزهر وأرسلته الحكومة المصرية إماماً للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوربة لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية وتثقف الجغرافية والتاريخ ولما عاد إلى مصر أنشأ جريدة الوقائع المصرية وألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة، من أشهر كتبه (تعريب القانون المدني الفرنساوي) و (تلخيص الإبريز) . انظر: الأعلام للزركلي (٢٩/٣) .

[6] -ألف رفاعة هذا الكتاب المشئوم أثناء إقامته في فرنسا بعد أن عرضه على أستاذه (جومار) . انظر: الإسلام والحضارة الغربية ، محمد محمد حسين ص ١٩ .

[7] - انظر : تلخيص الإبريز في تلخيص باريز رافع الطهطاوي ، ص ٢١٣، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ مصر،١٣٩٣م

وتأمل كيف أن البستاني مجد هذا الشخص وامتدحه في دائرته في (مـــادة : رفاعـــة) فقال : رفاعة بن رافع " أحد العلماء والأعلام المشتغلين بالعلوم العـــصرية، ارتقـــى رفاعـــة بهمته العلمية وآثاره الأدبية إلى أعلى منزلة من الشرف والأدب ، وكان مـــن جملـــة الـــذين انتدبهم الخديوي إلى باريس لتعلم الفنون والآداب العصرية ، فحصل في هذه السفرة تحـــصيلاً عظيماً..... "[1] . فأي فائدة تحصل عليها طهطاوي في تلك الرحلة ؟! ، أليس ما دعا إليه فـــي كتابه ذلك انسلاخ عن تعاليم الإسلام وتنكر لقيمه ومبادئه .

يتضح لنا مما سبق عظيم شطحات هذه الفلسفة ومكامن الزلل في مضامينها ولقد تغلل خطرها في أوساط شعوبنا المسلمة على كل الأصعدة الثقافية والاجتماعية و حتى الاقتصادية.

نتيجة :

أولاً : تجاهل البستاني في هذه المسالة نظرة الأديان إلى معنى الجمال .

ثانياً : ليس في فلسفة الجمال التي يؤمن بها البستاني مايسمى بـــ (جمال الـــروح) أو جمال الباطن لذا فهي فكرة منحرفة تدعو لمجافاة القيم والمبادئ التـــي نـــؤمن بهـــا ونعتبرها جزء من تعاليم ديننا إذ من جماليته حب الخير للآخرين والقناعـــة وصـــفاء القلوب من الغل والحسد ونحوها من أخلاقيات الإسلام .

ثالثاً: إن الجمال بالمعنى الذي ذكره البستاني يدعوا إلى الانحلال الخلقي ويمهد لنـــشر الرذيلة في المجتمع ويستحث المرأة للسفور لأن الجمال الحقيقي عند منظريها هو فيما يراه الناس ويدركونه بحواسهم وتستمتع به أنظارهم ومن هنا انتشرت المسارح ودور الرقص وعرض الأزياء ومسابقة ملكات الجمال في بلاد المسلمين وغيرها .

---

[1] - دائرة المعارف العربية : (مادة : رفاعة) (٦٥١/٨) .

٢ - دعوته للإباحية والتحلل :

تعد المدرسة الفرويدية[١] للتحليل النفسي من أبرز النظريات التي دعت إلى الإباحية والتحلل إذ هي نظرية أساسها تقوم على أن " كل الانفعالات النفسية والأمراض العصبية وسر النجاح في الحياة أو سقوطه مرده الجنس " .[٢]

ولعل أهم أسس هذه النظرية هو تطبيق مبدأي (اللذة والواقــع)، " فالإنــسان يتملكــه رغبة ملحة في الحصول على اللذة وتجنب الألم دون اعتبار لمقتضيات الواقــع ، أمــا مبــدأ الواقع فيشكل مانعاً دون حصول الإنسان على تلك اللذة وإشباع الجنس لديه "[٣]. ويقصد فرويد بالواقع إي مجموعة القيم والمبادئ التي تحيط بالإنسان حيث يعتريها عقبة تمنع من حــصول اللذة مما يكون نتيجته حدوث الأمراض والعقد النفسية .

ومما تركز عليه هذه النظرية فيما يتعلق بمسائل اللذة والجنس:

أولاً : ضرورة إشباع الرغبة الجنسية وتجاوز حدود الأعراف والــدين المقيــدة لهــا لكون ذلك يولد ما يسمى بــ(الكبت الجنسي) الــذي يعــرض صــاحبه للقلــق والاضــطرابات النفسية[٤].

ثانياً : " يحرم فرويد العذرة[٥] ويرى ذلك ضربا من التفكير البدائي الذي فــي حقيقتــه كبت للحريات الجنسية. "[٦].

إن ما أشرنا إليه من بعض عقائد هذه النظرية ومبادئها قد دعا إليه البــستاني فــي دائرتــه بطرائق متنوعة وهي:

---

[١] - نسبة إلى سيجموند فرويد من مواليد النمسا سنة ١٨٥٦م ومات بلندن سنة ١٩٣٩م نشأ في أسرة يهودية وقد أثر هذا في ثقافته ، كان لفرويد إتجاهته المشهورة في تفسير الاضطرابات النفسية بالجنس . وقد ذهب إلى أن الأخلاق الدينية المسيحية نفسها فيها نفاق ، وتتنكب الموضوعية . لذا كان له طريقة خاصة في العلاج النفسي تعتمد على مايسميه بــ(نظرية التحليل النفسي) . انظر : موسوعة مشاهير العالم (٢٧٢/٢) .

[٢] - الكبت – تحليل نفسي: سيجموند فرويد، وليم شتيكل، ترجمة على السيد حضارة ص٦، المكتبة الشعبية ٣٩ شارع عبدالعزيز - القاهرة .

[٣] - انظر الموجز في التحليل النفسي: سيجموند فرويد ترجمة سامي محمد على– مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠م.

[٤] - انظر : الكبت – تحليل نفسي ص ٣٤.

[٥] - من العذراء (والعذراء : البكر) ، يقال : جارية عذراء : بكر لم يمسها رجل . تاج العروس (١٢ /٥٥١) .

[٦] - انظر الحياة الجنسية : سيجموند فرويد ترجمة جورج طرابيش ، دار الطليعة للطباعة – بيروت – لبنان – ط١- ١٩٨٢م .

أولاً : يدعو البستاني لممارسة الحريات التي تفضي إلى نشر الانحلال في المجتمع من خلال حديثه عما تشمله من معان كما في (مادة : حرية) حيث قال : " وأما الحرية الخارجية فهي على أنواع منها الحرية الطبيعية وهي عبارة عن كون الإنسان قادراً طبعاً على عمل ما يراه موافقاً مع قطع النظر عن تعلقه بالهيئة الاجتماعية ..... ومنها الحرية الجسدية وهي حالة يكون للإنسان فيها قدرة على الذهاب والإياب واستعمال أعضائه بلا مانع. [1]

تحدث البستاني في هذه المادة عن مفهوم الحرية وهو مفهوم له أبعاده لديه ، فإن من أبجديات أعماله العلمية السعي حثيثاَ نحو ترويض المجتمعات المسلمة لتستنكف عن تعاليم الشريعة المحمدية مروجاً بذلك للدعايات المضللة باسم التطور ومواكبة الحياة الاجتماعية العصرية ، و الحق أن ما بذله المعلم بطرس ورفاقه من دعاة التحرير ليس بالجهد اليسير، إذ كان يبدو من الصعوبة بمكان أن يسود مفهوم الاختلاط بين الجنسين والعيش بنمط غربي داخل مجتمع مسلمٍ ظل يعيش قروناً عدة متمسكاً بدينه وقيمه النبيلة ، فالمجتمع اللبناني تحديداً وإلى أواخر القرن التاسع عشر لم يكن " عندهم محلات لساقيات البيرا ، وتقل عندهم ..أماكن المومسات والملاهي التي تطرح بالإنسان إلى مهاوي الفقر ، وتصرفه عن لذة الاجتماع بأهله وخلانه ... ونساء بيروت متأدبات محتشمات، والمسلمات منهن يحتجبن عن مقابلة الضيوف، والمسيحيات يقابلن الزائرين باللطف والأدب"[2]

لقد ذابت كثيرٌ من تلك القيم والمبادئ وغمرها طوفان الحرية الزائف وسط تهافت المتباكين على مجتمعنا الذي ظل كما يدّعون يعاني من حالة الكبت المفروض عليه نتيجة القيود التي فرضها عليه الدين فآلت الأمور إلى أن ارتبطت " الأحزاب النسائية في الشرق على اختلاف أسمائها بعجلة الاستعمار منذ أول يوم من نشأته وقام بتزعم هذه الأحزاب نسوة طفن بأوربية وشددن الرحال إلى مؤتمراتها[3] ومؤامراتها ثم عدن نائبات عن أسيادهن في مهمة تدمير المرأة المسلمة وبذلن في الوقت نفسه كل فروض الطاعة والولاء الصريح

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٧/ ٣) .

[2] - القول الحق في بيروت ودمشق: عبد الرحمن بك سامي، ص (١٣و ١٤)، دار العربي بيروت ، لبنان /١٤٠١هـ-١٩٨١م.

[3] - كهدى شعراوي وأمينة سعيد، وسواهن .

لأعداء الإسلام ، وتبرأن في الوقت نفسه من إظهار أي صورة من صور الــولاء الحقيقــي لله ورسوله وللمؤمنين ، وجهر بعضهن بذلك بالطعن في الدين ، والتبري من شريعة المرسلين"[1]

ويواصل دعاة الحرية نعيقهم، ففي موكب الرذيلـــة " صــحفيات ومــذيعات ومعلمــات وطبيبات فنانات وسياسيات ، قد تكونت تصوراتهن بألوان شتى وتفرقت مللهن أيما تفرقــة، وبرغم انتساب بعضهن إلى الإسلام فقد جمعهن هدف واحد وهو طعن الإسلام فــي الــصميم، وهؤلاء وضعن أنفسهن بهذا المسلك الوخيم في صنف المواجهة مع الإســلام، يرمينــه عــن قوس واحد"[2].

ومقارنة بين صورتي مجتمعاتنا العربية خلال قرن من الزمان أعتقد أن شكل الحريــة التي رسمها البستاني في دائرته قد بدا يأخذ في الوضوح ، ويبقى ضمير الأمة عائقاً لكثير من مخططات أعداء الإسلام .

ثانياً : من صور الترويج للإباحية في هذه الدائرة التهوين من شأن جريمة الزنا، حيث يــذكر البستاني بعض الحيل التي تمنع إقامة حد الزنا كما في(مادة : زناء) حيث قــال :" وإن ادعــى الزاني أنها زوجته سقط الحد عنه وإن كانت زوجة للغير بلا بينة ولو تزوجها بعد زناه ســقط الحد ... "[3]

يلاحظ هنا إيراد البستاني لهذا الرأي المرجوح الذي يعــارض الأدلــة وهــو ســلوك لايعدو عن كونه سرداً لبعض التحايلات على الشريعة لتمرير جريمة الزنا المفضية إلى شيوع الانحلال في المجتمع تحت شعار العمل في دائرة السائغ والمباح . وقد ذم علماء الأمــة ذلــك وحذروا من سلوك مثل هذه المسالك لكون جميع " هذه الحيل التي دونها أهل الرأي هي ضــد لما شرعه الله وعناد له ومراوغة لأحكامه ومجادلة باطلة لما جاء في كتابه وسنة رسوله "[4]،

---

[1] - معركة السفور والحجاب: محمد أحمد إسماعيل ص٥٧، دار الوطن للنشر – الرياض – ط ١ – ١٤١١هـ.

[2] - المصدر السابق ص ٥٨.

[3] - دائرة المعار ف العربية (٩/ ٢٥٠) .

[4] - أدب الطلب ومنتهى الأدب: محمد بن علي الشوكاني، (١٩٤/١) تحقيق عبد الله يحيى السريحي، دار الحزم – لبنان – بيروت – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ط ١.

كما أن جمهور العلماء شنعوا على ذلك ، ولذا نصوا على أن " من تتبع الرخص فأخذ بها فسق "[1].

ثالثاً : الدعوة إلى الاختلاط وتحرير المرأة حيث تطرق البستاني إلى مسألة حجب النساء في البيوت وعد ذلك مجرد عادة متوارثة لم يحث عليها الدين.

يقول البستاني في (مادة: حريم):" هذا وإن استعمال الحريم بمعنى منازل النساء ويسمى بالإفرنجية (gynecee) جارٍ عند المسلمين عموماً وبعض اليونان والأرمن واليهود المستوطنين في المملكة العثمانية ، غير أن نساء غير المسلمين لا يحجبن بقدر حجب نساء المسلمين ، وهذا الحجب مبني على عادات شرقية متوغلة في القدم وهو جارٍ في أكثر البلدان الشرقية ..." .[2]

في هذه المادة زعم البستاني أن حجب النساء عند الشرقيين أي العرب والمسلمين إنما هو عادة جارية من القدم ، غاضاً الطرف عن كونه مما أوصى به الشرع الحنيف صيانة للمرأة وحفاظاً لعفتها ، وبذلك جاءت النصوص الشرعية الدالة على الترغيب في مكث النساء في بيوتهن كما في قوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [3] . جاء في تفسير هذه الآية أن الله تعالى أمر " بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن ، وفي قوله (وقرن) أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة من الحوائج الشرعية ..."[4] ، والمقصود بـ (تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ) في هذه الآية كما يروى عن مجاهد رحمه الله قوله : " كانت المرأة تتمشى بين أيدي القوم فذلك تبرج الجاهلية "[5] .

وخلاصة القول فإن الشريعة " طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة "[6] ، ولعل في هذا إبطال لما ذهب إليه البستاني من كون إبقاء النساء في البيوت مجرد عادة لا عبادة .

---

[1] - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن، (١٢/٥٠)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

[2] - دائرة المعار ف العربية (٧/٢٠) .

[3] - سورة الأحزاب آية ٣٣ .

[4] - تفسير ابن كثير (٣/٤٨٣) .

[5] - أحكام القرآن (٥/٢٣٠)

[6] - الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٧٩) .

رابعاً : يسرد البستاني الكثير من القصص الغرامية وينقل روايات الماضين المدونة في بعض كتب أدباء العصور المتقدمة ككتاب الأغاني للأصبهاني وغيره، رغم أنه قد التزم شرط التقيد بالآداب العامة ومراعاة الأخلاق فيما يدونه في موسوعته حيث قال :" تجنبنا كل ما هو من قبيل الخلاعة وما يمجه السمع أو يخل بالآداب حتى التزمنا في بعض المواقع أن نهذّب ما كان من هذا القبيل أو نحذفه مع الإشارة إليه " [١]، إلا أنه أخل بهذا الشرط في كثير من المواطن، ويتضح هذا من خلال ما سيأتي من مواد:

قال في (مادة : ابن قنبر) [٢]: " لما لقي ابن قنبر هذا بعض الجواري قلن له : أنت الذي تقول (ويلي على من أطار النوم وامتنعا) . فقلت نعم ، فقلن أمع هذا الحسن الوجه السمح تقول هذا ، ثم جعلن يجذبنه ويلهون به حتى أخرجوه من ثيابه فخرج عارياً إلى منزله فاقداً لباسه الحسن ". [٣]

- وقال في (مادة : بيهس) [٤] كان بهيس يهوى امرأة من بني قومه " وكان يتحدث إليها ويجلس في بيتها ويكتم وجده بها ولا يظهره لأحد ... وكان مع ذلك من أحسن الشبان وجهاً وإشارة وحديثاً وشعراً فكانت نساء الحي يتعرفن له ويجلسن إليه ويتحدثن معه..." [٥]

- وقال في (مادة: جميلة) [٦] يروي قصة حجها فيقول : إن جميلة هذه حين قضت حجها وعادت إلى المدينة "خرج لملاقاتها أشرافها وسادتها وسائر أهلها رجالاً ونساءً ، وكان جمع من أهل مكة قد صحبوها أيضاً ثم دخلت منزلها فأقبل عليها

---

[١] - دائرة المعارف العربية (٤/١) .

[٢] - ابن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجاعاً كثير السجع وكان هجاءً خبيث اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف كان الغلب في أكثرها على الرماح. معجم الأدباء (٢٣٧/٣) .

[٣] - انظر: دائرة المعارف العربية (٦٥٧/١) .

[٤] - هو بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب بن عدي بن سميس بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية. الأغاني (٥٩/١٢) وانظر: دائرة المعارف العربية (٥/ ٧٧٨).

[٥] - دائرة المعارف العربية (٧٧٩/٥) .

[٦] - هي جميلة مولاة بني سليم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخزرج وكانت تنزل فيهم فغلب عليها ولاء زوجها فقيل إنها مولاة للأنصار . الأغاني (٨ /١٩٥) .وانظر : (دائرة المعارف العربية (٥٣٧/٦) .

الناس مسلّمين من الكبير إلى الصغير، وبعد عشرة أيام جلست للغناء فغصت المنـــازل بالأشراف من الرجال والنساء، فكانت كلما غنّت شيئاً يضجون ويقولون ما سمعنا قــط مثل هذا .. " [1] والقصة من أصلها مصطنعة[2] .

إجمالاً فقد جاء الإسلام حاملاً معه الكثير من الآداب التي لو أخذ بها النساء لعلى شـــرفهن وعظمت مكانتهن عند الرجال ، وفيما مضى من مواد مـــا يـــدعو إلـــى مخالفـــة تلـــك الآداب والضرب على وتر الاختلاط وما يتبع ذلك من خضعان القول وحصول المنكرات بحيث يتـــوهم القارئ أن مثل هذه الأمور كانت سائغة حتى في عصور الإسلام الأولى بل وفي أطهر بقعتـــين على وجه الأرض مكة والمدينة وهو ادعاء ثبت كذبه كما تبين بل حقيقة الأمر أن هـــذا ممـــا يخالف صريح الأدلة ، فقد حرص النبي ﷺ على إبقاء المرأة بعيدة عن الأغراب مـــن الرجـــال حتى في ميدان العلم وتعلم الخير ، فقد قالت النساء للنبي ﷺ :" غلبنا عليك الرجال فاجعل لنـــا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن " [3] ، ولسوء ما يجره لين القول في حديث المرأة مع الرجال جاء نهي الله تعالى (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً)[4] ، جاء في تفسير الطبري أن المرض في الآية السابقة (الضعف) ، " فهـــو لـــضعف إيمانه في قلبه إما شاك في الإسلام منافق فهو لذلك من أمـــره يـــستخف بحـــدود الله ، وإمـــا متهاون بإتيان الفواحش "[5].

- وقال في (مادة : ابن عباد)[6] طلب منه الإمام مالك أن يغنيه فقال ابن عبـــاد :" أغنيـــك هكذا وأنت مالك .. فقال : بالله عليك إلا غنيتني صوتاً من صنعتك ، فانـــدفعت أغنـــي على احتشام فلما فرغت نظر إليّ وقال:والله قد أحسنت ولكن حلقك كأنه حلق زانية "[7]. والظن أن مثل هذه المواقف لا يتصور أن تصدر من عالم أمة جليل القدر كالإمام مالك

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٥٣٧/٦) .

[2] -أنظر : الأغاني (٨ / ٢١٨)

[3] - صحيح البخاري. كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم (٥٠/١) .

[4] - سورة الأحزاب آية ٣٢.

[5] - تفسير الطبري (٣/٢٢) .

[6] - هو محمد بن عباد مولى بني مخزوم وقيل إنه مولى بني جمح ويكنى أبا جعفر من كبراء المغنين وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء . الأغاني (١٨١/٦)، وانظر: دائرة المعارف العربية (٥٧٧/١) .

[7] - دائرة المعارف العربية (٥٧٧/١) .

رحمه الله ، علاوة على أنني لم أجد لها مستنداً ، فضلاً عن أن الفحش في القول مما ينبغي أن يتنزه عنه عوام المسلمين والعلماء من باب أولى ، فعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال : " إن أثقل ما وضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء "[1] والفاحش المتكلم بالقبيح من القول . وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن الذين يستمعون الغناء فقال :" إنما يسمعه عندنا الفساق "[2] فكيف ينهى عن أمر ويقع فيه ، لذا ينبغي على المسلم الإعراض عن مثل هذه القصص التي يتنقص فيها العلماء وأهل الفضل من هذه الأمة .

- وقال في (مادة: أبو علي بن العطار)[3] يذكر عنه أنه كان طبيباً غير أنه لم يكن راشداً ، ويحكى أنه ذات ليلة كبسه جماعة وعنده امرأة مسلمة تعرف بست شرق ، فلما قبض عليه أقر جماعة من المسلمات كن يأتينه ، فخرج الأمر بسجن بعض النساء وفدى أبوعلي نفسه بستة آلاف دينار وذلك سنة ٦١٧هـ " .[4]

يتابع البستاني مسلسله الإغوائي للمرأة المسلمة مستنداً في ذلك إلى قصص الماجنين ومعاشرة النساء لهم مركزاً على لفظة (امرأة مسلمة) و (جماعة من المسلمات) ، وقد سبق إلى ذلك السبيل منافقون على عهد رسول ﷺ[5] ، يريدون بذلك إفشاء الفاحشة في المسلمين فرد الله تعالى عليهم بقوله (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [6] ، بمعنى " إن الذين يريدون فدل على أن المحبة هي الإرادة " [7] ، فدلت الآية الكريمة على

---

[1] - صحيح ابن حبان . كتاب الحظر والإباحة ، باب الاستماع المكروه وسوء الظن والغضب والفحش لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق شعيب (٥٠٦/١٢) ، مؤسسة الرسالة – بيروت - ط ٢ – ١٤١٤هـ -١٩٩٣م. الأرناؤوط .(إسناده صحيح على شرط الشيخين) .

[2] -شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٧٢) .

[3] - أبو علي بن أبي الخير مسيحي بن العطار النصراني ولد ببغداد وبها نشأ وقرأ شيئاً من الطب وتقدم في زمن أبيه بسمعته وجاهه إلى كبار الأمراء إذا مرضوا في جهة من الجهات وكان مع ذلك متبدداً غير منضبط وقد اشتهربفساده وخبث طويته بعد وفاة أبيه سنة ثمان وستمائة . انظر : أخبار العلماء بأخيار الحكماء (١٧٥/١) .

[4] - انظر : دائرة المعارف العربية (٢٦٩/٢) .

[5] - حيث أكثر عبد الله بن سلول رأس المنافقين وغيره الحديث عن حادثة الإفك التي ابتليت بها عائشة رضي الله عنها وبرأها الله تعالى من فوق سبع سماوات . انظر: تفسير الطبري (١٠٠/١٨) .

[6] - سورة النور آية ١٩.

[7] - أحكام القرآن (٣٩٧/١) .

"وجوب حسن الاعتقاد في المؤمنين ومحبة الخير لهم (حيث) أخبر فيها بوعيد من أحب إظهار الفاحشة والقذف والقول القبيح للمؤمنين وجعل ذلك من الكبائر التي يستحق عليه العقاب ..."[١]

- وقال في (مادة : ابن سهل)[٢] قال عنه أكثر شعره في صبي يهودي كان يهواه ثم تركه وهوى شاباً اسمه محمد فقيل له في ذلك فقال :

تركت هوى موسى لحب محمد ولولا هوى الرحمن ما كنت أهتدي

وما عن قلى منى تركت وإنما شـــريعة موسى عطلــت بمحمد " [٣]

وقال في (مادة: أبو الحسن البلنسي)[٤] كان أبو الحسن هذا " كلفاً بالفتيان وكـــان قــد فات السبعين من عمره وبقيت فيه صبوة الشباب، وله شعر لطيف، وكان قد علق[٥] بأشــبيلية فتى يعرف بابن المكر فتغنى به كثيراً وبقي مشغوفاً به إلى أن ترعرع الفتـــى ... وكـــان فـــي صدود عنه ..... وقال فيه :

يلومون في ضبيٍ تزايد حــسنه بخطين خطــا لوعتي وغراميا

وقد كنت أهوى خده وهو عاطل فكيف وقد أضحى لعيني حالياً " [٦].

رغم أن البستاني ذم اللوطية في دائرته ونعتها بالخبيثة [٧] إلا أنه لا يرى بأســاً فـــي إيـــراد القصص التي فيها تعشق للمردان، لأنه حسبما يرى أن ذلك مجرد سرد لسير الماضين وبعضاً من قصص مغامراتهم، ولقد حوت المادتين السابقتين من الدعوة للمجون والتهوين من شـــأن

---

[١] - المصدر السابق (١٦٣/٥) .

[٢] - إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي المتوفي ٦٤٩ ه ١٢٥١م ويعد شعره من أعلى طبقة طبع ديوانه على الحجر في القاهرة سنة ١٢٨٩ هــ . اكتفاء القنوع (١ /٢٧٨) .

[٣] - دائرة المعارف العربية (٥٣٠/١) .

[٤] - لم أجد في كتب التراجم ما أورده البستاني في ترجمته لأبي الحسن النابلسي. بل يبدوا أن القصة من أصلها ملفقة تلفيقاً بهذا الإمام الجليل. (فهو بن هذيل الشيخ الإمام المعمر مقرئ العصر أبو الحسن علي بن محمد ابن علي بن هذيل البلنسي .ولد سنة إحدى وسبعين وأربع مئة وأكثر سمع صحيح البخاري وصحيح مسلم، كان منقطع القرين في الفضل والزهد والورع مع العدالة والتقلل من الدنيا، صواماً قواما كثير الصدقة طويل الاحتمال على ملازمة الطلبة له ليلا ونهارا، انتهت إليه رئاسة الإقراء لعلوه وإمامته في التجويد والإتقان وحدث عن جلة لا يحصون، توفي في رجب سنة أربع وستين وخمس مئة . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٠٦/٢٠) .

[٥] - أي أفتتن بهذا الفتى .

[٦] - دائرة المعارف العربية (٩٠/٢) .

[٧] - دائرة المعارف العربية (٢٥٠/٩) .

مسألة عشق الصبيان ما هو ظاهر لكل قارئ، ولا ريب أن هذا من قبح الفعال وعظيم الإثم عند الله تعالى ، حيث قال بعض السلف مشنعاً على ذلك : " إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان ، وهذه المحبة التي جلبت على قوم لوط ما جلبت ولا أتوا إلا من هذا العشق

قال تعالى : (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)[1] " [2]

وقال في (مادة : ابن أبي الزوائد)[3] : " كان يؤم الناس في مسجد الرسول(ﷺ) ، قيل كان يتعشّق جارية سوداء .. كان يختلف إليها وهي في النخل ..... قيل وكان عنده امرأة أنصارية فطال لبثها عنده حتى ملها وأبغضها ..." .[4]

كثيراً ما يستقي البستاني من كتاب الأغاني[5] قصص الغرام الواردة في دائرته والكثير منها رويت بغير إسناد ولا يقطع بصحتها فضلاً عن أن العقول السليمة والقلوب النقية ، لا تقبل كثيراً من تلك القصص ، كما هو الحال فيما جاء في هذه المادة ، ففيها مما يستنكر أن يؤم مسجد رسول الله ﷺ رجل يخلو بالنساء ويمارس الزنا بهن، وقد وجدت من شعر هذا الرجل ما يدل على حسن سيرته وطيب سلوكه حيث قال يمتدح طيبة الطيبة فيقول :

" بلدة لا ترى بها العين يوماً ... شارباً للنبيذ أو نباذا

أو فتىً ماجناً يرى اللهو والبا ... طل مجداً أو صاحباً لّواذا "[6]

وقال في (مادة : إبراهيم بن سيابه)[1] عاتب الناس هذا الرجل على مجونه فقال : " ويلكم لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذل المعاصي فيرحمني أحبَّ إليَّ من أن ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي

---

[1] - سورة الحجر آية ٢٧.

[2] - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، (١٧٣/١) ، دار الكتب العلمية – بيروت .

[3] -هو سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ويقال له ابن أبي الزوائد أيضا، شاعر من مخضرمي الدولتين وكان يؤم الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .انظر: الأغاني (١٢٠/١٤). وانظر : دائرة المعارف العربية (٣٥٧/١) .

[4] - انظر: دائرة المعارف العربية (٣٥٧/١) .

[5] - انظر : الأغاني (١٢٠/١٤)

[6] - الوافي بالوفيات : صلاح بن أبيك الصدفي (٢٠١/١٥)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

فيمقتني ... وسكر يوماً فحمله الناس على طبق فسأل واحد من هذا فرفع رأسه (أي إبـــراهيم) وقال :هذا بقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ... " [2]

إن في تعاليم الإسلام ما يحصن المسلم من الوقوع فيما حرم الله ، فمن داعي مراقبـــة الله عز وجل والخوف من عقابه إلى داعي وجوب الابتعاد عن الكبائر المفـضية إلـــى النـــار وداعي الحياء من الله ومن الناس ، كلها قيم تحول دون ارتكاب المآثم والوقوع في الفـــواحش لذا سعى دعاة الضلال للقضاء على هذه المعاني السامية في قلوب المؤمنين وإن ما ذكر هنـــا لمما تنكره الضمائر اليقضة ، ذلك أن الله تعالى يقول : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ) [3] ، قال الحسن رحمه الله : " يُسَرُ أحدهُم أن لا يلقى عمله ذلك أبداً يكون مناه وأما في الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها " [4] لذا نقول ليس خليقاً بالمسلم أن يتجرأ على الله بمثل هذا العمل لأنه عالم بأليم عقابه ســبحانه وتعالى.

وفي (مادة: جميل) [5] : " ولما علمت بثينة أن جميلاً نُسب بها حلفت لا يأتيها علـــى خـــلاء إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه ، فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث إليها وإلى أخواتها .." [6]

يسوقنا الحديث بناء على المادة السابقة والمادة التالية إلى مسألة اتخاذ الأخدان أو مـــا يسمى في زماننا بالعشيقات ، وهي عادة جاهلية متوارثة أصبحت اليوم جزءً من نمـــط حيـــاة المجتمع الغربي المتحرر ، ولقد حرم الله على الجنسين أن يُتَخذَ الخدن كما في قـــول تعـــالى : (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) [7] ، وقال في حق الرجال : (الْيَوْمَ أُحِلَّ

---

[1] - إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم وكان يقال إن جده حجام أعتقه بعض الهاشميين وهو من مقاربي شعراء وقته ليست له نباهة ولا شعر شريف وإنما كان يميل بمودته ومدحه إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق فغنيا في شعره . انظر: الأغاني (١٠٨/١٢) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٢١٦/١) .

[3] - سورة آل عمران آية ٣٠.

[4] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/ ٢٣١) .

[5] - جميل بن عبد الله ابن معمر أبو عمرو العذري الشاعر البليغ صاحب بثينة، يقال مات سنة اثنتين وثمانين وقيل بل عاش حتى وفد على عمر ابن عبد العزيز . سير أعلام النبلاء (١٨١/٤). وانظر : دائرة المعارف العربية (٥٣٦/٦) .

[6] - دائرة المعارف العربية (٥٣٦/٦) .

[7] - سورة النساء آية ٢٥.

لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [١]، فالأخدان هن " اللواتي حبسن أنفسهن على الخليل والصديق للفجور سراً دون الإعلان بذلك "[٢] ، ولا ريب أنه من بواطن الفواحش التي يجدر بالمسلم أن يأنف من الوقوع في وحلها ، حيث قال ابن عباس ﷺ في شأن أخدان الجاهلية : " كان قوم منهم يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه .. فنهى الله تعالى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وزجر من الوطء إلا عن نكاح صحيح " [٣]

وقال في (مادة : بثينة)[٤] خطبها جميل من أبيها فرده وزوجها بغيره " فكان جميل يزورها وهي عنده خفية وبقي جميل يشبب بها نحو ٢٠سنة ، وكانت من أجمل النساء وأكملهن أدباً وظرفاً وأطيبهن حديثاً ، وكثيراً ما اجتمع بها جميل على خلوة ومع ذلك لم يدخل بينهما ريبة البته .. " [٥]

يؤكد البستاني في ذكر قصة بثينة وعشقها لجميل أنهما رغم خلوتهما ببعضيهما عشرون عاماً لم تدخل الريبة بينهما، ولكل عاقل أن يسأل كيف لهما ذلك وقد توفرت لهما دواعي الوقوع في الفاحشة، إن كل مسلم ذا كياسة لا يؤمن بهذه الترهات لأنها تتعارض مع صريح السنة فقد جاء فيها ما يحذر من الخلوة المحرمة حيث قال ﷺ " لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافر امرأةٌ إلا ومعها محرم "[٦] ،وعليه فالخلوة بالأجنبيات " في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ، ونعني بالمظنة ما يتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالباً بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها " [٧] ، ولهذا نقول إن ميل أحد الجنسين إلى الآخر مما جبل عليه الإنسان ولا يُتخَيلُ أن يسلما من الشبهة إن التقيا خفية ،

---

[١] - سورة المائدة آية ٥.

[٢] - جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/٥) .

[٣] - أحكام القرآن (١٢٣/٣) .

[٤] - كانت تكنى أم عبد الملك وهي من بني عذرة عشقها جميل وهو غلام صغير فلما كبر خطبها فرد عنها فقال فيها الشعر . انظر : ديوان الحماسة (٢ / ١٢٩) وانظر : دائرة المعارف العربية (١٩٥/٥) .

[٥] - دائرة المعارف العربية (٥ /١٩٥) .

[٦] - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يؤذن له (١٠٩٤/٣)

[٧] - إحياء علوم الدين : محمد محمد الغزالي أبو حامد (٣٢٤/٢) دار المعرفة بيروت .

وليست هذه القصة من اليقينيات التي نقطع بها الشكوك. لذا وجب على المسلم ألا يغتر بمثل هذه القصص التي لا نفع في سماعها أو تتبعها. وجدلاً وعلى فرض سلامتها من الشبهة ففي العموم الأغلب نقيض ذلك، وما تصريحه هذا إلا تلبيس وتدليس ومحاولة لإزالة العوائق النفسية والإيمانية وتشجيع على اقتراف المحرمات والمنكرات.

وقال في (مادة : بكارة) معرفاً هذه التسمية " هي : حالة طبيعية تكون عليها أعضاء التناسل من أنثى لم يمسها رجل وهي درة ثمينة يقتضي حفظها الشرف والفضيلة والديانة إلى وقت التزويج خوفاً من الفضيحة "[1]

بدأ تعريف البستاني للبكارة صحيحاً ثم أتبعه بما يدعيه من أن حفظ بكورية الأنثى دافعه الخوف من الفضيحة واكتفى بذلك ، وليس هذا مبرر حقيقي لامتناع الفتاة عن العبث ببكوريتها ، بل صيانتها لنفسها مع الأمن من الفضيحة مؤشر لصلاح الفتاة ودليلٌ على عفتها يقول تبارك وتعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[2]، والمراد من حفظها أي " عن سائر ما حرم عليه من الزنا واللمس والنظر "[3]

لقد جعل فرويد الشرف والفضيلة والديانة وخوف الفضيحة أو ما يسميه بالواقع " من أهم مسببات الكبت الجنسي الذي يكون نتيجته حصول العقد النفسية والقلق النفسي " .[4]

لذا يمكننا القول استنتاجا من تعريف البستاني لمصطلح (البكارة) أنه تطرق للإشارة إلى مبدأ (اللذة والواقع) في ثنايا تعريفه لها وهو مبدأ أساس في نظرية فرويد .

وكان يسعه أن يوجد تعريفا آخر خال من مثل هذه الشبهات ؟!!

نتيجة :

أولاً : الحرية التي ينادي بها البستاني تتفق ونظرية فرويد في التحليل النفسي الداعية إلى إطلاق العنان لممارسة الجنس دون حدود أو قيود ودون اعتبار لتعاليم الدين لكونه يشكل مع عادات المجتمع وأعرافه حاجزان يعملان على التوقي من الوقوع في وحل الرذيلة .

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٥٣٠/٥) .

[2] - سورة النور آية ٣١.

[3] - أحكام القرآن (١٧٢/٥) .

[4] - انظر : الكبت (تحليل نفسي) ص(٢٤و٢٥).

ثانياً: دعوته الغير مباشرة للجنسين إلى الاختلاط والخلوة بالأجانب حيث يسهل بذلك رواج الإباحية في المجتمع المسلم وذلك باستغلال قصص السابقين والإيهام بأنهم عاشوا واقع الاختلاط دون حصول ما يخاف من نتائجه.

ثالثاً: من صور الترويج للإباحية في هذه الدائرة التهوين من شأن جريمة الزنا ، حيث يذكر البستاني بعض الحيل التي تمنع إقامة حد الزنا سعياً لنشر الرذيلة والانحلال الخلقي في المجتمع .

رابعاً: عمل البستاني في المواد السابقة على غرس مفاهيم غربية وعادات جاهلية حاربها الإسلام منذ القدم وحذر من ممارستها كما هو الحال في حديثه عن اتخاذ العشاق والعشيقات واعتبار ذلك من البطوليات .

خامساً: يهون البستاني من مسألة قضاء الأنثى على بكوريتها ويسوغ لها التحايل على المعوقات الاجتماعية والدينية التي تقف أمامها وهاهو الطب الحديث يذلل لها اليوم تلك الصعوبات ويقدم لها حلولاً لتلافي العقد والآلام النفسية التي زعموا وذلك من خلال إجراء عمليات ترقيع غشاء البكارة وإنتاج الأغشية الصناعية. وكأن ذلك هم عالمي جاءت حضارة اليوم لتحل إشكالياته تضامنا مع نظرية فرويد .

المبحث الثاني : جهوده في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان الفكري :

١ - دعوته للعقلانية :

يعتبر المذهب الديكارتي أو ما يسمى بالعقلانية[١] من المذاهب الهدامة التي تغلغلت في فكر الأمة ، وكان من أحد عوامل رواج هذا الفكر المسموم تبنيه من قبل العديد من رواد الفكر العربي منذ بدايات القرن التاسع عشر وفي مقدمتهم المعلم بطرس البستاني ، أما الأب الروحي لهذه الفلسفة فهو (رينيه ديكرت) [٢]،صاحب شعار، نعم " أنا أفكر أذن فأنا موجود "[٣]. وأهم أسس هذا المذهب ما يلي:

أولاً / "يقوم المذهب العقلي بوجه عام على سلطان العقل ورد الأشياء إلى أسباب مقبولة، وتؤمن هذه النظرية بأن لا سبيل إلى المعرفة بدون العقل وما يحتويه من أفكار ومبادئ " .[٤]

ثانياً / " يعتمد ديكرت في إثباته للأشياء على ما يسمى بمنهج الشك الشهير ويدخل في ذلك ضمناً شكه في الأديان السماوية والوحي والرسل والأنبياء ... [٥]

ثالثاً / يثبت ديكارت وجود الله ولكن ليس عن طريق العالم وإنما عن طريق قاعدته الثابتة وهي " مبدأ الكوجيتو (ترجمتها بالعربية) أنا أفكر إذن أنا موجود " .[٦]

رابعاً / " العقلانية مذهب فكري يدعوا إلى الإيمان المبني على العقل لا الوحي "[٧]حيث لا يعد وحي المرسلين من مصادره المعرفية اليقينية.

وقد اتخذت دعوة البستاني لهذا المذهب الفاسد شكلين مهمين:

أولهما : حديثه عن المذهب الديكارتي العقلاني بحيث يبدو للقارئ أنه مجرد تيار فكري يحترم العقل ويدعوا إلى التفكير .

---

[١] - نسبة إلى العقل والتعقل .

[٢] - رينيه ديكارت (١٥٩٦م ــ ١٦٥٠م) فيلسوف فرنسي ولد بمقاطعة تورين كان ديكارت فيلسوفا وعالم رياضيات فهو مكتشف الهندسة التحليلية ، وهو صاحب نظرية الشك الذي يعتقد أنه السبيل الى وصول العقل إلى الحقائق ، وهو القائل : أنا أفكر إذن أنا موجود ، من أشهر كتبه (مقال عن النهج) و (وقواعد لهداية العقل) . انظر : قاموس الفلاسفة ص٦٠ .

[٣] - انظر : ديكارت والعقلانية : جنفيان روديس لويس ، ترجمة : عبده الحلو ، ص ١٠، منشورات عويدات – بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٨٨م .

[٤] - انظر : مقال عن المنهج : رينيه ديكارت ، ترجمة : محمود محمد الخضيري ، ص ١٩٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٥م .

[٥] - انظر: مقال عن المنهج ص ٢١٣.

[٦] - انظر: مقال عن المنهج ص ٢٢٨.

[٧] - انظر : مقال عن المنهج ص٦٧ .

- يقول البستاني في (مادة : ديكرت) متحدثاً عن هذه الشخصية : " الواقع أن فكره كان حـــي بالتأملات العقلية وعرف ما للعلوم الرياضية من الشأن ، وكان دائماً يجهد فكره لكي يجد مبدأ من الحقيقة طالما اختلج في صدره ..... فكشف الحقيقة وأصلح الفلسفة القديمة فجاء عصره بالفائدة العميمة والحقائق المكتومة " [1]

- يدعوا البستاني إلى تقديس العقل من خلال استطراده في الحديث عن أصول مذهب ديكـــرت حيث قال : " ولم يسلم بقاعدة من قواعد المبادئ العقلية إلا العقل نفسه ، وبذلك دعا كل إنسان إلى الرجوع إلى نفسه وعدم الاستناد في عقله إلى غيره .. وأنشأ طريق فاعلة بالنـــسبة إلـــى العقل بعد الطريق المنفعلة التي كانت مستعملة قبله أي أن الإنسان يبني على أساس فكره دور الانقياد إلى فكر غيره في الأمور الدينية الفلسفية فبالحكم الصحيح يعرف العقل منهجه " [2]

- وقال أيضاً متحدثاً عن مذهب ديكرت حول موقفه من وجود الله تعالى : " ومن مبدأ الشعور بالوجود جزم بوجود الحس الأزلي ومن معرفة الحق و العدل والقدرة فيه فحكم أنه علة وجود الكون ". [3]

ويتابع البستاني حديثه عن نظرية ديكرت حيث قـــال : وضـــع ديكـــرت " المبـــدأ الفلـــسفي وهو(افتكر بذاتك ولا تحكم على شيء بمجرد القول) وعلى ذلك مشى أتباعه ، وهـــذا المبـــدأ يتضمن أعظم وأجل قواعد الفلسفة أي أنه لا يجب أن نتخذ الشك إلا نظر استعداد للبحث " [4]

ولمعرفة مدى شغف البستاني بالفكر الديكرتي نجده يصف نظريته بقوله : " ومـــع أنـــه خطـــا خطوة الجرأة في ذلك ولم يصح بعض حدسياته ترى العجب من سعة عقلـــه وغـــزارة علمـــه .....وبعد أن اشتغل الناس في مذهب ديكرت أكثر من نصف قرن كسفت شمسه بقيام مـــذاهب جديدة .. " [5]

تعقيبا على ما ذكره البستاني عن هذا التيار الضال أقول آسفاً : لقد تشرب عدد كبيـــر من أبناء الأمة هذا المذهب الضال وأضحوا يجاهرون بدعوات باطلة مبنية على أسس عقلانية " فالمدرسة العقلية الحديثة تسعى جادة لمحاولة إخضاع تعاليم الإسلام لتساير الحياة الغربيـــة

---

[1] - انظر: دائرة المعارف العربية (٢٢٣/٨) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٢٢٥/٨) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٢٢٥/٨) .

[4] - دائرة المعارف العربية (٢٢٦/٨) .

[5] - دائرة المعارف العربية (٢٢٦/٨-٢٢٨) .

الحديثة ، وذلك يتمثل أحياناً بالتماس الأدلة والنصوص الإسلامية التي يزعمون من أن الإسلام سبق إلى كثير مما دلت عليه النظريات العلمية والفكرية والأدبية وغيرها في الغرب من المفاهيم والأفكار والآداب والعلوم التي تنافي الدين والأدب .

وباستخدام الأحكام الشرعية التي توافق النظم والتشريعات الغربية الوضعية ولو خالفت الأدلة الشرعية الثابتة.

وأحياناً بالمطالبة بإلغاء الأحكام الشرعية التي تمنع المسلم من الالتقاء مع الأفكار والثقافات وأنماط السلوك لغير المسلمين مثل عدم موادة من حاد الله ورسوله ومثل الحدود الشرعية ومكافحة الجريمة بها .

ومرة ثالثة بدعوى أن ما حصل في الغرب من تقدم ورقي مدني واجتماعي واقتصادي وأخلاقي ، هو بعينه ما دعا إليه الإسلام وأراد تحقيقه .... فالعقلانيون على وجه العموم يجعلون مثلهم الأعلى في هذه الحياة : المدنية والتطور الغربي المادي ، وأعلى أمانيهم وآمالهم : الوصول إلى مستوى الحياة الغربية "[1]

ثانيهما : ذكر مآثر العقلانيين العرب القدامى وتمجيد سيرهم كالفيلسوف العربي ابن رشد ، حيث كان لهذا الرجل فلسفته الدينية ونظريته الأخلاقية الرشدية التي اتبعها من خلال موقع العقل منهما .

قال البستاني في (مادة : ابن رشد)[2] : ينقل مديح الفلاسفة الغربيين له " كان أعظم فلاسفة القرون المتوسطة التابعين لأرسطو والناهجين سبيل حرية الأفكار وأقواله خالية من الميل والانحراف " . [3]

---

[1] - الاتجاهات العقلانية الحديثة : د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ص (٤٠٥ و ٤٠٦) دار الفضيلة – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

[2] - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد القرطبي ، حفيد العلامة ابن رشد الفقيه ولد سنة عشرين ، قبل وفاة جده أبي الوليد بشهر واحد عام ٥٢٠ هـ . ودرس الفقه حتى برع فيه، وأقبل على علم الكلام، والفلسفة، وعلوم الأوائل، حتى صار يضربُ به المثل فيها. فمن تصانيفه كتاب شرح أرجوزة ابن سينا في الطب ، كتاب الحيوان ، كتاب جوامع كتب أرسطا طاليس في الطبيعيات والإلهيات، كتاب في المنطق، كتاب تلخيص الإلهيات لنيقولاوس، كتاب تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس وقد هجره الناس في آخر حياته لأقوال ردية صدرت منه ونسب إليه كثرة الاشتغال بالعلوم المهجورة من علوم الأوائل. مات وهو محبوس بداره بمراكش في أواخر سنة أربع وتسعين. انظر: تاريخ الإسلام (١٩٦/٤٢).

[3] - دائرة المعارف العربية (٤٨٩/١) .

وهذا الرأي الذي ارتضاه البستاني مردود عليه فالحق إن أفكار ابن رشد لم تسلم من الانحرافات العقدية بل هجره الناس نتيجة لذلك كما يقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء فقد نسب إليه " أقوال ردية ونسبت إليه العلوم المهجورة ومات محبوسا بداره بمراكش[١] "[٢]

ثالثها : كدليل على تشرب البستاني للفلسفة الديكارتية حول الإيمان بالله فإننا نجده في حديثه عن الله وصفاته يميل إلى الطريقة العقلانية المجردة التي لا يستند فيها إلى الوحي أو كتاب سماوي. وإنما على اجتهادات البشر . ونستنتج مما يلي أن البستاني يرى ما يراه ديكارت من أن الله ليس له الكمال المطلق فهو يتطور بتطور المعرفة .

يقول في (مادة : الله[ﷻ]) هذا اللفظ مشتق من أله بمعنى تحيّر إذ العقول تتحير في معرفته ، وقيل أصله لاه وهو مصدر من لاه يليه بمعنى ارتفع واحتجب لأنه مرتفع محتجب ، وقيل أصله الاها .. أو مأخوذ من أيل بالعبرانية ، وقيل غير ذلك إلى عشرين قولاً أصحها أنه بمعنى المعبود وغلب دخول أل عليه فقيل الله . وقد سمت العرب الله بأسماء يقال لها الأسماء الحسنى لأنها دالة على أحسن المعاني وعددها تسعة وتسعون أسماً ... "[٣]

لا صحة لنسبة تسمية الله تعالى بالأسماء الحسنى إلى العرب وأنّا لهم ذلك إنما اشتقت هذه الأسماء من الوحي المطهر ، فعن أبي هريرة ﷺ " أن رسول الله ﷺ قال : إن لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة "[٤] ، وإذن فمعرفة أسمائه تعالى وصفاته " توقيفية تعلم من طريق الوحي والسنة ، ولم يكن لنا أن نتصرف فيها بم لا يهتد إليه مبلغ علمنا ومنتهى عقولنا وقد منعنا عن إطلاق مالم يرد به التوقيف في ذلك ، وإن جوزه العقل وحكم به القياس كان الخطأ في ذلك غير هين ، والمخطئ فيه غير معذور ، والنقصان عنه كالزيادة فيه غير مرض "[٥] .

وجملة القول أن ما ذكره البستاني في هذه المادة يتطابق ومزاعم ديكرت من أن الكمال الإلهي في ماهية الله ليس كمالاً مطلقاً كما يزعم ، بل يتطور بتطور المعرفة ، وهذا ما يؤكده

---

[١] - مراكش بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وهي في البر الأعظم في وسط بلاد البربر وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين، وقالوا مراكش معناه بالبربرية أسرع المشي. انظر: معجم البلدان (٩٤/٥) .

[٢] - سير أعلام النبلاء (٢١ / ٣٠٩).

[٣] - دائرة المعارف العربية (٢٨٦/٤) .

[٤] - صحيح البخاري . كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا (٢٦٩١/٦)

[٥] - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (٢٢/١٤)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

البستاني مما سبق ولا مجال للدين عندهما لفهم هذه المسألة لكونه يلزمنا بالتسليم للنص وإذعان العقل له دون أدنى تفكير في قضاياه .

نتيجة:

أولاً: يدعو البستاني إلى تقديس العقل كخطوة أولى نحو التمرد على الدين والتحرر من قيوده.

ثانياً: يؤمن البستاني بأن معرفة الله تعالى يمكن التوصل إليها دون الرجوع إلى الدين وباجتهاد مجرد من العقل وهو بهذا لا يفرق بين دين وآخر فالتعاليم في كلٍ خاضعة للتأمل ومن ثم القبول والرد من قبل العقل ومن هنا ذهب العقلانيون إلى الطعن في الوحي المقدس وقد ظهر من أبناء الأمة اليوم ممن ينتمي إلى هذا المذهب من يتجرأ على النصوص نقداً ورد ضاربا بقدسيتها عرض الحائط .

ثالثاً: أوقع البستاني نفسه في شبهة عظيمة مدلوها أن الله تعالى ليس له الكمال المطلق بل يتطور بتطور معارف العقل البشري .

رابعاً : امتدح البستاني في دائرته شخصية ابن رشد الشهيرة رغم إسهامها في تشويه العقيدة الإسلامية واختلاق الشبهات وبث الأغلوطات التي كان لها أثرها في فرقة المسلمين وتعدد طوائفهم .

٢- استغلال حق الحريات الدينية :

إن حرية المعتقد مما أذن فيه الشرع وكفله لكل أحد واستعباد البشر وقهرهم على اعتناق ملة بعينها لا تقره ديانة صحيحة ولا إنسانية سوية ، ولقد تجلى هذا الحق في ظل الإسلام في أبها صوره فالنصوص الداعية إليه واضحة لا يتطرق إليها التأويل، قال تعالى: (لَاۤ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ)[١] قال المفسرون في بيان هذه الآية : " معناه أنه ما بُنيَ أمر الإيمان على الإجبار والقسر وإنما بناه على التمكن والاختيار "[٢]، كما أن الحرمان من هذا الحق يشكل أحد جذور النفاق الذي يفت في عضد الأمة ويقوض كيان المجتمع المسلم.

وعندما ناقش دعاة التغريب قضية الحرية بمفهومها العام زعموا أن الإسلام دين لا تحوي تشريعاته مثل هذه المضامين ، وقد اتبعوا لنشر هذه القناعات في أوساط الأمة عدة مناهج و أهمها :

أولاً / المنهج الاستشراقي التبشيري الذي يقوم على تشويه الإسلام ونشر الأكاذيب باستخدام كافة الوسائل كـ (نشر الموسوعات [دوائر المعارف] والقواميس لتكون مراجع سهلة للباحثين ، وملؤوها بالسموم والشبهات) .[٣]

والحال ذاته ينطبق على جزء كبير من مواد هذه الموسوعة.

ثانياً / تشكل التيارات الفكرية المعادية للإسلام منطلقاً لدعاة التغريب خاصة فيما يتعلق بمفهوم الحريات الدينية ، حيث تعتبر مبادئ تلك التيارات أساساً في أيدلوجياتها [٤]، ويأتي في مقدمتها التيار العلماني الذي يقوم على أساس أن التدين حق خالص ينحصر بين العبد وربه، حيث يمكن وصف هذا التدين بعقيدة " ذات طابع داخلي لا يؤثر في المؤسسات ولا في الأفعال الجماعية ".[٥]

---

[١] - سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .

[٢] - تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض (٢٩٢/٢) ، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٠م.

[٣] - الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د/علي محمد جريشه، ومحمد شريف الزيبق، ص ٢٦ ، دار الاعتصام ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

[٤] - أيدلوجيه – أيدلوجيا : بمعنى العقيدة أو الفكرة ، وعلم الأيدلوجيا هو علم الأفكار : المعجم الفلسفي ص (٢٩) .

[٥] - انظر : العلمانية تحت المجهر ،د/ عبد الوهاب المسيري و د/ عزيز العظمة ، ص٦٢، دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان، ط١، جمادى الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

وإذا تناولنا هذا الموضوع من خلال استقرائنا لدائرة المعارف العربية نجد مساحة واسعة منها تركز على قضية حرية التدين وتصور لنا موادها أن دين الإسلام أهمل هذا الحق ناقلاً بعض أحداث التاريخ التي تعزز فكرة روح الهيمنة وتستخدم لغة الاستبداد العقائدي:

- من صور ذلك سرد القصص التاريخية التي تحكي غضب العلماء واستبداد الحكام بالمتطاولين على الدين بقصد إساءة الظن بالمسلمين لا بقصد نقل الحقائق دون توخي الأمانة العلمية في النقل ، فمنها ما هو مبالغ فيه ومنها ما لا أصل له ومنها ما هو مختصر اختصاراً مخلاً :

قال في (مادة : جبلة)[1] يذكر قصته مع عمر ﷺ حين ضرب جبلة رجلاً وطأ إزاره بغير عمد فكشفه فكان أن لطمه فهشم أنفه ، وقال لولا حرمة البيت لقتلته فلما أقر بعمله قال عمر ﷺ" فإما أن يعفو عنك وأما أن أقتص له منك ، فقال : أيقتص مني وأنا ملك وهو رجلٌ من السوقة، فقال عمرﷺ : قد شملك وإياه الإسلام فما تفضله إلا بالعافية والتقوى ، قال : فكيف تقتص مني ، قال :أهشم أنفك وأكسر ثناياك كما فعلت به، قال : ما كنت أظن إلا أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية ، قال دع عنك هذا فإنك إن لم ترضِ الرجل أقدته منك ، قال : أتنصر، قال : إن تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فإن ارتددت قتلتك ..... فرحل جبلة إلى القسطنطينية ودخل إلى هرقل[2] فتنصر هو وقومه، فأكرمه هرقل وأقطعه الإقطاعات الكثيرة واتحفه بالمال والذخائر " [3]

لقد عُرِفَ من سيرة عمر ﷺ أنه لا يخشى في الله لومة لائم كما كانت خلافته ﷺ مليئة بصور العدل بين الرعية فلا يفهم فاهم أن هذا الخليفة الراشد كان صارماً في سياسته مع رعاياه من غير المسلمين ، فهذا أنس ﷺ ينقل لنا شيئاً من صفحات تاريخه الناصعة ، فيقول عن رجل من أقباط مصر أنه " أتى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم ، قال : عذت معاذا، قال : سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني

[1] - جبلة بن الأيهم الغساني أبو المنذر ملك آل جفنة بالشام أسلم وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية فلما كان زمن عمر ارتد ولحق بالروم وكان داس رجلا فلكمه الرجل فهم بقتله فقال عمر الطمه بدلها فغضب وارتحل ثم ندم على ردته نعوذ بالله من العتو والكبر. سير أعلام النبلاء (٣ / ٥٣٢) وانظر: دائرة المعارف العربية (٣٩٠/٦).

[2] - من ملوك الروم بعد الهجرة وكانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل إحدى وثلاثين سنة وفي أيامه ملك المسلمون الشام . انظر: الكامل في التاريخ (٢٥٧/١) .

[3] -انظر : دائرة المعارف العربية (٣٩٠/٦) .

بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين ، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه فقدم، فقال عمر: أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين . قال أنس : فضرب ، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري : ضع السوط على صلعة عمرو فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني ابن عبد الحكم "[1].

وهكذا ينبغي أن يكون سلوك خليفة المسلمين مع رعيته ، لذا ينبغي في المقابل أن يحمل موقف عمر ﷺ مع جبلة محملاً حسناً ، إذا لا محاباة لمن يتمرد على الدين ويتطاول على حدود الشرع ، كائناً من كان ، فالشريف والوضيع والغني والفقير متساوون في ظل الشريعة المحمدية والعدل بين الرعية من سمات الإمام الصالح، هذا مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما ينبغي أن تقوم عليه دولة الإسلام .

وقال في (مادة : شنبوذ)[2] : " قيل أن ابن شنبوذ المذكور تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها في المحراب فأنكروا عليه فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة ، وقيل له أنه يغير حروفاً من القرآن ويقرأ بخلاف ما أنزل ، فاستحضره الوزير فأغلظ في الخطاب للوزير وبعض الجماعة ونسبهم إلى قلة المعرفة وعيرهم بكونهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر ، فأمر الوزير ابن مقلة بضربه فضرب ، فدعا على الوزير وهو يضرب بأن يقطع الله يده ويشتت شمله فكان الأمر كذلك .. فاستتابوه فتاب ، وقال إنه رجع عما يقرأه وأنه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان بن عفان وبالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس ، فكتب عليه الوزير محضراً بما قاله وأمره أن يكتب خطه في آخره فكتب ما يدل على توبته وكتب الشهود الحاضرون شهاداتهم في المحضر .. فتكلم به بعض الحاضرين أن يرسله الوزير إلى المدائن ليقيم أياماً ثم يأتي منزله في بغداد خفية لئلا تقتله العامة ففعل " .[3]

---

[1] - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (٢٩٤/١٢)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ط ١ ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي .

[2] - محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج ال شنبوذ ي البغدادي المقرىء غلام ابن شنبوذ يقول أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن وقال أبو عمرو الداني مشهور نبيل حافظ ماهر حاذق توفي أبو الفرج الشنبوذي في صفر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة . انظر : معرفة القراء الكبار (٣٣٣/١) .

[3] - انظر : دائرة المعارف العربية (٥٤٦/١) .

لا شك أن واقعة كهذه تفتح باباً من الجدل لكل حاقد على الإسلام فمن متهكم بأحكام الشريعة إلى من يكيل تهماً بانتهاك الحريات ويصف مثل هذه المواقف بالمتعنتة المتشددة ، غير أننا كمسلمين يجب علينا وجوباً إحسان الظن بمن سبقنا ، فحميتهم للدين ظلت هاجساً لكثير منهم حتى توفاهم الله وهم على ذلك ، وفي حقيقة الأمر إن الوزير ابن مقلة لم يقدم على معاقبة ابن شنبوذ إلا بمشورة العلماء ، حيث رأوا " أن قراءة القرآن بالشواذ منكرة تزيد على المصحف وتخالفه "[1] ، وما فعلهم هذا إلا من قبيل وصية علي ﷺ حيث قال : " حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله "[2] ، كما جاء في مقدمة مسلم أيضاً أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :" ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة "[3] .

ثم إن ابن شنبوذ لم يرسل إلى المدائن ويستخفي في بيته بوصية من الحاضرين لخشيتهم أن يقتله الناس كما زعم البستاني " وإنما هو من تلقاء نفسه اعتقد ذلك ، غير أنه لم يلحقه أذى ولم يتربص به أحد "[4] ، وهذه من المبالغات التي مافتئ البستاني يحشو بها دائرته .

وقال في (مادة : ابن الشلمغاني)[5] : أحدث هذا الرجل " مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ[6] وغير ذلك .....فقبض عليه الوزير ابن مقلة[7] وسجنه وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن

---

[1] - انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج الوفاة: ٥٩٧ (٣٩٣/١٣) دار صادر - بيروت - ١٣٥٨ ، الطبعة : الأولى.

[2] - صحيح البخاري . باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (٥٩/١)

[3] - صحيح مسلم . باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١١/١) .

[4] - انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٤٨/١٣) .

[5] - محمد بن علي الشلمغاني أبو جعفر المعروف بابن أبي العزاقر من أصحاب الكيمياء كان شيعيا ادعى النبوة وغيره قتل بعد ثبوت كفره ببغداد سنة ٣٢٢ اثنتين وعشرين وثلاثمائة من تصانيفه فضائل العمرتين و كتاب فضل النطق على الصمت و كتاب الإمامة و كتاب الأنوار. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٣٣/٦).

[6] - القائلون بالتناسخ ينكرون المعاد ويعتقدون أن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي تناسبها وتشاكلها فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها أو تعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان أخر تناسب أعمالها وأخلاقها وهكذا أبدا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك. الروح (١١٤/١) .

[7] - أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها وتنقلت أحواله إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله وخلع عليه لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثلثمائة توفي عاشر شوال سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، وكانت ولادته لتسع بقين من شوال سنة اثنتين وسبعين ومائتين ببغداد، ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله : (إذا أحببت تهالكت وإذا أبغضت أهلكت وإذا رضيت آثرت وإذا

يدعي عليه أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطبون به البشر بعضهم بعضاً .. وأنكر مذهبه وأظهر الإسلام وتبرأ مما قال، وأمر السلطان بصفعه فامتنع .. ثم سُقيَ سماً بأمر الوزير فلما أحس به أسرع العود إلى القسطنطينية[1] فمات في طريقه " [2]

ذكر البستاني في خبر وفاة ابن الشلمغاني أموراً لا صحة لها ، حيث تؤكد كتب التراجم أنه لم ينكر مذهبه ولم يتبرأ منه ولم يقتل مسموماً كما يزعم المؤلف . فقد جاء في كتاب هدية العارفين أنه عُرف بـِ " ابن العزاقر من أصحاب الكيمياء كان شيعياً ادعى النبوة وغيره ، قتله الخليفة بعد ثبوت كفره ببغداد سنة ٣٢٢هـ "[3] ، فما حجة البستاني فيما ذهب إليه ؟ وهل اختلق بقية هذه الأحداث من نسج خياله ؟! تحقيقاً لمآربه.

- في (مادة : إبراهيم الفزاري)[4] : حيث قال متحدثاً عن قصة مقتل هذا الرجل " فضبطت عليه أمور منكرة من الاستهزاء بالله تعالى وأنبيائه الكرام ، فقتل ثم صلب منكساً وأنزل وأحرق بالنار .. ولما رُفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وتحولت عن القبلة فجاء كلب فولغ في دمه فقيل صدق رسول الله (ﷺ) فإنه لا يلغ الكلب في دم مسلم ".[5]

يحكي البستاني هنا صورة من صور الاستبداد الديني كما يراه وهي رواية متكلفة ومبالغ فيها

لذا أقول : التطاول على الدين والنيل من قدسيته مما تنبذه الأديان بأسرها بل عُدَّ كفراً بالله صريح " لأن العمدة الكبرى في الإيمان هو التعظيم لأمر الله ولشرائعه " [6] ، وحيث أنه تقرر هذا فلا يسع أحدٌ من المسلمين التهاون فيه كائناً من كان حيث قال تعالى في شأن

غضبت أثرت) ومن كلامه أيضا (يعجبني من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا) . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١١٣/٥) ..

[1] - قسطنطينية ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء النسبة، قال ابن خرداذبه كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكا وقد ملك ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية، لذا كانت دار ملكهم واسمها إصطنبول . انظر : معجم البلدان (٣٤٧/٤) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٥٤٥/١) .

[3] - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : اسماعيل باشا البغدادي (٣٣/٦) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

[4] - أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعراً ماهراً متفنناً في كثير من العلوم، وكان يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن أبي طالب، طلباً للمناظرة فضبطت عليه أمور منكرة من الاستهزاء بالله تعالى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . أمالي ابن سمعون (١٦٥/٢) .

[5] - انظر: دائرة المعارف العربية (٢٥٦/١) .

[6] - تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري تحقيق : الشيخ زكريا عميران (٤٩٧/٣) . دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى .

المستهزئين بالله ورسوله والمؤمنين (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [1] ، وفيما يتعلق بالقول المنسوب إلى النبي ﷺ من أنه قال : " لا يلغ الكلب في دم مسلم " فإنني لم أعثر عليه في كتب الصحاح بهذا اللفظ ، وقد يستأنس البستاني بما نُسب إليه ﷺ كي يصور عنصرية الإسلام وتعاليه على سائر الأديان ، وسيأتي الرد على هذه المفتريات لاحقاً .

- وقال في (مادة : ابن أبي ليلى الفقيه)[2] يذكر قصة معارضة الإمام أبي حنيفة لما أفتى به القاضي ابن أبي ليلى في حادثة وقعت وهي قصة مختصرة يساء فهمها على ماهي عليه حيث تقول القصة : قال الإمام أبو حنيفة أخطأ القاضي في هذه الواقعة " فبلغ ذلك ابن أبي ليلى فأرسل إلى والي الكوفة يقول هاهنا شاب يقال له أبو حنيفة يعارضني في أحكامي ويفتي بخلاف حكمي ويشنع عليّ بالخطأ فأريد أن تزجره عن ذلك ، فبعث إلى الوالي فمنعه عن الفتيا حتى قيل أن ابنته جاءت إليه يوماً وقالت له إني صائمة وخرج من بين أسناني دم فبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق ، فقال لها سلي أخاك حماداً فإن الأمير منعني من الفتيا "[3]

اختصر البستاني هذه القصة فأخل بمحتواها سعياً لتقرير مسألة الاستبداد الديني عند المسلمين

وتلك القصة معروفة مشتهرة عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله إلا أن ورودها في هذه المادة فرصة لمن ساء فهمه كي يتخذها دليلاً يدان به المسلمون حيث تصور هذه القصة شكلاً من أشكال التضييق على الرأي المخالف ، الذي هو نمط من أنماط كبت الحريات الدينية ، غير إن ابن خلكان في وفيات الأعيان يقطع هذه الشكوك ويصف لنا الموقف بجلاء فيقول : " وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشارة رب الأمر فإن إجابته طاعة حتى أنه أطاعه في السر ولم يرد على ابنته جواباً وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر "[4]

وكان يجدر بالبستاني أن يختم ذلك الموقف بمقولة ابن خلكان أولى من بقاء القصة هكذا وبتر النصوص للإيهام .

---

[1] - سورة التوبة آية ٦٦.

[2] - هو ابن أبي ليلى الإمام العلم مفتي الكوفة وقاضيها أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه كان فقيها صدوقا صاحب سنة جائز الحديث قارئا عالما بالقرآن ومناقبه كثيرة مات في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين ومائة . انظر : تذكرة الحفاظ (١ /١٧١) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٣٦٧/١) .

[4] - وفيات الأعيان وأبناء الزمان (٤٨٠/٤)

- ومن صور ذلك سرد قصص أخرى نال فيها أصحابها من الأنبياء الكرام وقدسية الأديان وذلك لتكريس فكرة الاضطهاد الديني لدى المسلمين. حيث ينظر إلى تلك الشخصيات المتطاولة على الأنبياء والأديان بأنهم دعاة أحرار .. ليس إلا ؟!

- قال في (مادة : ابن الباجريقي)[١] : ينقل خبره عن نفسه حيث قال :" وصلت في سلوكي إلى السماء الرابعة ، فقيل هذا مقام موسى بن عمران .... فطُلب الباجريقي وحكم بإراقة دمه ..... وحُكي عنه التهاون في الصلاة وذكر النبي (ﷺ) من غير تعظيم ولا صلاة عليه حتى قال ومن محمد هذا، وكان يقول إن الرسل طولت على الأمم الطريق إلى الله تعالى، فحكم القاضي بإراقة دمه واختلف في الحكم بقتله ولم يزل مختفياً "[٢]

- وقال في (مادة : ابن سبعين)[٣] : " لقي الشيخ صفي الدين الهندي[٤] فقال هذا الرجل : حججت سنة ٦٦٦هـ وبحثت عن ابن سبعين في الفلسفة فقال لي لا ينبغي لك المقام بمكة، فقلت له فكيف تقيم أنت ، قال انحصرت القسمة في قعودي بها ، فإن الملك يطلبني بسبب انتمائي إلى أشراف مكة .. وكان ابن سبعين قد داوى صاحب مكة من مرض كان به فصار له عنده مكانة ويقال أن ابن سبعين نفي من المغرب بسبب قوله تحجر ابن آمنة "[٥]يقصد بهذا النبي محمد ﷺ .

قد يتساءل القارئ ما الفائدة المرجوة من ذكر مثل هذه القصص ، بل إن فيها من المفتريات على أنبياء الله عليهم السلام وعدم التأدب معهم ما هو منكر بصريح الدليل ، فعن

---

[١] - حمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجريقي الجزري الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدين، تزهد ولده محمد المذكور وحصل له حال وكشف فانقطع فصحبه جماعة من الرذالة وهون لهم أمر الشرائع وأراهم بوارق شيطانية، وكان له قوة تأثير مات وله ستون سنة، سنة أربع وعشرين وسبعمائة . انظر : فوات الوفيات (٢/ ٣٦٩) .

[٢] - دائرة المعارف العربية (١/ ٣٩٢) . وانظر: فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي تحقيق : علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود(٣٧٠/٢) دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .

[٣] - ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ابن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمائة واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد وصنف فيه، وكان يعرف السيميا وكان يلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، وله من المصنفات كتاب البدو وكتاب اللهو، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة. انظر : البداية والنهاية(٢٦١/١٣).

[٤] - هو الشيخ صفي الدين الهندي محمد بن عبد الرحمن بن محمد الأرموي الشافعي الأصولي نزيل دمشق ومدرس الظاهرية، ولد بالهند سنة أربع وأربعين وتفقه هناك بجده لأمه وصنف الفايق في أصول الدين، لقي ابن سبعين بعد حجه وخاطبه وتوفي سنة خمس عشرة وسبع مئة سنة تسع وستين وستمائة .انظر : الوافي بالوفيات (١٩٧/٣) .

[٥] - انظر : دائرة المعارف العربية (٥١١/١) .

أبي هريرة ﷺ قال : " قال رسول الله ﷺ رغم أنف رجلٍ ذُكرت عنده فلم يصل عليّ "[1]، ومـــاذا بقي لمؤمن من إيمان حين يقدح في أنبياء الله عليهم السلام وهم الذين اختـــارهم الله وجعــل على أيديهم هداية العباد لا إبعادهم عنه تعالى ، يقول تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[2] ، وقال ﷻ : (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)[3] ، " وهذا بمثابة قول المعطلة الذين جاؤوا بالقانون العقلي وزعموا اســتغنائهم عن الرسل بما استنبطوه من عقولهم "[4] ، وهو غاية الضلال .

- ومن قصص المتزندقة ما جاء في (مادة : أحمد خان)[5] يذكر ســيرته فيقــول : " إتهمــه عسكره يالزندقة وفساد الاعتقاد وعزم الجميع على قتله ... ثم تمكن العسكر من القبض عليه وعادوا إلى سمرقند[6] وأحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوماً أدعوا عليه الزندقـــة فجحــد فشهد عليه جماعة بذلك فأفتى الفقهاء بقتله فخنقوه "[7].

- وقال أيضاً في (مادة : بشار)[8] كان هذا الرجل " يرمى بالزندقة ويروى أنه كـــان يفــضل النار على الأرض ويصوب رأي إبليس في امتناعه عن السجود لآدم ..... وكان يمدح المهدي بن المنصور فرمي عنده بالزندقة[9] فضربه سبعين سوطاً فكان ذلك سبب موته "[10].

---

[1] - سنن الترمذي . كتاب الدعوات ، باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل (٥/٥٥٠) صححه الألباني.

[2] - سورة الأنبياء آية ٢٥.

[3] - سورة النساء آية ١٦٥.

[4] - انظر : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (١١٤٦/٣)، دار العاصمة – الرياض – ١٤١٨هــ -١٩٩٨م ، ط٣ ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله .

[5] - ملك أحمد خان بن خضر خان سمرقند سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وهو أخو شمس الملك الذي كان قبله وهو ابن أخي تركات خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه. انظر: الكامل في التاريخ (٤٥٧/٨).

[6] - سمرقند بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران بلد معروف مشهور قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية بناها شمر أبو كرب فسميت شمر كنت فأعربت فقيل سمرقند هكذا تلفظ به العرب في كلامها وأشعارها. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٤٦) .

[7] - دائرة المعارف العربية (٥٨٧/٢) .

[8] - بشار بن برد شاعر العصر أبو معاذ البصري الضرير بلغ شعره الفائق نحوا من ثلاثة عشر ألف بيت نزل بغداد ومدح الكبراء،وهو من موالي بني عقيل ويلقب بالمرعث للبسه في الصغر رعاثا وهي الحلق واحدها رعثة وولد أعمى، أتهم بالزندقة فضربه المهدي سبعين سوطا ليقر فمات منها، هلك سنة سبع وستين ومئة وبلغ التسعين . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٤/٧) .

[9] - الزندقة : هي إنكار الإيمان بالآخرة ووحدانية الخالق. والزنديق: المنافق وعن ثعلب أن الزنديق معناه الملحد والدهري. وعن ابن دريد أنه فارسي معرب وأصله زنده وهو من يقول بدوام الدهر. انظر: دستور العلماء (١١٣/٢) .

نظراً لكثرة ما ورد في هذه الموسوعة من قصص المتزندقة والمتمردين على الـدين، فإنه من الواجب إيضاح موقف الشريعة إزاء حرية التدين ودحض الشبهة المثارة حول هـذه المسألة فأقول:

أولاً : الردة عن الدين خروج عن جماعة المسلمين، وليس مجرد نهج عقلي حر، لأنه يترتـب على ذلك تغيير الولاءات وتوجيه الانتماء بحيث يمكن أن يكون أداة سهلة للطعن في الإسـلام وأهله ، ولذا ثبت عن النبي ﷺ قوله : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلـه إلا الله وأنـي رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة "[٢]

ثانياً : لماذا يعترض ذوو الديانات الأخرى على قتل المرتد في الإسلام والحكم بـه منـصوص عليه حتى في الكتب المقدسة عندهم ، ففي سفر الخروج الإصحاح (٢٢) – العـدد (١٩) مـا نصه " من ذبح لآلهة إلا الرب فقتله حلال " . ومن النصوص الدالة على قتـل مـن خـالف الشرع عندهم مانصه كذلك في سفر الخروج (٣٥) – الأعداد (٢) : " وجمـع موسـى بنـي إسرائيل كلَّهم وقال لهم : " هذي هي الوصايا التي أمر الرب أن تعملوا بها : ٢ في ستة أيـام تعملون ، واليوم السابع يكون لكم سبتاً مقدساً وعطلة لي أنا الرب . كل من عمل فيـه عمـلاً يقتل) .

وغير هذا كثير يشهد بأن حد المرتد معمول به في الأديان الأخرى ، فلا يلتفت إذن إلى إنكـار المنكرين على مشروعيته في الإسلام . وعلى صعيد واقعنا المعاصر ما موقع الخيانة العظمـى لدستور الدولة عند زعماء الحرية هل هم لا يمانعون الدعوة للشيوعية بأمريكا مثلاً أو بالدين الإسلامي في أوروبا بصفة عامة ؟ بالطبع لا فذلك خرق عظيم لدساتيرهم .

- ومن صور ذلك تمجيد الشخصيات والفرق الضالة التي تبعت منهج المتكلمـين والفلاسـفة وشذت عن جماعة المسلمين :

---

[١] - انظر : دائرة المعارف العربية (٤٤٦/٥) .

[٢] - صحيح مسلم . كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب ما يباح به دم المسلم (١٣٠٢/٣) .

- ففي (مادة : ابن سينا)[1] : قال البستاني :" كان من أشهر الحكماء العرب والأطباء العـرب فهو بقراط الطب وأرسطو الحكمة عند العرب والإفرنج ، وقد جمع في فسيح صـدره كتابـات أرسطو وأوعى في خزانة معارفه حكمه وقواعده ، ... وكان من المعول عليه شرقاً وغرباً في قواعد الحكمة والطب ، وقد اعترف له الجميع بالفضل فافتخر به الشرق وأخذ عنـه ومدحـه الغرب وانتفع بتصانيفه " .[2]

يخفى على كثير من المسلمين عقيدة هذا الرجل ، وسأذكر ما لم يذكره البـستاني فـي هذا الموضع ، لذا أقول إن عقيدته إلحادية جعلها هولاكو[3] عقيدة لدولته حين أشار عليه جمـع من الملاحدة وكان أبوه من دعاتهم وذُكِرَ أنه بسبب ذلك اشتغل فيما اشـتغل بـه مـن علـوم الفلاسفة الصابئة الأوائل ، فإن أصول الملاحدة مأخوذة من هؤلاء الصابئة وما أخـذوه مـن المجوس وهؤلاء الصابئة المبتدعون يقولون إن العالم متولد عن الله والمجوس يجعلـون لـه شريكاً في خلقه " [4] . بناء عليه فإن مثل هذه الشخصيات ماهي إلا رموز للتمرد على عقيـدة الإسلام الصافية يستحث البستاني من خلال ذكرها الأنفس الضعيفة للميل عن جماعة المسلمين بانتهاج العقائد الفاسدة كما فعل أسلافهم .

ومن صور ذلك اتهام البستاني للتشريع الإسلامي باضطهاد الأقليات الدينية التي تعـيش فـي المجتمع المسلم والتضييق عليها :

قال البستاني في (مادة : ذميّ) معرفاً هذا المصطلح عند المسلمين : " يطلق الذمي في شـرع المسلمين على كل من دخل في ذمامهم تحت رعايتهم وحمايتهم وعهودهم ، سواءٌ كـان مـن أهل بلاد استولوا عليها أو أجنبياً دخل بلادهم وصار تحت أمانهم ، لكن يجب أن يتميز عـنهم في أمور كثيرة اختلف العلماء فيها ونقض شيء كثير منها وتباينت آراؤهم ..... ثم إن هـذا

---

[1] - الفيلسوف الشهير أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعيلية، أحكم المنطق وكتاب إقليدس وأتقن الطب، مات يوم الجمعة في رمضان سنة ثمان وعشرين وأربع مئة ومولده في صفر سنة سبعين وثلاث مئة له كتاب الشفاء وغيره ، أثر عنه أشياء لا تحتمل وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٣١/١٧) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٥٣٦/١) .

[3] -هو ملك التتر والقائد المنغولي الذي اجتاح جيشه بغداد مركز الإسلام سنة (٦٥٦هـ) وارتكب هولاكو وجنوده من الفظائع ما تقشعر لهوله الأبدان. السلوك لمعرفة دول الملوك (٤٩٩/١) .

[4] - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٢٦٦/٢) ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة ، ط ١ ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن قاسم .

الذل الذي حملوه (الذميون) زمناً طويلاً تلاشى مع تقدم الأمم في سبيل التمدن ولا سيّما بعد إلغاء الشريعة التي تمنعهم عن تقديم دعاويهم بأنفسهم ، ولم يزل العتقاء ونحوهم في حالة من الهوان إلى أن نشرت الأعصر المتأخرة لواء الحرية وعرف الناس حقوقهم الطبيعية " [1]

تطرق البستاني في هذه المادة على أوضاع أهل الذمة في بلاد المسلمين وفي الأمم القديمة وركز على جانبين :

الجانب الأول : أن أحكام الإسلام تتخذ شكل التمييز العقائدي لأهل الذمة فلا يعاملون معاملة المسلمين .

الجانب الثاني : أهل الذمة مستذلون مقهورون في ظل الحكم الإسلامي الذي لم يدم طويلاً فقد انصهرت أنظمته الخاصة بهم بسبب حركة التمدن والحرية التي سادت العالم .

ورداً على ما سبق أقول:

١ - : إن الأدلة الصحيحة الصريحة التي يتفق أهل العلم في الأخذ بها بلا خلاف تقودنا إلى القول بأن " الإسلام دين سلام ، وعقيدة وحب ، نظام يستهدف أن يستظل العالم كله بظله ، وأن يقيم فيها منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء ظله إخوة متعارفين متحابين ، وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله ، فأما إذا سالموهم فليس براغب في الخصومة ولا مقطوع بها كذلك " [2].

٢ - مارس أهل الذمة كامل الحرية بين ظهراني المسلمين ، واستوصى بهم نبي الله وصحابته الكرام وأئمة الإسلام عبر العصور خيراً ، فكانوا كالمسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه " ذبحت له شاة في أهله فلما جاء قال : أهديتم لجارنا اليهودي أهديتم لجارنا اليهودي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه "[3]

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٣٥٢/٨) .

[2] - في ظلال القرآن: سيد قطب (٦/ ٣٥٤٤) دار الشروق – بيروت – لبنان – ط ١٥ ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

[3] - سنن الترمذي. كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حق الجوار (٣٣٢/٤) . صححه الألباني .

وهذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز[1] يكتب إلى عامله في البصرة عدي بن أرطأة[2] : " انظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، فلو أن رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه وضعفت قوته وولت له المكاسب كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق ، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر ﷺ مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس ، فقال : ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك ، قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه "[3] .

إن تلك الدعاوى التي حملت شعار الاضطهاد الديني ونسبها البستاني إلى الإسلام وهو منها براء تعكس رغبته الجامحة في العيش في وطن لا هيمنة للإسلام عليه ؟!

وهي مردودة على صاحبها ففي ظل الحكم الإسلامي نال كثير من أبناء الأقليات ثقة ولاة المسلمين فقربوهم إليهم وكانت لهم حظوة عندهم ، فمنهم من استوزرهم[4] ومنهم من كان من خاصة أطبائه[5] ... ولم يقابلوا بسوء المعاملة كما يتخرص المتخرصون والتاريخ خير شاهد على ذلك .

ولك أن تربط بين هذه الصورة وصورة أوضاع الأقليات الإسلامية التي تعيش في بلدان يحكمها النصارى وغيرهم حيث انتهكت حرياتهم هناك وامتحنوا في دينهم وأعراضهم نكالاً بالإسلام وأهله .

---

[1] - عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ويكنى أبا حفص قالوا ولد عمر سنة ثلاث وستين وهي السنة التي ماتت فيها ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمر بن عبدالعزيز ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثا كثيرا وكان إمام عدل رحمه الله ورضي عنه، ملك عمر بن عبدالعزيز سبعة وعشرين شهرا مثل خلافة أبي بكر وقال أحمد بن أبي الطيب أخبرني رجل من ولد عمر بن عبدالعزيز أن عمر مات ابن تسع وثلاثين سنة . انظر : تاريخ مدينة دمشق (١٢٩/٤٥) .

[2] - عدي بن ارطاة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطاة ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة وغيرها من بلاد العراق . تاريخ بغداد (١٢ /٣٠٦) .

[3] - أحكام أهل الذمة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي (١٤٤/١) رمادي للنشر – دار ابن حزم - الدمام – بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ط ١ ، تحقيق يوسف أحمد البكري و شاكر توفيق العاروري .

[4] -كأبي بشر الحلبي النصراني فقد كان وزيرا للأمير محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب على عهد الملك العادل ألب أرسلان . الذي ولي السلطنة بعد وفاة عمه طغرلبك بن سلجوق في سنة سبع وخمسين وأربعمائة . انظر : بغية الطلب في تاريخ حلب .

[5] - كأبي غالب بن صفية النصراني فقد كان من خاصة أطباء الخليفة أبي المظفر يوسف المستنجد بالله (٥٥٥- ٥٦٦) للهجرة . انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

٣- قد يورد بعض النصوص المتعلقة بأهل الذمة فيفهم البعض خطأً أنها دالة على وجـوب إذلال أهل الملل الأخرى وامتهانهم والتعدي عليهم ، ومثاله ما صح عن أبـي هريـرة ﷺ " أن رسول الله ﷺ قال : " لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام فـإذا لقيـتم أحـدهم فـي طريـق فاضطروه إلى أضيقه "[١] . ففيما يتعلق بإلقاء السلام عليهم " فإن المختار عنـد العلمـاء أن المبتدع (من أهل الإسلام وسواهم) لا يُبدأ بالسلام إلا لعذر وخوف مفسدة .. ،أمـا التـضييق عليهم في الطرقات فيتحاشى فيه الوقوع في وهدة[٢] ونحوها وإن خلت الطريق عن الزحمة فلا حرج "[٣]، ذلك ما رآه جمع من الفقهاء ، والمقصد من الحـديث الـسابق أن هـذا الهجـران والتجافي ربما يكون دافعاً له للدخول في الدين الحق . وقل مثل ذلك في سائر الأحكـام التـي شُدِد على أهل الذمة فيها .

سادساً: تحيز البستاني إلى الديانة النصرانية وبين خطر وضرر المروق عن الدين عليها :

لا يبدي البستاني الموقف ذاته في مسألة الحريات الدينية عند حديثـه عـن الديانـة المسيحية ، بل يعطينا الصور الحقيقية والأثر الـسلبي الـذي تحدثـه الانـشقاقات المذهبيـة والتطاول على أصول الديانة بدعوى ممارسة الحقوق الدينية ، حيث يقول في دائرته :

(مادة : أرتقه)[٤] وهكذا نرى أن الديانة المسيحية قد بليت في القرن الأول وكل قرن بعده شرقاً وغرباً باختلافات وانشقاقات وبدع وأرتقات كثيرة تولد منها طوائـف وفـرق شـتى صـغيرة وكبيرة ، فأضرت بوحدة الديانة ونموها وتقواها وراحتها ووقفت امتدادها بـين الأمـم غيـر المسيحية وسببت كثيراً من الدمار والخسارة المادية والأدبية وطالما تولد منها سـفك دمـاء كثيرة وحروب متعددة ... " . [٥]

بناءً على ما سبق نلاحظ أن البستاني يعمل بما يسمى بازدواجية المعايير، وهذا مما يدل علـى حنقه على الإسلام وأهله، وكان الأجدر به أن يكون حيادياً متجرداً عن عقيدته . ففـي المـواد

---

[١] - صحيح مسلم : كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم . (٤ /١٧٠٧) .

[٢] - الوَهْد : المكانُ المنخفِض كأنه حُفرة ، تقول : أرض وَهْدة ، ومكانٌ وَهْد ، والوَهْد يكون اسماً للحفرة . تهذيب اللغة (٢٠٨/٦).

[٣] - انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : محمد بن عبد الرحمن المباركفوري أبو العلا (١٨٨/٥)، دار الكتب العلمية – بيروت.

[٤] - يقال أرطقة (بالطاء) كلمة من أصل يوناني وهي تقابل كلمة البدعة، وتطلق على من يخالف الكنيسة المسيحية في تعاليمها .انظر : دائرة المعارف العربية (٧٨٩/٢) .

[٥] - دائرة المعارف العربية (٧٨٩/٢) .

السابقة دأب البستاني إلى تصوير المخالفين المارقين عن الدين عند المسلمين في صورة المستضعفين والمستبد بهم . ولقد أخبر النبي ﷺ عن هذه الانشقاقات والمبتدعات في الدين وقرر أن ما حدث لليهود والنصارى في ديانتهم سيحصل في دين الإسلام ، فقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه عوف بن مالك : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : الجماعة "[1]

نتيجة:

أولاً: ينتهج البستاني في تقرير انعدام حرية التدين عند المسلمين طريقة الإيجاز المخل أو اختلاق الأكاذيب عند إيراد قصص السابقين أو المبالغة في تصوير الوقائع حيث ثبت زيف كثير منها.. مما يحمل على إساءة فهم الأحداث.

ثانياً/ سرد القصص التاريخية التي تحكي غضب العلماء واستبداد الحكام بالمتطاولين على الدين بقصد إساءة الظن بالمسلمين لا بقصد نقل الحقائق دون توخي الأمانة العلمية في النقل ، فمنها ما هو مبالغ فيه ومنها ما لا أصل له ومنها ما هو مختصر اختصاراً مخلاً .

رابعاً: في مجال حرية الأديان لا يرى البستاني أن الإسلام أنصف في بعض تشريعاته فأعطى الأقليات الدينية حقها من الحريات . وهي نظرة جائرة ليس لها دليل .

خامساً/ يمجد البستاني الشخصيات والفرق الضالة التي تبعت منهج المتكلمين والفلاسفة وشذت عن جماعة المسلمين.

رابعاً: اتضح انحياز البستاني للديانة المسيحية حين اعتبر المروق عن الدين مما يضر بالعقيدة النصرانية بينما لا يرى في ذلك بأساً عند حديثه عن الفرق الضالة التي بلي بها المسلمون حيث يعتبرهم متنورين عظماء.

---

[1] - سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني : كتاب الفتن باب افتراق الأمم (١٣٢٢/٢) دار الفكر – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . (صححه الألباني) .

١- دعوته لنظرية التطور العضوي والعقدي .

أولاً : نظرية التطور العضوي ودائرة المعارف :

تعتبر نظرية دارون[١]من أخطر النظريات التي شاعت وذاعت في القرن التاسع عشر ، وتلقاها الكثير من المفكرين في ذلك العصر بالقبول والتأييد ، في حين عارضها الكثيرون ؛ لكونها لا تخضع لدليل يقيني صحيح ، وتقوم هذه النظرية عل أن الإنسان يعود أصله إلى القرود كما أنها تعتمد على محورين أساسيين :

" المحور الأول : بدء الحياة على الأرض وتطورها بشكل طبيعي أو ما يسمى بالتشابه التصاعدي : حيث يزعم دارون أن الوجود قام بدون خالق ، وأن الطبيعة وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة .

المحور الثاني: الجنس البشري وجد نتيجة التطور حيث كان في أصله قرداً، لزعم أن هناك تسلسل في الأجناس البشرية دالٌ إلى تلك النتيجة ".[٢]

- أما موقف البستاني من نظرية داروين الهدامة فيتضح من خلال ما دونه في موسوعته من مواد تؤكد تأثره بهذه النظرية ومنها :

أولاً : يقرر البستاني نظرية داروين للتطور العضوي بالربط بين معطياتها وما جاء في نصوص الكتاب المقدس ، حيث يلاحظ محاولته الجمع بين النظرة العقدية المسيحية والنظرة الفلسفية في نشأة الإنسان وهما ضدان لا يجتمعان :

يقول في (مادة : خلق) وأما خلق الإنسان ففي التكوين أنه نهاية أعمال ذي القدرة فأتم به الخلق وكلله به ، وقد ثبت بالعلوم أن وجود الإنسان في الدنيا حديث بالنسبة إلى كائنات أخرى ، وأنه لاحق للانقلاب العظيم الذي طرأ على وجه الأرض ، وبحسب الدين أخذ جسم الإنسان من التراب وهو مكوّن من نفس المواد التي تكون النبات والحيوان ، وبالاكتشافات الكيمية[٣]

---

[١] - تشارلز دارون (١٨٠٩م- ١٨٨٢م) صاحب نظرية التطور التي طرحها في كتبه وهي تقوم على أن أصل الأنواع عن طريق النتخاب الطبيعي وهو عالم حيوان أسس كتابه (التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان) لعلم نفس يقوم على مبادئ فسيولوجية خالصة، وفي كتابه (تسلسل الإنسان) زعم أنه ذهب إلى نتائج في السلوك النفسي والجنسي تؤكد أن الغرائز والتصورات الدينية والملكات العقلية في الإنسان تدفع إليها التغيرات البيولوجية التي تنتقل فيه عبر الأجيال بالوراثة. انظر: موسوعة مشاهير العالم (٧١/٢) .

[٢] - انظر : أصل الأنواع : تشارلز دارون ، ترجمة/ مجدي محمود المليحي ، تقديم سمير رضا صادق ص ٥٨ و ٢٢٤، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١ -٢٠٠٤م - القاهرة .

[٣] - أي الكيميائية .

الحديثة ثبت أن بين جميع الكائنات العضوية أي النباتية والحيوانية مشابهة عظيمة مـن جهـة التركيب ، وأن أهم العناصر من المملكة المعدنية والأرض هي التي يتكون منها فعـلاً جـسم الإنسان ، وهذه هي الأدلة التي يوردها العلماء الدينيون لإثبات أن العلوم لا تنافي الـدين وأن بين إثبات العلم من جهة تكوين الأرض والعوالم وأراء أباء الكنيسة اتفاقاً تاماً ، وأنـه سـهل التوفيق بين اكتشافات العلوم الحديثة وكتابات النبي موسى في الخليقة ".[1]

أشار البستاني إلى فكرة التطور العضوي من خلال حديثه عن نشوء خلـق الإنـسان مبيناً ما توصل إليه العلماء بهذا الصدد من خلال تطرقه لقضيتين:

أولاهما : أن الإنسان والحيوان والنبات تكونوا من مادة واحدة وأن هناك تشابهاً عظيماً بـين تراكيب هذه الكائنات ، ونتيجة لهذا ليس من مانع في كون الإنسان مر بعدة أطوار خلقية ترقى من خلالها إلى الخلقة التي هو عليها الآن .

ثانيهما : أراد البستاني الربط بين ما توصل إليه الباحثون وما تقرر في تعاليم الكنيسة حيـث تحدث عن ما يسمى بـ (ظاهرة التشابه التصاعدي)[2]، ليثبت أن الدين لا يعـارض اكتـشافات العلوم الحديثة .

ورداً على ما سبق فإن نصوص الكتاب المقدس تعارض فكرة التطور من أساسها كما جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول (٢٥: فعمل الله وحـوش الأرض كأجناسـها والبهـائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله أن ذلك حسن) . بناءً على هذا فما ذهـب إليه البستاني من أن الأبحاث العلمية اتفقت وأراء أباء الكنيسة حول مبادئ هذه النظرية أمـرٌ لا صحة له ، كما أن الثورة العلمية الحديثة لم تعد تلتفت إلى الموقف الديني الـذي يعـارض كثيراً من الاتجاهات الفكرية المعاصرة وإلا كيف نشأت العلمانية الضالة التي تناصـب العـداء للدين أصلاً .

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٤٤٦/٧) .

[2] - جميع نظريات التطور متفقة على أن كل أنواع الكائنات الحية قد نشأت عن أنواع سابقة لها في وجودها ونوعها ، والسابق أبسط مما يليه في تركيبه . وهكذا خلق الإنسان فهو مخلوق من عدم ثم من نطفة ثم من مضغة ... وهو أمر ثابت بنصوص الكتاب والسنة .

ثانياً : يكرر البستاني عبر مواد موسوعته مسألة التشابه والمقارنة بين تراكيب أجسام الحيوانات الأخرى كالقرد وتركيب الجسم البشري في إيحاء لما يسمى بقاعدة الترقي في نظرية دارون حيث قال :

في (مادة : أرخيولوجيا)[1] مبيناً بعض اكتشافات العلماء : " أن عظام الفخذ في الإنسان تقترب في عرضها من عظام أعلى طبقة في القردة ، وان عظم الساق مفرطح فرطحة غريبة ، والفرع الصاعد من الفك الأسفل متسع جداً ، تجويف الجمجمة مساوٍ لتجويف جماجم أعلى طبقة من قردة هذه الأيام " [2]، ثم قال ناقلاً رد العلماء على هذه الآراء " وحذر الباحثون من أن يجعلوا مزيد أهمية لما بين البقايا الحفرية من الإنسان والقردة من المشابهة بناءً على أراء وهمية متعلقة بأصل الجنس البشري وتسلسله "[3] .

وقال أيضاً في (مادة : أورنغ أوتنغ)[4] يذكر مدى حدة التشابه بين الإنسان وهذا المخلوق :
" أما العظم اللامي[5] والكبد والأعورة التي تختلف كثيراً في سائر الحيوانات عما هي عليه في الإنسان فهي في جنس الأرونغ أشبه بها في الجنس البشري ..... وبناءً على ما تقدم يكون الشمبنزي أول أنواع الأورنغ .. وهو أشبه الحيوانات الثدية بالبشر من جهة العموم ..... "[6] ويضيف البستاني " ولم تزل الصفات والأطوار الأصيلة المميزة لهذا الجنس محلاً كبيراً للشك والريبة كصفات الشمبنزي ، ولم يتحقق منها إلا ما ظهر منها من بعض أحداثها في معارض الوحوش غير أن صغر سنها لم يمكن العلماء من الحكم بما تصير إليه عند تكامل نموها ومازالوا يجهلون مقدار الحجم الذي تبلغه حينئذ " [7]

وقال في (مادة : بشر) :" ذهب دارون وآخرون كثيرون إلى أن الإنسان هو من سلالة حيوان يشبه القرد على أنه مما لا ينكر أنه ليس شيء من القردة الموجودة الآن أصلاً

---

[1] - هو علم الآثار (الأركيلوجيا) ليس هو كل دراسة الماضي إنه دراسة (الحجارة القديمة) وبصورة أعم دراسة جميع الأشكال الملموسة والمنظورة التي تحفظ أثر نشاط بشر . تاريخ علم الآثار ص٧.

[2] - دائرة المعارف العربية (١٨/٣) .

[3] - دائرة المعارف العربية (١٨/٣) .

[4] - هو ترجمه لكلمة إنسان الغاب (**orangutan**) وهو صنف من أصناف القرود . المورد ص ١٨٩

[5] - عند الحنجرة وقدامها عظم مثلث يسمى العظم اللامي تشبيهاً بكتابة اللام في حروف اليونانيين إذ شكله هكذا. القانون في الطب (١/ ٦٦) .

[6] - دائرة المعارف العربية (٦٣٠/٤) .

[7] - دائرة المعارف العربية (٦٣١/٤) .

للإنسان ، والعضو الذي هو أكثر مشابهة للإنسان هو تلافيف الدماغ وصورة الجمجمة في الشمبنزي ، ونمو الأيدي والأرجل في الغورلا ....."[1]

ثم يتابع البستاني ملخصاً نتائج أبحاث هذه المسألة " إن المشابهة بين الإنسان والقرد غير منحصرة في شعب مخصوص بل توجد في بعض أقسام من الجسد في جميع الأمم وأن في كل أمة ما يدل على تلك القرابة " [2]

وقال في (مادة : حد) : " كل قياس يشمل على ٣ حدود أصغر وأوسط وأكبر ، فإذا قلنا كل إنسان حيوان وكل حيوان جسم ، فالمطلوب أي النتيجة الحاصلة منه كل إنسان جسم، فالإنسان حد أصغر والحيوان المتكررة في الجزئين حد أوسط والجسم حد أكبر " [3]

وقال في (مادة : حيوان) : وجميع الحيوانات الفقرية لها هيكل واحد إلا أنه يتنوع في أنواع مختلفة منه بحيث يكون موافقاً لاحتياجاتها ، فعظام الأطراف الداخلية مثلاً هي أساس ذراع الإنسان ويده ، وأيدي ذوات الأربع والزواحف وأجنحة الطيور والزعانف الداخلية في الحوت"[4] ، ويؤكد البستاني كون الإنسان يشبه في تركيبه بعض الحيوانات بتجربة علمية قطعت رؤوس بعض الحيوانات وأخرى لبعض الرجال " وجد أنه كلما كثر استعمال الأكسجين في الدم كان رجوع المجرى العضلي والتهيج أسرع " .[5]

وقال في (مادة : ظُفر) : الظفر من الإنسان جسم قرني لدن مستطيل .. ظاهره محدب وباطنه مقعر ويقابله في أنواع الحيوانات من ذوات الثدي البرثن[6] للسبع والظلف للثور .. " [7]

وقال في (مادة : ظِلف) : ضرب من تنوعات البشرة في جسم الحيوانات كالبقرة والظبي والشاة والجاموس وما شاكلها .. وهو كالظفر من الإنسان ومثله في النوم والتركيب " [8] .

في المواد السابقة غاص البستاني في أعماق النظرية مع العلم أنه لم يجرؤ عن الإفصاح بما في مكنونه ، وقد تحدث عنها بطرائق مختلفة وهي :

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٤٢٧/٥) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٤٢٧/٥) .

[3] -دائرة المعارف العربية (٦ / ٧١٤)

[4] - دائرة المعارف العربية (٢٧٩/٧) .

[5] - دائرة المعارف العربية (٣٠٠/٧) .

[6] - برثن: (البُرْثُنُ ، كقُنْفُذ : الكَفُّ) بِكَمالِها (مع الأصابِعِ) . تاج العروس (٢٤٤/٣٤) .

[7] - دائرة المعارف العربية (٤١١/١١) .

[8] - دائرة المعارف العربية (٤١٣/١١)

الطريقة الأولى : الحديث عن مكتشفات العلماء التي توصلوا فيها إلى التشابه الكبير بين أعضاء الإنسان وأعضاء مشابهة لها في كائنات أخرى كالقردة والحيوانات الفقرية بجملتها .

الطريقة الثانية : استخدام أسلوب التشكيك والتساؤل الذي ليس له إجابة (لماذا كل هذا التشابه بيننا وبين القرود) ؟ !

فأما نظرية التطور التصاعدي التي ألمح إليها البستاني فرغم أنها حقيقة ثابتة عقلاً إلا أن التشابه في الكائنات ليس بالضرورة دالاً على اتحاد أصلها " بيد أن المزاعم هي مجرد عقيدة يعتنقونها، إذ ليس لديهم حتى دليل واحد يثبت هذه القصة المختلفة فلم يحدث قط أن عثروا على حيوان واحد يمثل صورة انتقاليه ، مثل حيوان نصفه سمكه ونصفه الآخر من الزواحف أو حيوان نصفه من الزواحف ونصفه الآخر طائر، كما أنهم لم يتمكنوا من إثبات أن بروتيناً واحداً قد تكون تحت ما أسموه بالظروف البدائية على سطح الأرض ، ولا حتى نجحوا في تكوينه مع كل ما يملكونه من معامل حديثة ومتطورة . بل على العكس من ذلك تماماً ، فقد أثبت دعاة التطور بكل ما بذلوه من جهد أن عملية التطور لم تحدث قط ولا يمكن أن تكون قد حدثت في أي وقت على سطح الأرض ..... والحقيقة أن أوجه التشابه الظاهري بين الإنسان والقرد لا يثبت شيئاً أبداً فهناك بعض أوجه التشابه الظاهري بين خنفساء الكركدن وحيوان الكركدن[1] إلى أن محاولة إثبات وجود علاقة ارتقائية بينهما (مع كون إحداهما حشرة والآخر حيواناً ثدياً) اعتماداً على التشابه أمر مثير للسخرية .

وبخلاف التشابه في المظهر الخارجي ، فلا يمكن القول بأن القرد أقرب إلى الإنسان منه إلى الحيوانات الأخرى ، فإننا إذا أخذنا في الاعتبار مستوى الذكاء فيمكن القول إن النحل الذي يبني خلايا العسل المعجزة في تكوينها الهندسي ، أو العنكبوت الذي يبني شبكته التي تمثل إعجازاً هندسياً هي الأخرى أقرب إلى الإنسان من القرد ، بل هما أرقى من الإنسان والقرد، فالقرد حيوان أولاً وأخراً ، لا فرق بينه وبين الحصان أو الكلب من حيث درجة الوعي والإدراك ، أما الإنسان فإنه كائن عاقل مدرك ذو إرادة قوية ، يستطيع أن يفكر ويتكلم ويقرر وكل هذه الصفات لا تتوفر لدى بقية المخلوقات وهي التي تجعل بينها وبين الإنسان فجوة

---

[1] - هو حيوان وحيد القرن . انظر: الحيوان (١١٧/٧) .

كبيرة ، ولن يستطيع أي تشابه جسماني بين الإنسان وأي مخلوق آخر أن يسد هذه الفجوة "[1].

وهكذا فإننا نجد الأدلة العلمية والعقلية تتفق مع الأدلة الشرعية التي تحكي أصل نشوء الإنسان وأطوار نموه ككائن مستقل في خلقه:

حيث قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ. . .)[2] .

وقال سبحانه مشيرا إلى تكريمه لآدم وبنيه رداً على القائلين بنسبته إلى القرود : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[3] يعني بذلك " البهائم والدواب والوحوش "[4].

ثالثاً : لم يبد البستاني أي انتقاد على داروِن وفكرته عن نشوء الخلق غير أنه حصر حجج معارضيه في كون أدلتهم على بطلانها دينية صرفه ، بينما نجد أنها نظرية فاسدة يرفضها الدين والعقل كما أسلفنا .

قال البستاني في (مادة: داروِن) متحدثاً عن نظريته " وحاول بتأليفه أن ينسب اختلاف معيشة الجنس البشري على الكرة إلى الترقي الدائم بدون أسباب خلقيه لكل جنس منها، ونتيجة ذلك هي العلائق الفيسيولوجية[5]، واشتراك الأصل بالكائنات الحية وقبل البعض أقواله وأنكرها البعض الآخر ورد عليها وأبطلها بأدلة دينية "[6].

ويتابع البستاني معلقاً على رسالة دراون في أصل الإنسان قوله : " وادعى فيها أن أصل الإنسان من رتبة حيوانية دون رتبة الإنسان فترقى إلى حالته الحاضرة بعد أن كان ذا ذنب وشعره كالحيوان ، ورد عليه علماء الدين مبطلين دعواه بأدلة من الكتب المقدسة وغيرها

---

[1] - انظر: خديعة التطور : هارون يحيى ، ص(١٨٠-١٨٢) .

[2] - سورة غافر آية ٦٧.

[3] - سورة الإسراء آية ٧٠.

[4] - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي (٦٤٢/٢)، دار القلم-الدار الشامية- دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي .

[5] - فسيولوجيا : (. Physiologie(F.) Physiology(E أحد أقسام علوم الأحياء ، ويدرس وظائف أعضاء الأجسام الحية، ويقابل المورفولوجيا التي تدرس صور هذه الأعضاء وتركيبها . المعجم الفلسفي ، ص ١٣٥.

[6] - دائرة المعارف العربية (٥٤٧/٧) .

..... وله تآليف كثيرة غير هذه من أنفسها آخر تآليفه الذي ظهر سنة ١٨٧٢م في قوة إظهار الحاسيات في البشر والحيوانات "[1]

ولمعرفة مدى خطر هذه النظرية الذي آثر البستاني ألا يتحدث عنه فإننا نقول :

"- إنها نظرية ليس في مضامينها أي مدلول لكلمة آدم وحواء ، والجنة والشجرة التي أكلا منها .

- سيطرة الأفكار المادية على عقول الطبقة المثقفة لأنهم أخضعوا الإنسان إلى قوانين المادة .

- تخلت جموعاً غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخلياً تاماً أو شبه تام .

- عبادة الطبيعة لأنها تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها .

- ليس من جدوى في البحث عن الغاية من وجود الإنسان لأن داروين قد جعل بينه وبين القرد نسباً "[2].

- البستاني وأراء العلماء المهتمين بتصنيف عالم الإنسان :

ولسنا ببعيد عن هذه النظرية فقد ناقش البستاني بكل تجرد مسألة تصنيف العلماء لمرتبة الإنسان في عالم الحيوان فقال :" وقد اصطلح المتأخرون من المؤلفين في علم المواليد على جعل الإنسان في المملكة الحيوانية فوضعوه في رأس الحيوانات كلها وسموه بذي اليدين ، واعتبروه الرتبة الأولى من صنف الحيوانات الثدية، غير أن جماعة من العلماء المحققين المتأخرين لم يروا في ذلك عدلاً فجعلوا الإنسان مملكة منفصلة عن المملكة الحيوانية واعتقدوا أن فصله أقرب إلى الحق والصواب من خلطه، واستندو في ذلك إلى علم الجيولوجيا"[3].

ولم يزل البستاني متأرجحاً في موقفه من نظرية داروين بين القبول والرفض، إلا أنه بلا شك ساهم من خلال موسوعته في رواج هذه النظرية بكل أبعادها . تماما كتضارب المواقف من هذه النظرية " عند الغرب فلقد اهتزت لها الكنيسة من جهة والدوائر العلمية من جهة أخرى والجماهير من جهة ثالثة فأما الكنيسة فقد كفرت داروين ورفضت فكرته ووصفته بالزندقة وأما العلماء فقد انقسموا إلى ثلاثة فرق . فرقة تؤيد داروين وتتحمس له ، وفرقة

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٥٤٨/٧) .

[2] - انظر : الموسوعة الميسرة (٩٢٧/٢) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٤٩٥/٤) .

تعارضه وتندد به ، وفرقة تحاول التوفيق بين ما تقوله النظرية وبين ما يقوله الدين ! وأما الجماهير فقد وقفت في مبدأ الأمر موقف حاسماً مع الكنيسة ضد دراون ! ولكنها رويداً رويداً بدأت تغير موقفها ، وتعتنق أفكار دارون ، وأياً كان القول في هذه النظيرة من الوجهة العلمية ، فقد كانت نظرية محصورة في (علم الحياة) تحاول أن تفسر نشأة الحياة وتطورها فلم تكن نظرية فلسفية ولا سياسية ولا اقتصادية ولا اجتماعية ، ولا نفسية ولكنها انقلبت - في فترة وجيزة - فأصبحت كل هؤلاء " [1].

وبالنظر إلى موقف العلم المادي فإنه قد " ثبت بالمنهج العلمي التجريبي في أوروبا نفسها فساد هذه النظرية وبطلانها منذ عدة عقود من الزمان – وإن كانت للأسف الشديد ما زالت تدرس في بعض معاهد المسلمين وجامعاتهم العلمية تحت مسمى العلم – وذلك لأن شيئاً من النتائج المترتبة على فروضها لم يتحقق ، فلم يخل الوجود من الكائنات الصغيرة ولا الضعيفة ولا تحول القوى منها إلى نوع آخر ، وما صار الشمبانزي القوى إنساناً ولا انقرض من دونه ولا تحول الإنسان إلى شيء أرقى ، بل إن كل الأنواع إن كان هناك ثمة شبه يجمع بينها فهو وحدة الصانع الخالق الموجد العليم الخبير ، وكل نوع مستقل بذاته ويقوم بما خلق من أجله باستثناء الإنس والجن لما وهبهما الله من حرية واختيار. وصدق الله العظيم (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ { ٣٨ } وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ { ٣٩ } [2] " [3] .

ثانياً : نشأة الدين وتطوره :

لم تكن نظرية النشوء والتطور مجرد نظرية بل كانت الأكثر أثراً في إفساد المعتقدات، فمنذ أن اشتهرت النظرية كانت إيذاناً بفتح المجال لفلاسفة الأديان ، حيث قاموا بدراستها وتتبع تاريخها على غرار أبحاثهم حول أصل خلق الإنسان ومراحل تطوره .

---

[1] - انظر : المذاهب الفكرية المعاصرة : محمد قطب ص (٩٥ -٩٨)

[2] - سورة الأنعام آية ٣٨ و ٣٩.

[3] - مدخل لدراسة الأديان . الدكتور / عبدالله حسن بركات . ص ٥١

إن الفكر الغربي أخذ نهجه الجديد منذ بداية العصر الحديث فلم يعد يؤمن بالمسلمات السابقة " وبذلك جعل طريقة معرفته الوحيدة مبنيةً على التجربة ، مستبعداً كل معرفة ما ورائية ومؤمناً بالمعرفة الإنسانية وحدها ، ولم يثن هذا الفكر عن مسيرته محاولات للدفاع عن المعرفة الإلهية عن طريق الحدس أو العقل البديهي ، وبذلك جعل الطبيعة مصدر معرفته والميدان الخصب لتقرير ما يعتبره الحقيقة "[1].

بناءاً عل ذلك كانت التفسيرات الأولى التي قدمها الفلاسفة لمعنى الدين النواة الأولى لعلم ما يسمى بنشأة الدين أو الاجتماع الديني ، وقد حفل القرن التاسع عشر بعدد من العلماء الذين برزوا في هذا المضمار وظهرت لهم دراسات في النظام الديني عبر العصور وكان من أبرزهم العالم (أوجست كونت)[2] و(إميل دور كايم)[3] وغيرهم من رواد علم الاجتماع .

وقد تنوعت التفسيرات حول منشأ الأديان وكيفية تطورها ،غير إنها تدور حول الكيفية التالية:

أولاً : "العامل الأساس وراء نشوء أديان البشر هو الذكاء الإنساني، ولولاه لم تزل الأديان في طور البدائية[4]، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني هيغل[5] مما كان يصرح به في محاضراته في تاريخ الفلسفة حيث قال : " فالأديان إذن هي المنجز العقلي الأسمى "[1].

---

[1] - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية : ميرسيا إليا ، ترجمة عبد الهادي عباس ، (٧/١)، دار دمشق – دمشق، ط ١، ١٩٨٧م .

[2] - وجست كونت (١٧٩٨م- ١٨٥٧م) هو أبو علم الاجتماع ولد بمدينة مونبيليه الفرنسية لوالدين كاثولكيين في عام ١٨١٦م تزعم حركة عصيان قام بها الطلاب ثم واصل دراسته إلى أنة عين معيدا في مدرسة الهندسة، ألقى سلسلة من المحاضرات العامة في الفلسفة الوضعية ثم أصيب بمرض عقلي مما جعله يفكر في الانتحار وعاد بعدها ليضع أسس علمه الجديد الذي أطلق عليه الفيزياء الاجتماعية ثم وسمه بعلم الاجتماع فيما بعد، وقد جرى على تقليد وتراث فلاسفة التقدم في أواخر القرن الثامن عشر. وقد توصل كما يزعم إلى قانون الحالات الثلاثة في التفكير الإنساني وهي مرحلة التفكير الديني ثم الفلسفي ثم مرحلة الفهم العلمي. انظر: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع . ص ٥٩ .

[3] - عاش هذا الرجل في الفترة ما بين ١٨٥٨م- ١٩١٧م ويعد من أوائل الفرنسيين في علم الاجتماع الذين ساروا في طريق العمل الأكاديمي درس العبرانية واهتم بتنشئته حاخامات اليهود من أشهر كتبه (الأشكال الأولية للحياة الدينية) و (تقسيم العمل الاجتماعي) و (قواعد المنهج) وهو كتاب لخص فيه الكثير من تصوراته في علم الاجتماع حيث يرى أن العامل الفعال الوحيد الذي يؤثو في المجتمع ويسهم في تطورالظواهر الاجتماعية لديه هو البيئة الاجتماعية .اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ص ٧٨.

[4] - انظر : كونت الفلسفة والعلوم : بيارا تيري ، ترجمة د/ سامي أدهم . ص ٢١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

[5] - جورج وليام فريدريك هيجل (١٧٧٠م- ١٨٣١م) من أكثر الفلاسفة الألمان تأثيراً في تاريخ الفكر الإنساني من مؤلفاته (ظاهريات العقل) ويقوم علم النفس الهيجلي على دعوى أن الإنسان كان في البداية في صراع مع الطبيعة، وفي المرحلة الثانية طبع الطبيعة بنشاطه العقلي، وفي المرحلة الثالثة اكتمل وعي الإنسان بذاته وعرف نفسه وكان ذلك من خلال سلوكه الإبداعي في الفن والدين والفلسفة . انظر : موسوعة مشاهير العالم (٤٤٣/٢) .

ثانياً : "يرى بعض علماء المقارنة بين الأديان أن الأمم البدائية مرت بثلاثة أطوار في معتقداتها بالآلهة والأرباب وهي : طور الآلهة المتعددة ، وطور التمييز والاختيار ، وطور التوحيد والوحدانية المتمثل في الأديان السماوية يهودية ومسيحية وإسلامية وهي الأديان الأكثر وضوحاً ، نظراً لإسهام الأنبياء والأولياء والفقهاء في تطورها .

ثالثاً : تنوعت المعتقدات عبر العصور تبعاً لتنامي تعقيدات الحياة ، فكلما أخذت المجتمعات الإنسانية شكلاً جديداً من أشكال المعيشة صاحب ذلك ازدهارا دينياً يناسب أنماط تلك المجتمعات "[2] .

وتبرز الخطورة في نسق هذه النظريات في أمور هي :

١ - " اعتقاد أن الدين من صنع البشر . وليس تكليفاً من الله للبشر .

٢ - أن العقل سبيل الرقي من التعدد إلى التوحيد . وليس الوحي المنزل .

٣ - أن الأمم المتقدمة وأرباب العقول الناضجة يعرفون التوحيد ويرفضون التعدد .

وأي توحيد في عقيدة النصارى الذين يؤمنون بالتثليث ؟! وغيرهم كعباد البقر في الهند إن وجود هذا التناقض العددي من جحود وتعدد وإشراك وتوحيد رغم هذا النضج العقلي دليل قاطع على فساد نظيرة التطور العقدي .

٤ - إن هذه النظريات معنية بالدرجة الأولى بمحاربة الإسلام الذي يحمل عقيدة التوحيد الحقة " [3] وهذا ما يهدف إليه البستاني في موسوعته من خلال المواد التالية التي حاول فيها تجسيد فكرة نشوء الأديان وتطورها .

- البستاني ودعوتة لنظرية تطور الأديان عبر موسوعته :

---

[1] - محاضرات في تاريخ الفلسفة: هيغل، ترجمة: خليل أحمد خليل، ص ١٤٧، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الحمراء ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

[2] - انظر : ما وراء التاريخ : وليام هاولز، ترجمة وتقديم : د/ أحمد أبو زيد ، ص ٣٢٨ و ٣٤٦ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

[3] - انظر : مدخل لدراسة الأديان ص (٥٨)

أولاً : لقد أكد على فكره تأليه البشر القدامى للكائنات التي يعتقدون تأثيرها على الطبيعة وهي المرحلة الأولى من مراحل نشأة الدين في تاريخ البشر كما زعم فلاسفة علم الاجتمـــاع وذلـــك بتناول الحديث عن تلك المعبودات في عدد من مواد الموسوعة كتعزيز لهذه الفكـــرة ويتمثـــل ذلك فيما يلي:

جاء في (مادة : أبيس) قوله هو :" ثور يعبده المصريون القدماء ، فإنهم كانوا يعتقـــدون أن تيفون معبود الشر عندهم تغلب على اوزيريس معبود الخير وقتله فتقمصت روحه إلى جـــسد عجل "[1].

جاء في مادة (أغاثود يمون) قوله :" هو معبود مصري يسمونه كَنَف وهو عندهم مبـــدأ كـــل شيء وخالق العالم بنفخة حيوية وقوة حافظة وكانوا يصورونه بصورة حية يسمونها باسمه"[2]

وجاء في (مادة : إسيس) قوله هو : " من أشهر معبودات المصريين ، يقـــال أنهـــا امـــرأة أوزيريس وأخته قيل أنه تزوجها قبل أن تولد فلما ولدت وجدت حبلى بأورويرى أي الـــشمس، وهي حاكمة مصر مع اوزيرس ، فهي تعلم الناس الزراعة وهو يسن لهم الـــشرائع ويعلمهـــم الصنائع النافعة وينظم أمور العبادة "[3]

وجاء في (مادة: بَعْل) قوله : " هو معبود ذكر .. ويراد به الشمس أو المـــشترى ، كمـــا أن عشتروث المعبودة الأنثى يراد بها القمر أو الزهرة ، ومن شأن هذين الأســـمين أن يـــستعملا بصيغة الجمع للدلالة على أنواع مختلفة من هذه المعبودات "[4] .

وجاء في (مادة : داغون) قوله " هو اسم معبودات الفلسطينيين ، كانوا يعتقدون أنه يشخص قوة التوليد الطبيعية ويمثلونه من رأسه إلى وسطه كأعلى إنسان ..... " [5]

في المواد السابقة ذكر البستاني جملة من المعبودات القديمة مشيراً إلى أماكن وجودهـــا فـــي إلماحة إلى أن تاريخ العرب كان في حقبة مضت يحفل بديانات أخرى سوى الإســـلام ونتيجـــة

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٤٠٧/٢) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٧٧٤/٣) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٧٦٦/٤) .

[4] - انظر : دائرة المعارف العربية (٤٩٣/٥) .

[5] - دائرة المعارف العربية (٥٥٢/٧) .

لهذا لا يعدو الإسلام كونه طور من أطوار التدين التي مارسها القدامى ليس إلا ، وإذا ما عدنا إلى تاريخ المعتقدات بالنظر إلى نصوص القرآن والسنة نجد الحقائق التالية :

الحقيقة الأولى : تحدث القرآن عن قصة آدم ﷺ، وأوضح من خلالها أن العقيدة الحقة التي تعرف الإنسان بربه وشريعته قد وعد الله بها لآدم حينما أهبطه وزوجه من الجنة بعد معصيته لربه حين أكل من الشجرة ، حيث قال سبحانه (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[1] ، قال قتادة رحمه الله : " ما زال في الأرض أولياء منذ هبط آدم ما أخلى الأرض لإبليس إلا وفيها أولياء له يعملون لله بطاعته "[2] .

الحقيقة الثانية : إن آدم وبنوه ظلوا على التوحيد أجيالاً متعاقبة حتى أذن الله بمجيء الرسل بعد انحراف عقيدة البشر ، قال تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)[3]، أي "على دين واحد "[4] فاختلفوا (فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ . . .)[5] ، وفي حديث أبي أمامة " أن رجلاً قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال : نعم ، مكلم . قال : فكم كان بينه وبين نوح ، قال عشرة قرون "[6]، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : " كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق "[7] .

ومع تسليمنا بهاتين الحقيقتين لزمنا القول ببطلان نشوء العقائد بمثل هذه الأساطير التي يرويها البستاني .

ثانياً : ثناؤه على النتاج العلمي لفلاسفة هذه النظرية دليل على تأثره بهم والترويج لأفكارهم : كما في (مادة : دوبوى)[8] : حيث تحدث البستاني عن هذا الفيلسوف فقال :" وقضى أحسن قسم من حياته في إثبات كون كل المعبودات الميثولوجيه[9] عبارة عن الكوكبات وان أسماءها

---

[1] - سورة البقرة آية ٣٨.

[2] - الدر المنثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (١٥٢/١) ، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م .

[3] - سورة البقرة آية ٢١٣.

[4] - تفسير البغوي (١٨٦/١) .

[5] - سورة البقرة آية ٢١٣.

[6] - صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ باب بدء الخلق. (٦٩/١٤)، إسناده صحيح على شرط مسلم .

[7] - تفسير ابن كثير (٢٥١/١) .

[8] - فيلسوف فرنسي ١٧٤٢-١٨٠٩ ، من علماء الفلك والميثولوجيا (أي الأساطير) وهي حكايات خرافية منذ فجر التاريخ .

[9] - ترجمتها (علم الأساطير) **mythology** . قاموس المورد ص ١٠٥.

هي نفس أسماء النجوم ، وأن الحكايات الغريبة الواردة ليست إلا رموزاً لدورة الكواكب وتعلق بعضه ببعض وقد نشر كتاباً في أصل كل الطقوس أو الديانة العامة في ٣ مجلدات وفيه شرح مذهبه بإسهاب وسنة ١٧٩٨م نشر مختصره ، وطبع مراراً ، وسنة ١٨٠٦م طبعت تتمة تأليفه العظيم .. " [١]

وهنا سأورد بعض القواعد التي سنصل من خلالها إلى ما مفاده أن فكرة نشوء وتطور الأديان التي يؤمن بها الفلاسفة بني على أمور وهي :

"الأمر الأول: أنهم قدّروا أن الإنسان الأول خلق خلقاً ناقصاً غير مؤهل لأن يتلقى الحقائق العظمى كاملة، بل إن تصوراتهم عن الإنسان الأول تجعله أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

الأمر الثاني: أنهم ظنوا أن الإنسان اهتدى إلى العقيدة بنفسه بدون معلم يعلمه ومرشد يوضح له، فما دام الأمر كذلك فلا بد أن يترقى في معرفته بالله كما ترقى في العلوم والصناعات .

الأمر الثالث: أنهم عندما بحثوا في تلك الأديان ليتبينوا تاريخها لم يجدوا أمامهم إلا تلك الأديان المحرفة أو الضالة فجعلوها ميدان بحثهم .. وأنى لهم أن يعرفوا الحقيقة من تلك الأديان التي تمثل انحراف الإنسان في فهم العقيدة "[٢]

وأما ما يدعونه من كونهم يتخذون من التاريخ الإنساني شاهداً على ما ذهبوا إليه فذلك مردود لأسباب :

السبب الأول / " أن ما نعرفه عن التاريخ الإنساني قبل خمسة ألاف عام قليل، وأما ما نعرفه قبل عشرة آلاف عام فيعتبر أقل من القليل ، وما قبل ذلك فيعتبر مجاهيل لا يدري علم التاريخ من شأنها شيئاً، لذا فإن كثيراً من الحقيقة ضاع بضياع التاريخ الإنساني .

السبب الثاني / أن الحقائق التي ورثها الإنسان اختلطت بباطل كثير، بل قل ضاعت في أمواج متلاطمة في محيطات واسعة من الزيف والدجل والتحريف، ومما يدل على ذلك أنّ كتابة تاريخ حقيقي لشخصية أو جماعة ما في العصر الحديث تعتبر من أشق الأمور، فكيف بتاريخ يمتدُّ إلى فجر البشرية ؟ !

---

[١] - انظر : دائرة المعارف العربية (٩٤/٨) .

[٢] - العقيدة في الله : د/ سليمان الأشقر (٢٢٤) مكتبة الفلاح – الكويت – ط٥ ١٩٨٤م .

السبب الثالث / أن قسماً من التاريخ المتلبس بالعقيدة لم يقع في الأرض بل في السماء ، لذا كان الذي يستطيع أن يمدنا بتاريخ حقيقي لا لبس فيه هو الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء)[1] . "[2]

ثالثاً : كثيراً ما حاول البستاني إيجاد مقارنة بين شعائر الدين الإسلامي والطقوس التي مارسها البشر عبر التاريخ :

كما في (مادة : خاتم) حيث قال : " وقد ثبت أن النبي (ﷺ) أراد أن يكتب إلى قيصر[3] فقيل له أنه لا يقبل كتاباً إلا أن يكون مختوماً فأتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه محمد رسول الله في ٣ أسطر ..... وكان المصريون القدماء يلبسون خواتم الختم والزينة .. وأما المتمولون[4] فكانوا يفضلون الخواتم البسيطة المستديرة ذات الفصوص المنقوش عليها اسم معبود أو ملك أو عليها رمز مقدس عندهم "[5] .

وقال في (مادة : دفن) متحدثاً عن طريق دفن الموتى عبر العصور : " ويعلق بعض القبائل البربرية موتاهم بالأشجار ويضعونهم على ألواح قائمة على عمد ، وكذلك عدة قبائل من هنود أمريكا الشمالية ، وأما أكثر الشرقيين فيكرمون الموتى ويدفنونهم في مقابر يعتنون بها ودفن المسلمون موتاهم بعد الغسل وسد ثقوب الجسم بالقطن والتكفين في لحود بلا توابيت واليونان الحاليون يكشفون غالباً أوجه الموتى عند نقلهم إلى المقابر "[6]

وقال في (مادة : صراط) : " الصراط والسراط الطريق ومنه في سورة الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم) والصراط في الشرع الإسلامي جسر ممدود على متن جهنم يقال أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، يمر عليه جميع الناس يوم الحشر فلا يشعر الصالح بصعوبة الممر .. وقد كان لأتباع زرادشت[7] معتقد بجسر يدعى حينيواد يمر عليه الأبرار والأشرار فمن

---

[1] - سورة آل عمران آية ٥.

[2] - العقيدة في الله ، ص ٢٤٥ .

[3] - قيصر: اسم ملك يلي الروم، وقيل : قيصر ملك الروم. لسان العرب (١٠٤/٥) .

[4] -يقال : تمول فلان مالا إذا اتخذ قنية. و مال الرجل يمول و يمال مولا و مؤولا إذا صار ذا مال .

انظر : لسان العرب (١١/ ٦٣٦) .

[5] - دائرة المعارف العربية (٣١٦/٧) .

[6] - دائرة المعارف العربية (٧٠٧/٧) .

[7] - رجل ادعى النبوة واتبعه المجوس كان مما سنه لهم عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل وتحيي النبات والحيوان ...انظر : تلبيس إبليس (١/ ٩٤) .

صلحت أعماله أعانته الأرواح فعبر سالماً ومن ساءت أعماله سقط إلى جهنم ، وفـــي اعتقـــاد السكندنيافيين[1] القدماء أن بين السماء والأرض جسراً يدعى بيفروست هو قوس قـــزح وهـــو بولاية ملك يدعى همدال " .[2]

وتلك مقارنات فاسدة ليس لنا كمسلمين الالتفات إليها ؛ لأن الإســلام ديـــن ســـماوي مـــستقل بتشريعاته نازل من عند الله تعالى ولم يمر بأدوار التطور التي يزعمها فلاسفة علم الاجتماع .

أما دعوى مشابهة بعض التشريعات الإسلامية لبعض ما هو موجود في العقائد الوثنية والأديان القديمة فذلك نرده من أوجه :

الوجه الأول : قد أُمرنا بطاعة النبي ﷺ كما في قوله تعالى (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)[3] ، وفي هذا إشارة إلى عصمته ﷺ "لأن الله أمرنا بطاعته مطلقاً فلولا أنـــه معصوم في كل ما يبلغ عن الله ، لم يأمر بطاعته ويمدح على ذلك "[4] ، ثم قال تعالى مبينـــاً أن نبيه الكريم لا يجوز عليه أن يفتري كذباً أو يـــشرع مـــا لـــم يـــشرعه الله (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ { ٤٤ } لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ { ٤٥ } ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ { ٤٦ })[5] ، ومعناه أنه " لو أتى بشيء من عند نفسه لأخذنا منه بيمينه وقطعنا نباط قلبه ، وقد أعاذه الله من الركون إلى أعدائه بذرة من قلبه ومن التقول عليه سبحانه "[6] ، وإجمالاً فإنما شرعه رسول الهدى ﷺ لا يتطرق إلينا أدنـــى احتمال أنه من عند غير الله .

الوجه الثاني : أن بعض ما فعله النبي ﷺ قد يكون اجتهاداً منه لا وحي فيه ، ويعود ذلك إلـــى مدى معرفته بأمور الدنيا أو مشاورة أصحابه ﷺ ونحو هذا من الأسباب الداعية إلى فعل مـــا دلت السنة علي ثبوته عنه ﷺ كاتخاذ الخاتم وحفر الخندق[7] وغيرهما .

---

[1] - يستدل البستاني على صحة نظرية الأديان من خلال أساطير المعبودات التي وجد العلماء آثارها في البلاد الإسكندنافية الواقعة شمال أوروبا . انظر : كتاب الميثولوجيا الاسكندنافية (مقالات تجميعية حول الميثولوجيا الإسكندنافية) .

[2] - دائرة المعارف العربية (١٠/٧١٥) .

[3] - سورة النساء آية ٨٠.

[4] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١٨٩).

[5] - سورة الحاقة آية (٤٤-٤٦) .

[6] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، (١/٣٣٣) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

[7] - أشار بحفر ذلك الخندق سلمان الفارسي ﷺعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب . انظر : السيرة النبوية (٤/١٨٢)

الوجه الثالث : أن تشابه صور بعض المعتقدات في الإسلام مع الأديان التـــي ســـبقته لـــيس بالضرورة طوراً من أطوار نمو الأديان كما زعموا " وقد علم أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين ، فأتى بهذا الكتاب الجليل ، الذي { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[1] "[2]

---

[1] - سورة فصلت آية ٤٢.

[2] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٢٠/١). وسورة الصف آية

نتيجة :

عمل البستاني في المواد الآنفة الذكر على هدم الإسلام والقضاء على قيمه ومبادئـــه مـــن خلال مناقشة نظريتي التطور العضوي والعقدي للإنسان بالأساليب التالية:

- اختلاق المزاعم من كون النظرية الدارونية يثبتها العلم التجريبـــي وتعـــاليم الديانـــة المسيحية وهو زعم باطل لا دليل عليه . بل من نصوص الكتاب المقدس ما يناقضه.

  فضلاً عن نصوص القرآن والسنة .

- أسلوب التشكيك وإثارة الأسئلة التي تحار لإجابتها العقول فيما يتعلق بـــسر التـــشابه الخلقي بين الإنسان والقرد دون اللجوء إلى الوحي المنزل الذي يحسم المسألة.

- أسلوب المقارنة بين أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان فيما يتعلـــق بفكـــرة التطـــور العضوي والمقارنة بين تشريعات الإسلام وطقوس الديانات القديمة فيما يتعلق بفكـــرة تطور المعتقدات.

- مما يدل على تقبل البستاني لأصول نظرية دارون كونه لم ينتقد فكرته مع حصر حجج معارضيها في الناحية الدينية لا العلمية التجريبية.

- أكد البستاني على فكرة تأليه البشر القدامى للكائنات التي اعتقدوا تأثيرها على الطبيعة كمرحلة أولى من مراحل نشأة الأديان في زعم فلاسفة علم الاجتماع وذلك مـــن خـــلال حديثه عن تلك المعبودات دون نقد أو تفنيد.

- أثنى على النتاج العلمي لفلاسفة هذه النظرية مما يدل على تأثره بها.

- حاول البستاني إيجاد مقارنة بين التشريعات الإسلامية والطقوس التي مارسها البـــشر عبر التاريخ للتأكيد على صحة نظرية تطور الأديان.

المبحث الثالث / دوره في الترويج للمذاهب الهدامة في الميدان السياسي .

١- دعوته للقومية :

قبل الحديث عن نشأة القومية في البلاد العربية لابد من بيان جذور هذه الفكرة والتحدث عن النواة الأولى لها ، حيث كان العام ١٧٨٩م إيذاناً بانطلاق الثورة الفرنسية التي صاحبها ما يسمى بالقومية الواعية، وقد تبناها عدد من المفكرين الفرنسيين يأتي في مقدمتهم الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو[١] صاحب نظرية (العقد الاجتماعي)، وتقوم فلسفة هذه الثورة على أن " أساس المجتمع يقوم على رابطة المواطنة، وهي فكرة (العقد)، ثم بدأت هذه النظرية في الاتساع بآرائها وأفكارها التي تنادي في مجملها باحترام الشخص الإنسان واستقلاليته، وعدم فرض إرادة أجنبية عليه أو الاعتداء على حق الآخرين، فكيان الأمة ما هو إلا مشروع يتألف من أفراد وأحرار بموجب الحقوق ويحد بينهم عقد بطريقة واحدة "[٢].

نشأت الفكرة القومية في الوطن العربي على أيدي ثلة من نصارى الشام، كان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أو ما كان يسمى وقت ذاك بالجامعة العربية، ويعنون بها الرابطة الجامعة لشمل العرب، وكان العرب يشكلون الجزء الأكبر من الدولة العثمانية "[٣]. ويمكن القول بأن القومية في مفهومها عبارة عن "جماعة من الناس يتكلمون لغة واحدة، وينحدرون غالباً من أصل واحد كالعرب والترك والفرس "[٤]، ويعد من أشهر دعاة هذا المذهب المعلم بطرس البستاني ونصيف اليازجي وغيرهم . وهو تيار منحرف قام على الأسس التالية:

أولاً : التشكيك في الصلة بين العروبة والإسلام حيث رأى دعاة القوميـــة أن "الإســـلام لـــيس عنصراً أصيلاً في مقومات العروبة"[٥] وأضفوا عليه " الصبغة التاريخية بحيـــث يعـــد مرحلـــة ماضية من تاريخ الأمة العربية ".[٦]

---

[١] - هو جان جاك روسو (١٧١٢م-١٧٧٨م) الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي الأصل والسويسري الجنسية، له عدة مقالات تؤصل لنظريته في علم النفس الاجتماعي منها مقاله (في العقد الاجتماعي) وآخر في (أصل التفاوت بين الناس).. انظر: موسوعة مشاهير العالم (٢ /٢٠٥) .

[٢] - انظر : فلسفة الثورة الفرنسية : بونار غروتو يزنا ، ترجمة : عيسى منصور ، ص ١٩٢، منشورات عويدات – بيروت – باريس ، ط١ ، ١٩٨٢م .

[٣] - الإسلام والحضارة الغربية : د/ محمد حسين ، ص ٢٠٢ ، دار الفرقان .

[٤] - القومية والعلمانية مدخل علمي ، د/ عدنان زرزور، ص٢٩ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هــ - ١٩٩٢ .

[٥] - انظر: الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٢٠٢ .

[٦] - انظر: القومية والعلمانية، مدخل علمي ، ص٢٩ .

ثانياً : " استقت الحركة القومية العربية أفكارها من الغرب ، فهي فكرة غربية الأصل عربية المنشأ "[1].

ثالثاُ : " أسهمت الجمعيات التبشيرية الأجنبية إسهاما كبيراً في دعم دعاة هذه الحركة في بلاد الشام "[2]، كالبستاني ورفاقه.

رابعاُ : كان أهم هدف سعى إليه دعاة القومية العربية تقطيع أوصال الدولة الإسلامية العظمى وتفكيكها إلى دويلات تدعو إلى انتماءات عرقية لا محل للإسلام فيها ، حيث لوحظ " نشاط نصارى بلاد الشام وخاصة لبنان في الدعوة إلى الفكر القومي أيام الدولة العثمانية ، وذلك لأن هذا الفكر يعمق العداوة مع الدولة العثمانية المسلمة التي يكرهونها، وينبه في العرب جانباً من شخصيتهم غير الدينية، مما يبعدهم عن العثمانيين "[3].

وقد كان البستاني صريحاً في دعوته لهذا المذهب الضال من خلال موسوعته العربية، رغم أنه يشكل صداماً حقيقياً مع الإسلام الذي تدين به شعوب العرب قاطبة، وترى أنه مصدر انتمائها الحقيقي، وكان منهجه في ذلك على النحو التالي:

أولاً : يركز البستاني على الانتماء اللغوي الذي يرى أنه السبيل الأوحد لتآخي العرب، ويذكر ذلك مراراً في مقدمة موسوعته فيقول متحدثاً عن مشروع إعدادها: " فأخذنا نستشير أصحاب المعارف وأهل الذوق والغيرة من أبناء لغتنا الشريفة وغيرهم في سورية وسائر البلدان فأشاروا بالقيام بهذا العمل "[4].

وقال أيضاً مثنياً على جناب الخديوي الذي كان من أكبر الداعمين لمشروع الموسوعة العربية التي ألفها البستاني : " فلساننا وقلمنا قاصرين عن تأدية فريضة الشكر عن هذه المنة ، على أن لسان حال هذا التأليف سيقوم بذلك في كل عصر ومكان ويذكر أبناء اللغة على الدوام أن إتحافهم بكتاب هو ينبوع كل معرفة ناشئ عن تلك المساعدة ،فنسأل الله أن يجزيه عنا وعن سائر أبناء لغتنا خيراً "[5].

---

[1] - انظر: يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية : جورج أنطونيوس ، ترجمة د/ ناصر الدين الأسد ، و د/ إحسان عباس، ص١٥٧، دار العلم للملايين – ط٨ - بيروت – ١٩٨٧م .

[2] - انظر: يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية ص ١٥٩ .

[3] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٤٤٨/١) .

[4] - دائرة المعارف العربية (٢/١) .

[5] - دائرة المعارف العربية (٣/١) .

جاء في (مادة : تركيا) قوله عن اللغة التركية: " وأما اللغة التركية فهي لغة يتكلم بها قبائل مختلفة من أصل تركي أو تتري، فهي قسم مهم من أقسام العائلة الأورالية[1] .. أو التورانية[2]"[3].

هنا نلحظ تناسقاً زمنياً بين حديث البستاني عن اللغة التركية والعرق الطوراني وبين مشروع إحياء الجنسية الطورانية الذي عزم عليه المتفرنجون حيث أرادوا إحياء الجنسية التركية وجعلها مستقلة أتم الاستقلال في الحكم والتشريع، والعقائد والآداب، غير مقيدة فيه بقيد مستمد من أمة أخرى بل أقول بلغة صريحة نصيحة : غير مقيدين فيه بالشريعة الإسلامية ولا بالدين الإسلامي ، وقد مهدوا له بما ألغوا له من الكتب والرسائل ، ووضعوا له من الأناشيد والقصائد، وواتتهم السلطة الاتحادية[4] على ذلك " [5].

فكان الانقسام حليف الدولة الإسلامية العثمانية ليبدأ القوميون العرب في هذه المرحلة ممارسة نفس الأدوار التي مارسها الاتحاديون دعاة القومية.

وقال في (مادة : السودان) متحدثاً عن قبائل السودان الشرقي : " وكلهم يتكلمون لغة واحدة وهي لغة البجة[6] القديمة "[7].

إن المناداة بالعروبة بناءً على أساس وحدة اللغة توجه فكري له آثاره الخطيرة على واقع الإسلام حيث يصدمنا بالحقائق التالية:

الحقيقة الأولى : إقصاء نظرة الإسلام الذي تدين به العرب "حيث يدعوا إلى الإنسانية على أنها وحدة لا فرق فيها بالأجناس أو الألوان أو الأقاليم ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[8]،

---

[1] -نسبة إلى منطقة جبلية تفصل بين قارتي أوربة وآسيا . انظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٢) ..

[2] - توران بالراء والألف والنون بلاد ما وراء النهر بأجمعها تسمى بذلك ويقال لملكها توران شاه . معجم البلدان (٢ /٥٧) .

[3] - دائرة المعارف العربية (١٠٣/٦)

[4] - الإتحاديين هم أعضاء جمعية أسسها اليهود عام ١٨٨٩م تسمى جمعية الاتحاد والترقي حيث أصبحت فيما بعد الهيئة الحاكمة الفعلية في السلطنة العثمانية، وهي التي عملت على عزل السلطان عبد الحميد وعن طريقها تمت الموافقة على بيع الأراضي الفلسطينية .انظر: انهيار الدولة العثمانية (خلع السلطان عبدالحميد) . (٢٠٢/١) .

[5] - الخلافة : الشيخ محمد رشيد رضا الخلافة (١٥٣/١)، الزهراء للإعلام العربي- مصر ، القاهرة.

[6] - مملكة البجة تقع بين النيل والبحر ولهم عدة ممالك في كل بلد ملك منفرد . انظر : تاريخ اليعقوبي (١/ ١٩٢) .

[7] - دائرة المعارف العربية (١٧٤/١٠) .

[8] - سورة النساء آية ١.

فالآية السابقة تنص على أن هناك رحمٌ يجب وصلها بين بني الإنسان ، شرقيهم وغــربيهم "[1].
وهذه الرحم تتجاوز حدود اللغة والأعراق فكلنا من آدم وآدم من تراب .
الحقيقة الثانية : تجاهل أحداث التأريخ التي تجلت في كون العرب لم ينعموا بوحدة جامعة لهم إلا في ظل الإسلام، حيث " كانت الجاهلية مبنية على العصبية متعاملة بينها بالحمية فلما جــاء الإسلام بالحق وأظهر الله منته على الخلق قال الله سبحانه ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[2] ، وقال لنبيه ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[3] ، فكانت بركة النبي ﷺ تجمعهم وتجمع شملهم وتصلح قلوبهم وتمحــو ضــغائنهم " [4] .
ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .
الحقيقة الثالثة : " لم تجلب القوميات الناشئة في أوروبا على أي أساس قامت لغوية كانــت أو عرقية إلا الخراب والدمار على شعوب أوروبا ، حيث كانت الحربين العالميتين الأولى والثانية في القرن الماضي إحدى نتائج تلك النعرات الجاهلية "[5]، فلماذا نتلقف نحن العرب ما مجته تلك الشعوب ؟!
ثانياً : دعا البستاني إلى فكرة القومية من خلال حديثه عن النزعات العرقية والأصول القومية لبعض الشخصيات والشعوب انظر المواد التالية:
جاء في (مادة : ابن مسجِحْ) قوله : " هو أبو عثمان سعيد بن مسحج مولى بني جمح مكــيّ أسود مغن متقدم من فحول المغنيين "[6]، كذا في كتاب الأغاني[7].
وجاء في (مادة : إبراهيم الدكدكجي [1]) قوله: " هو ابن محمد بن إبراهيم بن محمد المعــروف بالدكدكجي الحنفي التركماني الأصل .. "[2]

---

[1] - انظر الوحدة الإسلامية : محمد أبو زهرة ص٩ ، دار الفكر العربي – القاهرة .
[2] - سورة آل عمران آية ١٠٣.
[3] - سورة الأنفال آية ٦٣.
[4] - العواصم من القواصم (٢٥٧/١) .
[5] - انظر : تاريخ أوروبا : د/ شوقي الجمل ، ود/ عبد الله عبد الرزاق ص ١٧٦ وما بعدها ، الناشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة – ٢٠٠٠م .
[6] - دائرة المعارف العربية (٦٨٨/١) .
[7] - الأغاني (٢٧٣/٣) .

وجاء في (مادة : إبراهيم الخليل ﷺ) قوله : " هو جد العبرانيين والعرب المستعربة من ابن إسماعيل عليه السلام وغيرهما من الأمم القديمة "[3].

وجاء في (مادة : أبو العباس بن الرفاعي) قوله : " هو أحمد بن أبي الحسين علي بن أبي العباس أحمد بن الرفاعي ، كان رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب أصله من العرب [4].."[5]

وجاء في (مادة : أرنأوط [6]) قوله : " اسم يطلقه الأتراك على قوم من سكان ألبانيا ولعله تحريف عن ارغونوط توهماً من الأتراك أنهم من أصل أرنوطي ، وقد اختلف العلماء كثيراً في تأصيلهم .. "[7]

وجاء قي (مادة : بشر) : " ويحاول الأنثربولوجي[8] أن يقرر النسبة الواقعة بين أجناس الإنسان المختلفة لكي يقسم أجناس البشر إلى رتب ممتازة "[9].

وجاء في (مادة : دولة) قوله في تصنيف طبقات العرب " الطبقة الأولى العرب العاربة وهم أول أجيال العرب وتعرف بالبائدة لأنه لم يبق لهم أثر .... والطبقة الثانية العرب المستعربة من بني إسماعيل الناطقين بالعربية..... والطبقة الثالثة وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر[10]..... وكان لعدنان دولة بمكة في قريش إلى أن ظهر الإسلام وكسرت دولتهم بعده

---

[1] - محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ولد بدمشق سنة ١٠٨٠هـ ويعرف بالدكدكجي الحنفي وتوفي سنة ١١٣١ إحدى وثلاثين ومائة وألف صنف تراجم رجال السلسلة الشاذلية تهويل الأمر على شارب الخمر ديوان خطب ديوان شعر. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٦ / ٣١٥) .

[2] - دائرة المعارف العربية (٢٤٧/١) .

[3] - دائرة المعارف العربية (٢٤٤/١) .

[4] -هذه الترجمة وجدتها في كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١٧١/١) .

[5] - دائرة المعارف العربية (٢١٤/٢) .

[6] - الأرنأوط هم سكان ألبانيا . تاريخ الدولة العلية العثمانية (١٥٥/١) .

[7] - دائرة المعارف العربية (٢٤١/٣) .

[8] - أنثروبولوجيا (Anthorologie(F) Anthropology(E دراسة الجماعات البشرية الفطرية أو التي لا تزال أقرب إلى الفطرة، من حيث الأنثروبولوجيا الفيزيقية، أو من حيث كونها كائنات ذات عقل وثقافة، وهذه هي الأنثروبولوجيا الثقافية. المعجم الفلسفي ص ٢٤ .

[9] - دائرة المعارف العربية (٤٢٦/٥) .

[10] - هما الشعبان العظيمان من أصل قضاعة وقحطان وعدنان . تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٩) .

واختلطت بهم دول أجنبية ، والطبقة الرابعة من العرب المستعجمة وكانت لهم دول بـــالمغرب والمشرق .. "[1].

وجاء في (مادة : زنج) [2] قوله : " الزِنج والزَنج جيل من السودان قيل أنهــم هــم والنوبـــة[3] والحبشة من بقية ولد حام بن نوح وهم حالكوا السواد يسكنون سواحل إفريقية الشرقية "[4].

وجاء في (مادة : سندويج) قوله: " وأهل سندويج فــرع مــن الأمـــة البُلينيـــة الـــسمراء، والسندويجيون سمر صفر بلون الزيتون فلا حمرة في وجوههم وشعورهم سوداء لامعة ..."[5].

رداً على ما ذكره البستاني في المواد السابقة التي أظهر فيها مدى تشربه لفكرة القومية فإنـــه لابد من إظهار مثالب هذه الدعوة الباطلة التي يراد لها أن تستشري في جسد الأمـــة، إذ مـــن جوانب خطورتها وخطأها ما يلي:

الخطأ الأول: " إن الدعوة إلى القومية العربية تفرق المسلمين وتفصل المسلم العجمـــي عـــن أخيه العربي، وبالتالي تفصل العرب عن إسلامهم الذي هو مجدهم الأكبـــر، ومـــصدر عـــزهم وسيادتهم على العالم."[6]

الخطأ الثاني : أنها تدعوا إلى الجاهلية التي نهى عنها الإسلام "[7]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جـــنس أو مـــذهب أو طريق فهو من عزاء الجاهلية "[8].

---

[1] - دائرة المعارف العربية (١٥٦/٨) .

[2] - ولد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وحام أبو الزنج ويافث أبو الروم . تاريخ الطبري (١٢٩/١).

[3] - بلاد النوبة وهي على شاطئ النيل من الجانب الغربي . معجم البلدان (١٨٩/١) .

[4] - دائرة المعارف العربية (٢٥٨/٩) .

[5] - دائرة المعارف العربية (١١٩/١٠) .

[6] - انظر: نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع : للشيخ عبد العزيز بن باز ص١٣ المكتب الإسلامي ، بيروت ،ط٣_ ١٣٩٩م.

[7] - المصدر السابق ص٢١.

[8] - كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٨/٢٨) .

وكم كان المصطفى ﷺ يغرس في نفوس الصحابة ﷺ مقت هذه الـدعاوى الجاهليـة، ففي مسند أحمد من حديث أبي مالك الأشعري ، أن النبي ﷺ قال : " فمن خرج مـن الجماعـة قيد شبر فقد خلع رقبة الإسلام من رأسه ، ومن دعا دعوى الجاهلية فهو جثاء جهـنم ، قـال رجل يا رسول الله وإن صام وصلى ، قال : نعم وإن صام وصلى ... "[1].

الخطأ الثالث :" أن الدعوة إلى القومية إنما هي دعوة إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم مـن غير المسلمين، واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على القوميين من المسلمين وغيرهم، معلوم ما في هذا من الفساد والكبر والمخالفة لنصوص القرآن والسنة، قال تعالى : ({ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ { ٥١ } فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ)[2]."[3]

الخطأ الرابع : " من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولابد إلى رفض حكم القرآن، لأن القـوميين غيـر المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن ، فيوجب ذلك أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن ، وهذا من الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة "[4] ، كما قال تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)[5].

ثالثاً : البستاني والحركة القومية في الوطن العربي :

يفاخر البستاني بالحضارة العربية ويؤمن بعروبة جميـع النـاطقين باللغـة العربيـة مسلمين ومسيحيين ، " وكثيراً ما كان يتكلم باعتزاز عن دمه العربي مع أنه كان دائماً يعتبـر نفسه من الرعايا العثمانيين في تبعيته للدولة.

نادى البستاني في ذلك الوقت المبكر بالوحدة الوطنية وكتب كثيراً عن أهميتها وأهمية الشعور الوطني ، ووضع شعاراً لمجلة (الجنان) : حب الوطن من الإيمان ، وطالب بالمـساواة

[1] - مسند أحمد . حديث أبي مالك الأشعري (٣٤٤/٥) . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح .
[2] - سورة المائدة آية (٥١-٥٢).
[3] - انظر : نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع : للشيخ عبد العزيز بن باز، ص٣٤ .
[4] - انظر : المصدر السابق ص (٣٩- ٤١) .
[5] - سورة النساء آية ٦٥.

بين الأديان ، وفصل الدين عن الدولة أي فصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية ، وتبنـــى التربية (التعليم) العربية ونادى بالالتزام باللغة العربية ..... وافتتح مدرسة سماها (المدرســـة الوطنية) عام ١٨٦٣م ، أسسها على أسس قومية لا طائفية ، وجعل منها منهاجاً حديثاً يعتمد العلوم الحديثة وإحياء التراث العربي واللغة العربية " [١].

كما كان له مؤلفات تعنى بالثقافة والآداب العربية كجزء من شعوره بانتمائه للعروبة ، وكمثال على ذلك كتابه الموسوم بـــ (أدباء العرب في الأعصر العباسية) الذي قال في مقدمتـــه متحدثاً عن محتوى مؤلفه :" يشتمل على خـــصائص آداب العباســـيين وعلـــومهم وميـــزات شعرائهم وكتابهم .. لأن هذا العصر ، عصر حضارة العرب " [٢]

وكتابه الآخر (معارك العرب) : الذي قال في مقدمته متحدثاً عن فكرة الكتاب : " إنمـــا أخـــذنا أنفسنا بأبحاث فرعية تلامس أشهر المعارك التي نشبت بين الدول العربية والدول العجمية منذ صدور الإسلام إلى أن زالت كلمة الضاد بانتقال الخلافة إلى بني عثمان .."[٣].

نتيجة :

١ - يفرض البستاني من خلال المواد السابقة واقعاً جديداً على الأمة يقوم على ضـــرورة الالتفاف نحو اللغة والعرق الجامع للعرب.

٢ - يستعيض البستاني عن أخوة الإسلام التي قامت عليها مجتمعاتنا بأخوة اللغة كمحاكاة للتوجهات الفكرية الغربية.

٣ - دعا البستاني إلى فكرة القومية من خلال حديثه عن الأعراق والأصول القومية لبعض الشخصيات والشعوب.

٤ - أسهم البستاني في تقويض كيان الدولة العثمانية بمناداته لفكرة لقومية العربية مـــن خلال آثاره وإنتاجه الفكري.

---

[١] - انظر العرب النصارى عرض تاريخي : حسين العودات ، ص١٩٣ - ١٩٥ .

[٢] - أدباء العرب في الأعصر العباسية (حيلتهم ، آثارهم ، نقد آثارهم) : بطرس البستاني (المقدمة) دار مارون عبود ، ١٩٧٩م .

[٣] - معارك العرب في الشرق والغرب : بطرس البستاني ، ص٤ ، دار مارون عبود ، ١٩٨٧م .

٢ـ دعوته للعلمانية :

كان من نتائج صراع المجتمع الأوروبي مع الكنيسة في قرونها الوسطى استحداث فكرة العلمانية، وقد يفترض البعض أنها كانت الحل الأمثل الذي أخمد حدة ذلك الصراع، وإذا ما أردنا البحث عن أصل هذه الفكرة فربما تعود إلى الفيلسوف الهولندي باروخ إسبيتوزا[١] أحد أهم فلاسفة القرن السابع عشر وهو من أصل يهودي ، حيث دعا في كتابه (اللاهوت والسياسة) إلى أن السبيل الوحيد لتحقيق المزيد من الحريات " يكمن في فصل مجالي الإيمان والعقل وكذلك السياسة واللاهوت"[٢]، حيث يعتقد بأن نظام الحكم الإلهي " لا يصلح في الظروف الإنسانية الحاضرة ... نظراً لخلطة بين الدين والدولة أو بين السلطات الدينية والسلطات السياسية "[٣] غير أن الفكرة ذاتها مورست في بلاد المسلمين كحل يراه أرباب التغريب المخرج من حالة الانهزامية التي تمر بها الأمة ، ولا شك أنها شكلت الخطر الأكبر الذي استشرى في جسدها وقوض كيانها الموحد ، وكان أهم عامل ساعد على فشو هذا التيار الضال هو تظافر جهود أعداء الإسلام من الداخل والخارج ، في وقت أضحت فيه دولة الإسلام تعاني من ويلات التمزق وتتناوشها الأمم من كل صوب، وفي لمحة موجزة حول العلمانية كفكرة ومنهج يمكن القول :

١ - أن العلمانية كما يراها مفكرو الغرب هي " عملية تحول ما هو في الأصل معتقدات مسيحية إلى مفاهيم دنيوية عن البشر والعلم "[٤]، أو بتعبير آخر" فصل الدين عن الحياة، أو إقامة الحياة على غير الدين سواءُ بالنسبة للأمة أو للفرد "[١]

---

[١] - فيلسوف يهودي هولندي (١٦٣٢م- ١٦٧٧م) ولد في أمستردام وتربى تربية دينية ثم تفرغ للفلسفة، تعرف على أحد البروستانت فأخذ عليه فكرة وحدة الوجود وقد بدا سيبوزا ينشر آراءه رغم معارضة اليهود له حتى ذاع صيته، وكان يدعو إلى الحرية الإنسانية ويرى أنها الفضيلة الحقة وأنها هي الدين الطبيعي مات صغيراً بمرض السل. قاموس الفلاسفة ص ٦٤.

[٢] - انظر رسالة اللاهوت والسياسة : إسسبيتوزا : ترجمة : د/ حسن حسني ص٨٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت ط ١ ، ٢٠٠٥م .

[٣] - المصدر السابق ص ٩٦ .

[٤] - مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا (شهادة ألمانية) : القس د/ جوتفرايد كونزلن ، تقديم وتعليق ، د/ محمد عمارة ، ص ٢٢ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٩٩م .

٢ - أنها " لون من ألوان الغزو الفكري، لأنه فكر غربي لم ينبت قط في أرض الإسلام، على كثرة ما نبت فيها من انحرافات خلال القرون ! إنما جاء من تأثير الثقافة الغربية وغلبة أوروبا على العالم كله، وعلى العالم الإسلامي في عصر ضعفه وانحساره وتخاذله "[٢].

٣ - " أن العلمانية تناصب العداء للدين، أعني للإسلام الذي أنزله الله نظاماً شاملاً للحياة، كما أن الإسلام يناصبها العداء أيضاً لأنها تنازعه سلطانه الشرعي في قيادة سفينة المجتمع " [٣].

٤ - أن أرباب هذا الفكر يزعمون أن الدين يحارب العلم وأنهما ضدان لا يجتمعان، ويطبقون هذه النظرية في واقع المسلمين على غرار التنازع الذي حصل في حقبة مضت من تاريخ أوروبا بين رجال الكنيسة الذين يمثلون الدين وبين العلماء " [٤].

---

[١] - انظر العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة : د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، ص ٢٤ ، ط١ ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م .

[٢] - العلمانيون والإسلام: محمد قطب، ص ٣١ ، دار الشروق - بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

[٣] - الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه : د/ يوسف القرضاوي ، ص٧٥ ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

[٤] - انظر : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ص ٣٤٧ .

ملامح من دعوة البستاني لهذا التيار المنحرف من خلال دائرة المعارف :

أولاً: التحقير من شأن المدارس الدينية بدعوى معارضتها للتمدن والمدنية واختلاق مفاسد أخرى مزعومة:

- جاء في (مادة : تربية) قوله واصفا تربية الأبناء خارج نطاق المدارس الدينية " ولذلك نرى أن البلدان المتمدنة التي جعلت الدين في المدارس من حقوق الحكومة ورفعتها من يد خدمة الدين، وبذلك يتخلص الولد من التعصب الذي من شأن بعض المدارس الدينية المحضة أن تغرسه في عقله بحيث يصير غير قادر على أن يكون عضواً متصفاً بالصفات التي تقتضيها حالته بالنظر إلى تعلقه مع غيره من أبناء جنسه، ويتخلص من ورطه التهور في الكفر والضلال وفساد الآداب التي يتلقاها في بعض المدارس الدينية المحضة ... " [1]

- وجاء في (مادة : تعليم) قوله متحدثاً عن واقع في بلاد المشرق : " وأما في الشرق فإن التعليم وطرقه لم تزل في حالة الطفولية .. والتعليم عموماً في يد خدمة الدين وطريقة الابتدائي منه قاصرة من عدة أوجه أخصها أمران ، أحدهما الكتب التي تستخدم لتعليم الأصاغر ، فإنها على الأكثر دينية عويصة لا يفهمها المتعلم ولا يستفيد منها من مواد اللغة إلا ما لا يكون عظيم الجدوى في المعاملات التي يقتضيها حاله كعضو من الهيئة الاجتماعية ، وكان الغرض من اتخاذ هذه الطريقة إنما هو سد أبواب المعرفة عن عقل التلميذ والقبض على مفاتيحها ، والحال أنه كان يلزم أن تكون الكتب المستعملة للأصاغر من أبسط الكتب وأقربها تناولاً " [2].

يرى البستاني من خلال مادتي (تربية) و(تعليم) وجوب محاصرة مد المدارس الدينية في الوطن العربي بوصفها تزرع في نفوس الأجيال الكفر والضلال وفساد الآداب، علاوة على أنها تسد أبواب المعرفة عن عقول التلاميذ وتجعله في عزلة عن تطورات العصر، وبقراءة ما وراء الأسطر نجد البستاني يرمي إلى إفساد التعليم في بلاد المسلمين بالدعوة إلى ما يسمى بالتعليم اللاديني الذي زحف بتأثير التوجيه الغربي إلى بلاد المسلمين فيما بعد " فحين نادت تركيا بالعلمانية أمسى التعليم فيها علمانياً وفق المنهج الذي انتهى إليه الغر ب. وقاس أبناء المسلمين العلمانيون الدين الإسلامي الحق الذي لم يدخله تحريف ولا تبديل، ولا يتناقض مع

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٨٧/٦) .

[2] - دائرة المعارف العربية (١٦٧/٦) .

أية حقيقة علميّة –على النصرانية المحرفة – بغية عزل الدين الإسلامي في المرحلة الأولـــى، وحصره في دوائر ضيقة بعيدة عن الدولة وشؤون المعاش ونظم الحياة ، ولتفتقــر العلمانيـــة بعد هذه المرحلة إلى نقض عقائد الإيمان الإسلامي كلها ، ونقض المفاهيم الدينيـــة الأخـــرى، ونشر الإلحاد والانطلاق اللاديني داخل الشعوب الإسلامية .وأدخلت الدول الاســـتعمارية هـــذا النوع من التعليم في كثير من بلاد المسلمين الأخرى ، وكان ذلك أولاً عن طريـــق المـــدارس الأجنبية التي تنادي بالعلمانية ، المتسترة بالحيادية تجاه الدين ، ثم كان عن طريـــق توجيـــه الدول الاستعمارية لسياسة التعليم ومناهجه في البلاد الإسلامية التـــي تمكنـــت هـــذه الـــدول الاستعمارية من السيطرة عليها، وتوجيه الحركة التعليمية فيها "[1].

ثانياً : رغبته في إقصاء الدين واعتقاد عدم أهليته لقيادة الأمة نحو التمدن يتضح ذلـــك مـــن قوله:

فيما جاء في (مادة : تمدن) : " الدين ليس هو التمدن ، لأن شعوباً كثيرة قـــد تـــذهب مـــذهباً واحداً وتختلف في سائر الأحوال تقريباً ، ولكن إن لم يكن هو التمدن فهو مبدأ التمدن "[2].

هكذا يرى البستاني علاقة الدين بالتمدن، وإذا ما نظرنا إلى تشريعات الإسلام و مبادئه المنادية بالمدنية فإنا نقطع بأن نظرة البستاني مجحفة وقاعدته مضطربة، ولإثبات نقيض مـــا ذهب إليه ، فلنأخذ مسالة الاجتهاد في الإسلام على سبيل المثال فهو " أقوى دليل على أن ديننا الحنيف هو الدين الشامل الخالد الوحيد الذي يساير ركب الحضارة الإنـــسانية عبـــر العـــصور والأجيال ويرحب بكل التغيرات الطارئة والمشاكل الناجمة من تجدد الظروف والمصالح علـــى اختلاف المجتمعات الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها ويعرض لها حلولاً مناســـبة علـــى ضوء الكتاب والسنة "[3].

---

[1] - غزو في الصميم : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص١٩٨، دار القلم – دمشق ، ط ٣، ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م .

[2] - دائرة المعارف العربية (٢١٣/٦) .

[3] - إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد : محمد بن إسماعيل الصنعاني، (١٠/١) الدار السلفية – الكويت ، ١٤٠٥هـــ ، ط١ ، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد .

وبناءً عليه فليس لدين كالإسلام نقطة يقف عندها كي تتجاوزه المدنية غير عابئة بـــه لكونه لم يعد يواكب تغيراتها ، ثم إن القرآن الكريم كذّب هذه الدعوى بقوله سبحانه :(إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)[1].

ثالثاً : إظهار الدين في موقف المعارض للعلوم وتطورها وجموده حيال مستجدات العصر :

حيث جاء في (مادة : تشريح) قوله : " وفي القرون المتوسـطة أهمــل النــصارى العلــوم الطبيعية فرفع العرب منارها ، غير أن أئمة الدين كانوا ينكــرون علــيهم تــشريح الأجــسام البشرية ، فالتزم أطباؤهم أن يعتمدوا على المعارف التي وصلتهم من مدرسة الإسكندرية وإلى تآليف جالينوس[2] .. وفي القرن الرابع عـشر بزغــت أنــوار الحريــة الدينيــة ودار دولاب المشروعات التجارية فانتعشت العلوم والفنون في إيطاليا .. "[3]

ربما تحدث البستاني عن حالة الركود التي حلت بالعالم الإسلامي في قرونه المتــأخرة وإلا فالتاريخ خير شاهد على حفاوة الإسلام بالعلوم الطبيعية ، فلقد حقق المسلمون في عصور الازدهار " تحولاً جذرياً على المستوى الفكري، ولم يتبعهم الغرب في ذلــك بــسبب التنــاقض الحاد بين تعاليم الكنيسة والمنطق العلمي، حيث أنهم ألفوا في نطاق الوحدة العقيدية التي تميز بها الإسلام بين علوم الدين وعلوم الطبيعة، وبين عالم الغيب وعالم الشهادة ، ويتجسد ذلــك التأليف في شخصية العلماء المسلمين أنفسهم، حيث أنهم كانوا في أغلبيتهم الكبرى يجمعــون بين علوم القرآن والفقه والتخصصات الأخرى "[4].

ومما يزيد الأمر جلاءً " أن أهل العلم من سلف هذه الأمة كانوا يستأنسون في تفــسير الآي وأحاديث المصطفى ﷺ بما ذكره علماء التشريح في تشكيل أعضاء الجــسم الداخليــة "[5] ونحو ذلك مما يدل دلالة واضحة على براءة أئمة الإسلام من هذه الفرية، ولا تعــدوا القــضية عن كونها محاولة من البستاني للتقعيد لضرورة الفصل بين الدين والعلم.

---

[1] - سورة الإسراء آية ٩.

[2] - جالينوس الحكيم الفليسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة. انظر: أخبار العلماء بأخيار الحكماء (٥٥/١).

[3] - دائرة المعارف العربية (١٢٤/٦) .

[4] - العلم والدين منهاج ومفاهيم : د/ أحمد عروة ، ص١٦٧ ، دار الفكر – دمشق – سوريا ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

[5] - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٤٠/٩) .

* ملامح من دعوة البستاني لهذا التيار المنحرف من خلال إنتاجه العلمي والثقافي:

أولاً : المدرسة الوطنية ونشأة الفكر العلماني في العالم الإسلامي :

" تعد المدرسة الوطنية التي أنشأها البستاني من أولى الخطوات نحو علمنة الأمة ،وقد جاء في دائرة المعارف العربية قوله: أن هذه المدرسة قامت على " قاعدة الحرية الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية تؤلف القلوب بين متغايري الأديان متبايني المذاهب ، وتذيع المبادئ الوطنية على صدقٍ في جانب الدولة ، وإخلاص في جانب الوطن "[1]

ثانياً : معاجم البستاني ومصطلح العلمانية :

لم يكن لمصطلح العلمانية أثر في المعاجم العربية القديمة إلى أن ألف البستاني معجميه المشهورين محيط المحيط ومختصره قطر المحيط ، وفيهما أدخل لفظة علماني كجزء من مشروعه نحو تغريب الأمة ونشر المفاهيم والمذاهب الهدامة في أوساطها ، حيث جاء في بيانه لهذا المصطلح (العَلْمَاني) قوله هو : " العامي الذي ليس بإكليركي[2] " [3]

وبالملاحظة لما ذكره البستاني حول معنى هذا المصطلح نجد أنه " لم يضبط لفظة علمانيون في مادة (ك ل ي) ولكن في مادة (ع ل م)قال : العلم (بفتح فسكون) مصدر العالم والعالم (بفتح اللام) ومنه (العلماني) بفتح فسكون للعامي الذي ليس بإكليركي "[4]

وهكذا نرى مدى قناعة البستاني بمعارضة الدين للعلم بدليل نسبة العَلْمَاني إلى العِلم ، والصحيح نسبته إلى العَالَم (بمعنى الدنيا) أو العالمية **secularism** ،وإن كانت نسبته على غير قياس لأنها جاءت بزيادة الألف والنون "[5]

وعلى النقيض من هذا الرأي فقد "أجمع الباحثون في اللغات الأجنبية والأوروبية وكذا الشرقية على أن ما يقابل العلمانية في اللغات لا صلة له بالعلم (بكسر العين) البتة أوالدين"[1] .

---

[1] - دائرة المعارف العربية (٥٩١/٧) .

[2] - (كليركي) : الكليرس أو الإكليرس : جماعة مفرزون ومكرسون لخدمة الله في الكنيسة المسيحية كالأساقفة وغيرهم ، ويقابلهم العلمانيون يونانيتها كليرس ، ومعناها قرعة كانوا في القديم ينتخبون بالقرعة الواحد اكليركي، انظر محيط المحيط .

[3] - قطر المحيط : بطرس البستاني (مادة : علم) ص١٤٣١.

[4] - جذور العلمانية ، الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨م : د/ السيد أحمد فرج ، ص ١٥٤ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ، ط ٤ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

[5] - القومية والعلمانية مدخل علمي ، ص ١١٨ .

مما سبق نلحظ مدى تشوف البستاني لغلغلت هذا المذهب الضال بين صفوف المسلمين وهاهي المجتمعات الإسلامية اليوم قد اعتراها من شوائب هذه المذاهب الضالة ما اعتراها مع عزوف على المستوى الأفراد والجماعات عن الرغبة في العودة إلى معينها الصافي، وتبقى الآمال معقودة في المصلحين من أبناء هذه الأمة الذين أخذوا على عواتقهم حمل راية الإسلام والذب عن شريعته والوقوف ضد الدعوات التي تستهدف النيل من أمتنا وإفساد مجتمعاتنا.

نتيجة :

- عمل البستاني على تبني الفكرة العلمانية وبث بذورها في البلاد الإسلامية بعدة أمور:

أولها : تأكيده على أن لا سبيل للحاق بركب الأمم المتحضر إلا بمجافاة الدين لكونه حرب على العلم بدليل فصله بينهما عند تعريفه للفظة العلمانية في معجميه .

ثانياً: حارب البستاني التعليم الديني في بلاد المسلمين باعتباره يعيد المجتمع إلى الوراء ولا يحقق شيئا من مكاسب الحضارة .

ثالثاً: أخذ التعليم اللاديني خطواته الأولى في بلاد المسلمين من خلال إنشاء المدرسة الوطنية التي أقامها على أساس التجمع الوطني لا العقدي .

رابعاً: لم يتبع البستاني الحيادية التي وعد الالتزام بها أثناء عرضه للمذاهب الهدامة السالف ذكرها ، بل أثنى على كثير من جهود فلاسفتها وأعطى قضاياهم طابع العقلانية والبسها لبوس الحق .

خامساً : يعتبر البستاني رائداً في مجال تجديد المعاجم اللغوية وإضافة العديد من المفردات المستحدثة التي راجت برواج التوجهات الفكرية الغربية في البلاد العربية .

سادساً: جل أعمال البستاني وجهوده تتركز حول خدمة قضاياه التغريبية وترويج المذاهب الهدامة في العالم العربي .

سابعاً: لم تختلف نظرة البستاني بين ديانة وأخرى ، بل كلها خاضعة لأطروحاته وتوجهاته الفكرية مهمشاً طابع القداسة لأي دين .

---

[1] - جذور العلمانية : ص ٦ .

ثامناً: يبدو شغف البستاني بكل ما هو غربي جلياً في كتاباته ونقولاته، بحيث يــصور لنـــا أن الحكمة ضالة العرب ولن يجدوها إلا في محاكاة الرجل الأوروبي .

خلاصة ما جاء في الفصلين السابقين :

- فندت الدراسة في الفصلين الماضيين ما حوته دائرة البستاني من أضاليل وشبهات فكان المستخلص ما يلي :

أولاً: لقد خلف البستاني إرث فكرياً يشهد بأنه ساهم في وضع البذور الأولى لشبهات التغريب تلميحاً أو تصريحاً، حيث تعتبر موسوعته دائرة المعارف العربية خير شاهد على ذلك وقد أوردت منها مواد تبين للقارئ ما أشرت إليه فمن القضايا التغريبية التي اعتمد فيها أسلوب التلميح. على سبيل المثال ما جاء في عرضه للنظريات الهدامة والمذاهب المنحرفة كنظريتي فرويد[١] وداروين [٢] التين تعدان من أخطر النظريات التي غزت المجتمعات، ومما ورد صريحاً في دائرته من تلك الشبهات دعوته المباشرة للفكرة العلمانية[٣] وإقامة الوطن القومي[٤] عوضاً عن الدولة والنظام الإسلامي الذي بدأ يتهالك في ذلك الوقت وفق عمل مسيس من قبل أعداء الخارج والمتآمرين عليه من الداخل .

ثانياً: تأثر كثيرون من مفكري العرب بتوجهات البستاني، وظهرت بجلاء ثمرة بذوره في واقع الحياة الفكرية العربية، حيث لم يتوقف مخطط التغريب بعد رحيل البستاني بل جاء بعده من يحمل اللواء الذي حمله ويخطو بخطاه كقاسم أمين[٥] في قضية تحرير المرأة وهدى شعراوي[٦] التي احتضنتها دوائر الماسونية والتغريب واليهودية العالمية وكذلك سعد زغلول[٧] ودرية

---

[١] - انظر: الفصل الثاني ص١٥٢ .

[٢] - انظر: الفصل الثاني ص ١٩٤ .

[٣] - انظر: الفصل الثاني ص ٢٢٦ .

[٤] - انظر: الفصل الثاني ص٢٢٤ .

[٥] - قاسم بك أمين(المولود سنة ١٨٦٥م والمتوفى في ١٩٠٨ م) وهو في عز كهولته. درس على نفقة حكومة مصر في فرنسة وعاش زمنا بين أهلها ورأى واقع المرأة الفرنسوية في وطنها . فلما عاد إلى مصر بعد درسه الحقوق ترقى في كل دوائر الشرع. ثم خص نفسه بتحرير المرأة . أنظر :تاريخ الآداب العربية . رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو(١٨٣/١) .

[٦] - امرأة وجيهة ثرية ولدت بمصر سنة ١٢٩٦هـ تزوجها على الشعراوي وخلف لها ثروة ضخمة ١٩٢٢م، وترأست الحركة النسائية في عصرها فألفت جمعية الاتحاد النسائي.وكانت أول خطوات السفور العملية حينما قام سعد زغلول بنزع حجابها أمام الملأ، فاتبعها النساء بعد ذلك، توفيت بالقاهرة عام ١٣٦٧هـ . أنظر : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : عمر رضا كحالة (٢٠٧/٥) و الموسوعة الميسرة (١/ ٣٧٤) .

[٧] - سعد (باشا) بن إبراهيم زغلول: (١٢٧٣ - ١٣٤٦ هـ = ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م) زعيم نهضة مصر السياسية. وأكبر خطبائها في عصره . تولى وزارة المعارف، فوزارة (الحقانية) فوكالة رياسة الجمعية التشريعية. وانتخب سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩

شفيق[1]، وهما أيضاً من دعاة تحرر المرأة وساطع الحصري[2] فيلسوف القومية العربية، وكذلك الدكتور طه حسين[3] عراب حركة التغريب ومحو الهوية الإسلامية ... ، وفي الساحة اليوم ما لا يحصى عدداً من تلك الفئات التي خانت الأمة وأذعنت للتبعية الغربية وأخذت على عاتقها إكمال مسيرة الانحطاط الفكري والأخلاقي والديني على جميع الأصعدة، فمنهم صحفيون ومنهم إعلاميون ومثقفون وأدباء أسهموا ولا يزالون في التأثير على واقع الحياة الفكرية في الوطن العربي من خلال نهجٍ إعلاميٍ مسيّس يخدم تلك الأفكار المستوردة ويعمل على مسخ الأجيال القادمة وإقحامها في كهف العلمانية المظلم وأختها اللبرالية[4] البغيضة التي أصبحت عقيدة وشعاراً يفاخر بعض أبناء المسلمين بحمله ومناصرته .

ثالثاً: إن ما أثاره البستاني حول الدين من شبهات يمكن اعتباره منطلقاً لمعاداة الدين ومظاهر التدين التي هي من أبرز سمات المجتمع المعاصر، فباسم التقدم يتهم الإسلام بالرجعية وباسم الحرية يتهم بالجمود والتشدد، وباسم السلم والسلام يتهم بالإرهاب والتخريب. وهو من كل

م رئيسا للوفد المصري، للمطالبة بالاستقلال، فنفاه الانجليز إلى مالطة (في ٨ مارس ١٩١٩) فأصبح اسمه رمزا للنهضة القومية. وعاد من المنفى. وتولى رياسة مجلس الوزراء (سنة ١٩٢٤م) ورياسة مجلس النواب سنة ١٩٢٥ م و ١٩٢٦ م وتوفي بالقاهرة .وقد كان يدعو النساء اللاواتي يستمعن لخطبه إلى نزع الحجاب ثم تجرأ وباشر ذلك العمل بنفسه مع هدى شعراوى. أنظر : الأعلام للزركلي (٣ / ٨٣) ، الموسوعة الميسرة (١/ ٣٧٤) .

[1] - رحلت وحدها إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراه، ثم إلى إنكلترا، وصورتها وسائل الإعلام الغربية بأنها المرأة التي تدعو إلى التحرر من أغلال الإسلام وتقاليده مثل: الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات. ولما عادت إلى مصر شكلت حزب (بنت النيل) في عام ١٩٤٩م بدعم من السفارة الإنكليزية والسفارة الأمريكية .. وقد قادت درية شفيق العديد من المظاهرات، وأشهرها مظاهرة في عام ١٩ فبراير ١٩٥١م و ١٢ مارس ١٩٥٤م بالتنسيق مع أجهزة عبد الناصر، فقد أضربت النساء في نقابة الصحافيين عن الطعام حتى الموت إذا لم تستجب مطالبهن، وأجيبت مطالبهن ودخلت درية شفيق الانتخابات ولم تنجح. وانتهى دورها، حضرت المؤتمرات الدولية النسائية للمطالبة بحقوق المرأة ــ على حد قولها ــ . أنظر الموسوعة الميسرة ص (٣٧٥/١) .

[2] - يعد ساطع الحصري ١٨٨٠م ــ ١٩٦٨م داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي يقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية ميشيل عفلق. الموسوعة الميسرة ص (١ / ٣٦٨).

[3] - طه حسين (١٨٩٨م- ١٩٧٣م) ولد بإحدى قرى صعيد مصير وفقد بصره صغيراً ، تعلم بالأزهر ثم انتقد طريقتهم في التلقين وأخذ بمناهج الدراسات الغربية حيث سافر إلى فرنسا لإكمال تعليمه فتشرب ثقافتهم ثم عاد إلى مصر، وشغل عدة مناصب منها وزارة المعارف، من أشهر مؤلفاته (في الأدب الجاهلي) ودعا في كتبه المصريين إلى أخذ الحضارة الغربية حلوها ومرها خيرها وشرها وملأها بالتشكيك بالإسلام وإثارة الشبهات فكان بذلك من أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي. أنظر : مشاهير الشعراء والأدباء ص (١٣٤)، والموسوعة الميسرة ص (٢/ ١٢١) .

[4] - هي بمعنى الحرية وتعني بوجه عام حال الكاين الحي الذي لا يخضع لقهر أو غلبة ، ويفعل طبقاً لطبيعته وإرادته . انظر : المعجم الفلسفي . ص (٩١) .

ذلك براء، وكلها شعارات روج لها الغرب وتلقفتها أسماع ضعاف النفوس والعقول من أبناء أمتنا وسرى ذلك في ثقافتهم وممارساتهم .

رابعاً: من خلال ما تيسر جمعه من مواد موسوعة البستاني في هذا البحث يلحظ المتتبع لمنهجه فيها تنوع أسلوبه في الهجمة الفكرية على الإسلام ويمكن إجمال القول في ذلك بما يلي:

أولاً/ اتسم البستاني بالتلون واستغلال الواقع والظرف فجل مشاريعه وإنتاجه الفكري اعتمد في صياغته على الواقع الذي عاشته المنطقة، حيث استغله لبث سمومه الفكرية ودعاياته المضللة باسم إنقاذ الوطن من الهلكة إثر النزاعات الداخلية والضغوط الغربية المتوالية في تلك الحقبة، متوخياً في نفس الأمر الحذر وعدم المواجهة الصريحة، حيث عمل على مداهنة السلاطين و تنحية الشعارات الدينية، والاستعاضة عن خطاب الأمة المسلمة الواحدة بخطاب قومي وشعارات براقة تتضمن النهوض المزعوم بالمجتمع والأخذ بحضارة الغرب باعتبارها السبيل الأوحد لقيام دولة حضارية عريقة.

ثانياً/ اعتماد الشبهات والتلبيس حيث بدا واضحاً تمرس البستاني في هذا الجانب خاصة فيما يتعلق بالفتح الإسلامي وأحكام الشريعة المحمدية كما في مادة (العبرانيين)[1]ومادة (حيوان)[2]ومادة (خاتم)[3]

ثالثاً/ ومن أساليبه التغاضي عن المنهجية العلمية بالتدليس واعتماد الأكاذيب كما في مادة (أبو طالب)[4] ومادة (بحيرا)[5] ومادة (صوم) [6].

رابعاً/ ومنها كذلك اعتماد النقول المبتورة أثناء عرض القضايا وتجسيد الدعوات كما جاء في مادة (أبو بكر)[7] ومادة (طرابلس)[8].

---

[1] - انظر : الفصل الأول ص ٤٩.

[2] -انظر : الفصل الأول ص ١٠٣ .

[3] -انظر : الفصل الأول ص ٨١.

[4] - انظر : الفصل الأول ص ٨٧.

[5] - انظر : الفصل الأول ص ٧٩.

[6] - انظر : الفصل الأول ص١٠٠.

[7] - انظر : الفصل الأول ص ٧٢.

[8] - انظر : الفصل الأول ص ٦٢.

وبعد هذا العرض الموجز لأهم قضايا وشبهات التغريب التي أعتمدها البستاني في موسوعته تجدر الإشارة في هذه الدراسة إلى بعض الصور المشرقة من سير علماء الأمة ومفكريها الذين تصدوا لهذه الموجات الفكرية الهدامة . فقاموا بالمهمة خير قيام وقدموا الكثير من التضحيات وجاهدوا في الله حق جهاده نصرة للحق ووقوفاً في وجه الباطل . (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[1] ، وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم بتوفيق الله تعالى .

[1] - سورة الحج آية ٤٠ .

الفصل الثالث / جهود العلماء والدعاة في التصدي للدور التغريبي لبطرس البستاني

ويشتمل على:

المبحث الأول: جهود العلماء والدعاة المعاصرين له.

المبحث الثاني: جهود العلماء والدعاة في الوقت الحاضر.

المبحث الأول / جهود العلماء والدعاة المعاصرين له :

لم يكن نشوء الحركة التغريبية في العالم الإسلامي ناتج عن عمل عشوائي، بل هي عملية ممنهجة تمت على مراحل، ورسم خطاها الأولى المعلم بطرس البستاني وغيره من نصارى الشام آنذاك، ويكفي أن نذكر أن من أعظم نتائجه تفكك الأمة وسقوط دولة الخلافة، مما أوقد نار الصراع بين أبناء الأمة اليوم، وأحدث النزاعات الفكرية التي يحاول التغريبيون من أبناء الأمة أن يفرضوا من خلالها واقعاً جديداً ينبغي أن تعيشه الأمة بعيداً عن تعاليم الإسلام .

في ظل هذه الظروف العصيبة التي أحاطت بالأمة لم يقف المصلحون من أبنائها مكتوفي الأيدي بل قاموا بواجب مقاومة الباطل ومحاربة الفساد الذي دب في الأمة، فأدوا الأمانة ونصحوا الأمة وجاهدوا في الله حق جهاده، يقول الإمام أحمد رحمه الله مبيناً عظم منزلة علماء الأمة ودعاتها: " الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل عليهم الصلاة والسلام بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم "[١].

وسأذكر في هذا الفصل جملة من أولئك المصلحين الذين عملوا على التصدي لموجات التغريب التي نشأت في القرنين الماضيين وإسهاماتهم في هذا المجال .

- الشيخ مصطفى نجا مفتى بيروت [١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م]-[١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م]:

المولد والنشأة:

ولد مصطفى بن محيي الدين بن محمد بن عبد القادر نجا الفقيه الأديب الناظم ببيروت[٢].

---

[١] - الرد على الزنادقة والجهمية: أحمد بن حنبل الشيباني (٦/١) تحقيق : محمد حسن راشد ، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ .

[٢] - انظر: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية : عمر كحالة (٨٨٦/٣) مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٤١٤،١هـ-١٩٩٣م .

نشأ الشيخ مصطفى نشأة دينية حيث " أخذ في تعلم القرآن العزيز ثم طلب العلم على جماعة من العلماء ذوي مقامات سنية، فاجتهد في الطلب .. ثم توجه إلى مصر بقصد المجاورة في أزهرها الشريف "[1] ليكمل مسيرة طلبه للعلم هناك .

آثاره :

بعد عودة الشيخ رحمه الله من مصر انكب على الطلب مع الجد والاجتهاد حتى " أذن له بالإرشاد في بيروت وترأس لجنة مدرسة ثمرة الإحسان، وجمعية المقاصد الخيرية، واختير فقيهاً للجمهورية اللبنانية "[2] إلى أن توفي عام ١٣٥٠ هـ .

من مؤلفاته : للشيخ مصطفى عدة كتب من أشهرها كتاب " (نصيحة الإيمان في التربية والتعليم) و (أرجوزة في التربية والتعليم) و (تفسير جزء عم) و (إرشاد المريد في التجويد) وله نظم جمع في ديوان "[3].

جهوده في التصدي للتغريب :

عايش الشيخ مصطفى نجا التغيرات التي بدأت تطرأ على المجتمع في لبنان، حيث خيف على النساء المسلمات هناك من محاكاة نساء النصارى اللاتي تأثرن كثيراً بعوامل التفرنج لذا تركزت جهوده حول حمايتهن من ذلك الخطر، فكان من أعماله حيال ذلك :

أولاً :" العناية بمدارس الفتيات والإيعاز إلى الحكومة العثمانية بإنشاء مدارس حكومية للبنات تضم جميع الفتيات المسلمات .

ثانياً / مقاومة رغبات شبان المسلمين الذين تعلموا في المدارس الأوربية والأمريكية وأثر فيهم التفرنج الساعين إلى فرنجة النساء، حيث كان الشيخ مصطفى من أشد المعارضين لتوجهاتهم تلك "[4].

---

[1] - حليه البشر في تاريخ القرن الثالث عشر : عبد الرزاق البيطار(١٥٦٠/٣) دار صادر – بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م

[2] - معجم المؤلفين (٨٨٦/٣) .

[3] - انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي (٢٤٦/٧) ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، ط ١٣_ ١٩٩٨م

[4] - انظر رحلات الإمام رشيد رضا : جمعها محققها د.يوسف إيبش ص ١٨٦، بدر للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٠م

ثالثاً/ ألف الشيخ رسالة يحض فيها النساء على التمسك بالحجاب وأسماها (رسالة في مشروعية الحجاب)[1] .

- العلامة الألوسي [١٢٧٣هـ/١٨٥٧ م]-[١٣٤٢هـ /١٩٢٤م]

المولد والنشأة : ولد "محمود شكري بن عبد الله بن محمود الحسيني الألوسي البغدادي المؤرخ والأديب واللغوي في بغداد" وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، وقرأ كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وتمذهب بمذهب السلف، وأولع المترجم له بالتاريخ والسير واللغة وبرز فيهما، واشتهر بعلمه وحرية فكره .

آثاره : " تصدر الألوسي للتدريس في داره وفي بعض مساجده، وكان له رسائل للمبتدعة ولما احتل البريطانيون بغداد عرضوا عليه قضاءه فاعتذر ولم يل عملاً بعد ذلك غير عضوية مجلس الحكومة العربية في بغداد وبقي بها "[2] .

من مؤلفاته :

بلغت مؤلفات الألوسي ٥٢ مؤلفاً كان من أهمها " كتاب (الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية) و (الحجاب عن الشهاب في حكم الآداب) و(فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب)، كما حقق الألوسي كثيراً من كتب التراث " [3].

جهوده في التصدي للتغريب :

" لقد كان التخاذل والشعور بالهزيمة أمام الغرب هو الجو السائد إبان حكم السلطان عبد المجيد وهي المرحلة التي ولد فيها الألوسي، ولما اتضحت نيات الغرب الاستعمارية استنفر المسلمون لدرء هذا الخطر، ثم بلغت هذه الحركة ذروتها في عهد السلطان عبد الحميد

---

[1] - الخطوة الأولى : سليمان صالح الخراشي، ص ٤٦، دار ابن الأثير، الرياض – ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

[2] - انظر معجم المؤلفين (٣ /٨١٠) .

[3] - المصدر السابق (٣/ ٨١٠).

الثاني، وسرعان ما تحولت هذه اليقظة الوطنية إلى صوفية بالية تنظمها زوايا انتشرت في كثير من الجهات "[1]

لذا اتخذ الألوسي خطاً آخر للمواجهة يرتكز على أمرين مهمين :

الأمر الأول :" محاربة البدع والدعوة إلى المنهج الصحيح الذي عليه سلف الأمة، وهذا ما دعا إليه الألوسي في كثير من مؤلفاته ككتاب المنحة الإلهية ترجمة التحفة الاثني عشرية وكتاب السيوف المشرقة مختصر الصواعق المرسلة و كتاب القول الأنفع في الرد عن زيارة المدفع وهو رسالة في مقاومة بعض مظاهر الوثنية التي راجت عند العوام ..."[2] لكون ذلك المنهج أسلم الطرق لنجاة الأمة .

الأمر الثاني : عدم التعاون مع جحافل الاستعمار التي اجتاحت بلاد المسلمين مبشرة بعهد جديد يحمل كل أنماط التغريب فقد سعى سلطان الاحتلال البريطاني إلى استمالة الألوسي " فأسند إليه منصب قاضي القضاة فرفضه، وقد كان يشبه هذا الحكم بالنار ويشبه أعوانه بالمكواة التي تحمى بها. ومن هنا قاطع أخاه الأكبر حين خالف مشورته فقبل وزارة العدل في عهد الانتداب "[3] .

- الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في عهد الدولة العثمانية

[١٢٧٧هـ /١٨٦٠م] -[١٣٧٣هـ /١٩٥٤م]

المولد والنشأة :

" ولد الشيخ مصطفى صبري عابدين الحنفي التركي الفقيه في توقاد [4]وأكب على طلب العلم في الأناضول إلى أن شب وأصبح يشارك في بعض العلوم " .[5]

---

[1] - انظر : السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب د. إبراهيم السامرائي ص ٨ .

[2] - انظر: السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب . ص ٢٥ .

[3] - المصدر السابق ص ٨ .

٣ - توقاد بلدة في الأناضول . انظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٦/ ٣٢٦) .

[5] - معجم المؤلفين (٣/ ٨٦٨) .

آثاره :

عين الشيخ مصطفى صبري مدرساً في جامع محمد الفاتح باستانبول وهو في الثانية والعشرين من عمره، ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية وقاوم الحركة (الكمالية) [1] بعد الحرب العالمية الأولى وهاجر إلى مصر بأسرته وأولاده سنة١٩٢٢م"[2] ، وكانت وفاته هناك .

من مؤلفاته رحمه الله :

" كتاب (موقف العقل والعلم من رب العالمين) في أربعة أجزاء وكتاب (النكير على منكري النعمة في الدين والخلافة في الأمة) و (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)، وله مؤلفات أخرى بالتركية طبع بعضها "[3] .

جهوده في التصدي للتغريب :

تتحدد مواجهة الشيخ مصطفى صبري رحمه الله لطوفان التغريب في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الدعوة لتصحيح المعتقد وتخليصه من الشوائب التي اعترته نتيجة المتغيرات الحاصلة في واقع الأمة، هذا ما أكده في كتابه (العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين) حيث قال في مقدمته: "وهذا الكتاب الذي وضعته في سنواتي الأخيرة سنوات التوقف في المهجر عن الجهاد السياسي متفرغاً للجهاد العلمي الديني، والذي كتبت فيه ما

---

[1] - هي الحركة التي تزعمها مصطفى كمال أتاتورك وكانت امتداداً لجمعية الاتحاد والترقي التي كان أحد أعضائها، وحين تمكن هذا الرجل من حكم البلاد عمل على إلغاء الخلافة الإسلامية في عام ١٣٤٢ هـ وأقر الدستور الجمهوري المعارض للإسلام، وقام في العام نفسه بإلغاء المحاكم والمدارس الشرعية واستبدلها بأنظمة علمانية، كما ألغى القانون الإسلامي وتبنى قانون الأحوال الشخصية العلماني الخالص، ثم ألغى الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية واستبدلها بأحرف لاتينية فقطع كل صلة للشعب المسلم بماضيه الإسلامي . انظر : انهيار الدولة العثمانية (٢٩٢/١) .

[2] - الأعلام (٢٣٦/٧) .

[3] - انظر المصدر السابق (٧/ ٢٣٦) .

يحتاجه المتعلم المسلم إلى معرفته من المسائل العلمية والفلسفية لتسلم عقيدته، وتصمد أمام تيارات الزيغ العصري "[1]

الأمر الثاني : مقاومة الدعوات الشاذة التي تبناها بعض المنتمين للأمة والمتأثرون بالفكر الغربي فقد هاجم الشيخ مصطفى صبري المتطاولين على الأديان والنبوات المتأولين للمعجزات مضاهاة للمنهج العقلي الغربي باسم إعلاء نظرة العقل فقال في ذلك عن أولئك أنه " سهل عليهم إتباع النفاة الغربيين سواء كانوا نفاة الإله أو نفاة الأنبياء، لأن هؤلاء المقلدين لا يعرفون الإسلام بالمرة ولا يدرسونه ويعرفون من فلسفة الغرب ما وصل إليهم من غير طريقها ومن غير تثبت في اختيار الكتب المؤلفة فيها ومن غير تفرغ وتعمق بعد الاختيار، في درسها .."[2].

الأمر الثالث : واجه الشيخ مصطفى الدعوات المنادية بتطبيق الأنظمة الغربية في بلاد المسلمين كالقانون المسمى بالأحوال الشخصية فألف كتابه "(قولي في المرأة) حيث قارنه بأقوال مقلدة الغرب "[3]، ورد فيه على نظام تقييد تعدد الزوجات وتقييد الطلاق والتساوي في الميراث .... وظل رحمه الله يعزز في مجتمعه هويته الإسلامية فيقول في مسألة المرأة أنها " أعظم حاجز بين الإسلام والمدنية الغربية فالمسلم لا يقبل الحياة العارية المختلطة مادام إسلامه يصح له ..." [4]

---

[1] - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين: مصطفى صبري، ص٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١م .

[2] - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ص (١٧- ١٨)

[3]- معجم المؤلفين (٣/ ٨٦٨) .

[4] - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ص ٣١ .

- الشيخ محمد رشيد رضا [١٨٦٥/١٢٨٢م]-[١٣٥٤هـ /١٩٣٥م]:

المولد والنشأة :

" كانت ولادة الشيخ محمد بن على رضا محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب بقلمون (من أعمال طرابلس الشام)، وهو أحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير.

تعلم القرآن والخط والحساب واللغة العربية في مدرسة القلمون حيثتنسك ونظم الشعر في صباه وكتب بعض الصحف ثم رحل إلى مصر"[١] ليبدأ ممارسة نشاطاته الدعوية من هناك .

آثاره :

بعد توجه الشيخ رشيد رضا إلى مصر " أصدر مجلته (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية .

وقد انتخب رئيساً للمؤتمر السوري فيما بعد وغادرها على إثر دخول الفرنسيين إليها سنة (١٩٢٠م) فأقام في وطنه الثاني مصر مدة ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا ثم استقر بمصر حتى وفاته فيها "[٢] .

من مؤلفاته :

(مجلة المنار أصدر منها ٣٤مجلداً)، و (تفسير القرآن العظيم)١٢ مجلداً، و كتابه (نداء للجنس اللطيف)، و (الوحي المحمدي)، و (شبهات النصارى وحجج الإسلام) [٣].

جهوده في التصدي للتغريب :

أتت نشأة الشيخ رشيد رضا مصاحبة للزحف الاستعماري الأوروبي على العالمين الإسلامي والعربي، " إذ فهم بعض الناس الحرية التي اتصفت بها الحضارة الأوروبية فهماً خاطئاً وانطلقوا يأتون المنكر، ناقلين عن الحضارة الأوروبية قشورها دون لبها وبدأ أولئك المقلدون والمخطئون أيضاً في فهم الحضارة الأوروبية يبتعدون شيئاً فشيئاً عن تقاليدهم العربية الراسخة ويفقدون الصلة بماضيهم العريق التليد، وزاد في خطورة هذه الظاهرة اندفاع

---

[١]- انظر : الأعلام (١٢٦/٦) .

[٢] - الأعلام (٦ / ١٢٦) .

[٣]-انظر : السيد رشيد رضا إخاء أربعين سنة : الأمير شكيب أرسلان، ص (١٢- ١٥) دار الفضيلة، القاهرة .

بعض الحكام الشرقيين في نقل الحضارة الغربية دون تبصرة بأوضاع بلادهم .. فوقع أولئك الحكام في حبائل الأوربيين تحت ستار تقديم النصائح والتوجيهات، وأخذت الشعوب تعاني بالتالي المتاعب نتيجة جهل أولئك الحكام وغفلتهم "[1].

وبعد أن صلب عوده واستزاد من نافع العلوم ترجم غيرته على أمته التي كبرت مع الأيام فكان من نشاطاته :

أولاً / النزول إلى الميدان وتوعية العوام رجالاً ونساءً رغبة منه في محاربة الجهل ونبذ البدع والخرافات .

إنها رسالة نهضت بها أسرته فكان الأهم في هذه المرحلة من حياته أنه " أقدم على خطوة هامة تشهد له باتساع الأفق والحرية الفكرية، فلم يخص الرجال وحدهم بإرشاده وتوجيهه، وإنما قصد برسالته رفع مستوى نساء القرية كذلك باعتبارهن السواد الأعظم من السكان وإذا صلح حالهن صلح شطر كبير من أهل بلدته بالقلمون "[2]

ثانيها / أخذ الشيخ رشيد رضا على عاتقه مناصحة الولاة دون أن يخشى في الله لومة لائم كمحاولة منه لإيقاف التنازلات المتواصلة من قبل الحكام العثمانيين بدعوى اللحاق بركب الغرب المتحضر، حيث نقل عنه أنه لقي حاكم طرابلس آنذاك ودار الحديث بينهما في شئون الدولة العثمانية فتعرضوا لما أصابهم من ضعف نتيجة اعتداء الدول الأوروبية على سلطانها وممتلكاتها فقال رحمه الله : " إن الذي أضعف الدولة جهل العلماء بالسياسة وجهل الحاكم بالدين " [3].

ثالثها / التركيز على الميدان الإعلامي والفكري وبث الوعي الثقافي في صفوف المتعلمين من أبناء الأمة، فقد بادر الشيخ رشيد رضا بإنشاء مجلة المنار، وهي المجلة الشرعية الأولى في العالم الإسلامي، وكان غرضه من تأسيسها كما أشار بذلك في عددها الأول حيث قال :" الحث على تربية البنات والبنين، لا الحط في الأمراء والسلاطين والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط

---

[1] - رشيد رضا الإمام المجاهد : د/ إبراهيم أحمد العدوي ص ١٧، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

[2] - رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٤٩ .

[3] - المصدر السابق ص ٥٤ .

على مجاراة الأمم المتمدنة في الأعمال النافعة، وطوق أبواب الكسب والاقتصاد وكشف الدخائل التي مازجت عقائد الأمة والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد " [1]

- الشيخ محمد الخضر حسين[١٢٩٣هـ/١٨٧٦م]-[١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م]:

المولد والنشأة :

" ولد الشيخ محمد الخضر بن الحسين على بن عمر الحسني التونسي العالم الإسلامي والأديب والباحث بنفطة من بلاد تونس"[2]، وعلى تلك الأرض " درج ونشأ في بيت متدين وهناك أخذ العلم وكان يتعدى مبادئ علوم الدين ووسائلها فتعلم شيئاً من الفقه المالكي والنحو ثم انتقل مع أسرته إلى العاصمة، فتعلم الابتدائي وحفظ القرآن مما خوله الانتظام بجامع الزيتونة[3] فجد واجتهد حتى أعجب به أساتذته فأخذ ميوله الإصلاحية عنهم، ثم في عام ١٣١٦ هـ تطوع للتدريس بالزيتونة حتى ذاع صيته في البلاد " [4].

آثاره : بعد تطوع الشيخ محمد الخضر للتدريس بجامع الزيتونة أنشأ مجلته (السعادة العظمى) سنة ١٣٢١هـ وهي أول مجلة تونسية ، وولي القضاء في بنزرت[5]عام ١٣٢٣هـ، ثم طلب الإعفاء ليعود إلى التدريس بالزيتونة سنة ٢٤ هـ، كما ارتحل إلى بلدان عديدة وعمل مدرساً في دمشق قبل الحرب العالمية الأولى، وعندما احتل الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة عام

---

[1] - مجلة المنار للشيخ رشيد رضا ، العدد ١ ، شوال ١٣١٥هـ - فبراير ١٨٩٨م .

[2] -انظر: الأعلام (٦ /١١٣).

[3] - مؤسس هذا الجامع هو عبيد الله بن الحبحاب وكان رئيسا نبيلا وأميرا جليلا وخطيبا مصقعا، ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب سنة أربع عشرة ومائة فكان من أهم ماقام به في ولايته بناء جامع الزيتونة بتونس حيث ظل هذا الجامع منارة للعلم وملاذاً لطلاب العلم من كل أصقاع البلاد . انظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (١٦١/١) .

[4] - انظر مجلة البيان : مقال أحمد عبد العزيز أبو عامر، بعنوان (علماء معاصرون ،الشيخ محمد الخضر حسين) العدد ٣،ص٣٩ ، شوال ١٣١٥ هـ - فبراير ١٨٩٨م .

[5] - مدينة على ساحل تونس الشمالي يشقها نهر كبير كثير الحوت، افتتحها معاوية بن حديج وكان معه عبد الملك بن مروان معجم البلدان (٥٠٠/١) .

(١٣٤١هـ/١٩٢٢م) وتقدم لامتحان العالمية الأزهرية فنال شهادتها ودرّس في الأزهر، فأنشأ جمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاستها وتحرير مجلتها، وترأس تحرير مجلة لواء الإسلام، ثم عين شيخاً للأزهر (أواخر ١٣٧١هـ) حتى استقال منها عام ٧٣ هـ وهناك توفي رحمه الله.

من مؤلفاته : كتابه (الدعوة إلى الإصلاح) و (الحرية في الإسلام) و (بلاغة القرآن) [١] .

جهوده في التصدي للتغريب :

تأثر الشيخ محمد الخضر بمشايخه فكان أنموذجاً فريداً للعالم المفكر الذي حمل على عاتقه رسالة تصحيح مسار الأمة في وقت ظلت فيه قوى الغرب تنهش جسد الأمة الإسلامية من كل مكان، فلم يك بداً من المواجهة الحقيقية واستنزاف الطاقات لإفشال مساعي إفساد الأمة، فكان من أعماله تحقيقا لذلك :

- عمل على إنشاء مجلة (السعادة العظمى) حيث لم يكن بتونس في تلك الفترة إلا الصحف، فنال إعجاب العلماء والأدباء وقد اتسمت بنزعة الحرية في النقد واحترام التفكير السليم، فملأت فراغاً كبيرا ً في ميدان الثقافة الإسلامية مما دفع بالمستعمر إلى إغلاقها.
- قام بعدة سفرات متوالية بادئاً بالجزائر عام ١٣٢٧ هـ لإلقاء المحاضرات والدروس كخطوة في توسيع نشاطه الإصلاحي.
- كان الشيخ كثيراً ما يدعو للإخاء بين العرب وإخوانهم الأتراك لإبطال الدعوات القومية التي استعرت نارها في تلك الفترة .
- ناصب العداء للمستعمر واستحث الشعوب لمقاومتهم والتطوع في الحركات الجهادية مما لأجله سجن وطرد من تونس ثم من دمشق من قبل المستعمرين .
- بمصر جابه أصحاب الأقلام المسمومة الذين يروجون لثقافة التغريب وأصدر كتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) رد فيه على الشيخ على عبد الرازق[١] فيما افتراه

---

[١]- انظر : الأعلام (١١٣/٦) .

على الإسلام من دعوته المشبوهة للفصل بين الدين والدولة وكان ذلك عام ١٣٤٤هـ ، وكتاباً آخر أسماه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) رداً على طه حسين في زعمه قضية انتحال الشعر الجاهلي وما ضمنه من افتراءات ضد القرآن[٢] .

- عمل الشيخ محمد الخضر رحمه الله على تأسيس جمعيات مناهضة للجمعيات التي تخدم أغراض التغريبيين والمستعمرين كجمعيتي (الشبان المسلمين) و (الهداية الإسلامية)[٣] .

- الشيخ سعيد النورسي (بديع الزمان) [١٢٩٣هـ/١٨٧٦م]-[١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م]:

المولد والنشأة :

ولد سعيد ميرزا النورسي في نورس قرية بتركيا، ونشأ في أسرة دينية فكانت جل حياته في خدمة القرآن وتفسيره باذلا وسعه في الدعوة إلى الله وقد بدأ حياته العلمية بالدراسة على يد أخيه عبد الله ثم التحق بحلقات الدروس المنتشرة في تلك النواحي وبعد ذلك بدأ بتدريس العلوم الدينية وكان يجلس إلى المناظرات والمناقشات العلمية حتى انتشرت شهرته في الآفاق، كما تعمق في دراسة الكتب العلمية النافعة كالرياضيات والفلك وغيرهما .

آثاره :

تعتبر خطبة النورسي (الشامية) التي ألقاها حين سفره إلى الشام عام ١٣٢٩هـ بدايات عمله الدعوي، حيث ضمنها مشروعاً متكاملاً للنهوض بالأمة. كما لم يكن راضيا بوجود المستعمر في بلاد المسلمين، لذا كان من قادة المجاهدين حين اندلاع الحرب العالمية واقتيد على إثرها أسيراً إلى روسيا ثم أفرج عنه لسنتين. وفي عام ١٣١٤هـ مارس دور

---

[١] - على بن حسن بن أحمد عبد الرازق (١٣٠٥هـ /١٣٨٦هـ) باحث، من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر. ولد بها وتعلم بالأزهر ثم بأكسفورد . عين قاضياً في المحاكم الشرعية وأصدر كتابه (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥م فأغضب ملك مصر وسحبت منه شهادة الأزهر. ظل يحاضر بجامعة القاهرة في مصادر الفقه عشرين سنة. انظر: الأعلام (٢٧٦/٤).

[٢] - ألف طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي وعمل فيه بمبدأ ديكارت حيث اعتبر الشعر الجاهلي منحولاً وأنه كتب بعد الإسلام ونال في كتابه هذا من القرآن والسنة فتصدى له العديد من العلماء والمفكرين ، انظر كتابه في الشعر الجاهلي .

[٣]- انظر مجلة البيان : مقال أحمد عبد العزيز أبو عامر، بعنوان (علماء معاصرون ،الشيخ محمد الخضر حسين) العدد ٣ ،ص٣٧ شوال ١٣١٥ هـ - فبراير ١٨٩٨م .

الإصلاح بين عشائر المنطقة وإخماد نار الفتنة هناك وتجول خلالها لإرشاد العشائر و تدريس طلابهم، وكان جل اهتمامه في تلك الفترة التي استمرت خمسة عشر عاماً الإصلاح بين العشائر ونجح في ذلك أيما نجاح، ومع توالي الأحداث كان مشروع إلغاء الخلافة العثمانية قد بدأ يظهر للعيان عام ١٣٤٣هـ فقاوم ذلك المشرع مقاومة ضارية إلا أنه لم يقف مع الثوار ضد السلطة حقناً لدماء المسلمين[١]. ثم بدأ بديع الزمان النورسي حياة جديدة بعدما نفي مراراً من بلده وصرف كل وقته متدبراً معاني القرآن وبدأ يعيش حياة سعيد (الجديدة) فكان نتيجة تلك التأملات ما أطلق عليه (رسائل النورسي) حتى وصلت إلى أكثر من ١٣٠ رسالة حيث استمرت حتى سنة ١٩٥٠م وهو يتنقل من سجن ومن محكمة إلى محكمة إلى أن توفي .. رحمه الله رحمة واسعة[٢] .

جهوده في التصدي للتغريب :

رغم الوهن الذي دب في الأمة منذ بدايات القرن التاسع عشر والظروف العصيبة التي مرت بالأمة الإسلامية، ورغم العلل التي أصابت كيان الأمة الإمبراطورية العثمانية قلعة الإسلام في ذلك الوقت إلا أن المصيبة الأعظم في كونها فتحت الباب على مصراعيه أمام الغرب، لتنطلق بعد ذلك صيحات الغرب من هنا وهناك مؤيدة وبإلحاح إلى المضي قدماً نحو سراب الغرب دونما وعي أو إدراك لما يخطط للأمة من إفساد لعقائدها وأخلاقها ومجتمعها .

" كل ذلك لم يغب عن فكر الشيخ سعيد لحظة واحدة فهو ينظر إلى الحضارة الغربية من خلال جوهرها ومضمونها"[٣] ولذا كان رحمه الله متحمساً لإخماد تلك الصيحات، ومن جليل مواقفه في هذا الشأن :

- موقفه إزاء الطرح العلماني في جانب التعليم :

فمن خلال رسائل النورسي المسماة بـ (رسائل النور) استيقظت روح المقاومة ضد الهزيمة النفسية والفكرية التي يريد العلمانيون أن يفرضوها على أبناء الأمة، لذلك يوجه أتباعه

---

[١]- انظر : كليات رسائل النورسي سيرة ذاتية : بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، الجزء (٩) .

[٢]- انظر : المصدر السابق الجزء (٩) .

[٣]- انظر : بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي استانبول (٢٧-٢٩/ ١٩٩٢م) ص ١١٦، سوزلر للنشر ، القاهرة .

بضرورة التصدي لهؤلاء عن طريق القراءة والتسلح بالعلم من خلال رسائله التي تفضح خططهم وتكشف خباياهم وتهتك ستر مؤامراتهم "[1]

موقفه من دعاة القومية :

حيث أسس رحمه الله الاتحاد المحمدي سنة ١٩٠٩م رداً على دعاة القومية الطورانية والوطنية الضيقة، انضم النورسي إلى تشكيلات خاصة وكان من أنشط أعضاء الاتحاد الذين أهابوا بالمسلمين أن يدافعوا عن الخلافة وبدأ يلقي دروسه ومحاضراته بين القبائل والعشائر مما كان له الأثر الفعال في إيقاظ الروح الإسلامية " [2]

_ موقفه من الصحافة :

عاصر النورسي حالة من الهياج الصحفي الذي كان من نتائجه تضليل أفكار العوام في وقت ضعفت فيه الرقابة على أرباب الصحافة حيث قال في رسائله مواجهاً لتلك الحملة: "لقد دأبت الصحف على زعزعة الأخلاق الإسلامية .. بما يوهن العزة والإقدام حتى أهلكوا الأفكار العامة السائدة فتصديت لهم بمقالات نشرتها في الجرائد "[3]

_ النورسي و الشريعة المحمدية :

لقد كان النورسي ينافح عن الشريعة لأنها المصدر النقي والمنبع الصافي الذي لا خير في الأمة إن استنكفت عنه، ولا عز لها إن استبدلته، حيث قال مخاطباً السلاطين في رسائله: " يا أولياء الأمور إن أردتم التوفيق فاطلبوا في موافقة أعمالكم السنن الإلهية في الكون -أي قوانين الله - وإلا فلن تحصدوا إلا الخذلان والإخفاق .. إن الذي يدفع هذه المماليك إلى التقدم إنما هو الدين، وإن أزاهير مزرعة آسيا وإفريقيا وبساتين نصف أوروبا ستتفتح وتزدهر بنور الإسلام، اعلموا أن الدين لا يضحي به إلا لأجل الحصول على الدين"[4]

---

[1] - من قضايا التحديات في القرن الواحد والعشرين (التعليم في ضوء سعيد النورسي) : د.محمد إبراهيم أبو محمد ص٨٨ ، شركة سوزلر للنشر، ط١، ٢٠٠٢م، القاهرة .

[2] - المصدر السابق ص ٨٨ .

[3] - كليات رسائل النورسي سيرة ذاتية ص١٠٠ .

[4] - المصدر السابق ص١٠٢ .

- الشيخ شبلي النعماني [١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م]-[١٣٣٤هـ/١٩١٤]:

المولد والنشأة : " ولد بقرية بندول من أعمال (أعظم كرة) بالهند واسمه شبلي بن حبيب الله البندولي المعروف بمولانا شبلي النعماني الباحث ورجل الإصلاح، بدأ حياته العلمية بدراسة العربية ثم أقبل المنطق والحكمة وبرز فيه ثم أخذ يتنقل بحثاً عن العلماء فدرس الفقه وأصوله ثم في لاهور أخذ الفنون الأدبية عن مشايخها وأتقن فنون عديدة كالتاريخ والأدب والإنشاء والشعر وعلوم أخرى ..".[١]

آثاره :

للشيخ آثاره المباركة التي كان لها تأثيرها على مسلمي بلاد الهند بالأخص فقد نفع الله بحركته الدعوية خلق كثر، ولقد كان من أهم ما قام به تدريسه بجامعة عليكرة التي التقى فيها بالأساتذة الغربيين المستشرقين، وشارك في إنشاء دار العلوم التابعة لندوة العلماء في لكهنو وترأسها بعد ذلك، وأنشأ دار المصنفين في أعظم كرة، وحج ورحل إلى كثير من البلدان الإسلامية"[٢] وكان من أهم ما جرى في رحلاته لقاءه "بالسلطان عبد الحميد الذي كرمه وأعلى شأنه، وكان رحمه الله سريع الملاحظة قوي الحفظ دقيق الملاحظة لم يفته كتاب من كتب أداء الأمم وفلسفة أخلاقهم إلا طالعه، وله عناية كاملة بالعلم ورغبة وإقبال على المذاكرة والتصنيف وإلقاء الخطب، مات رحمه الله بالإسهال الدموي صبيحة يوم الأربعاء عام ١٣٣٤هـ .

من مؤلفاته : للشيخ شبلي عدة مقالات وكتب ومن أشهرها (رسائل شبلي) و (مقالات شبلي) وله كتاب بسيط في سيرة سيدنا عمر رضي الله عنه وفي تاريخ الأعلام له كتاب (إزالة اللوم في ذكر أعيان القوم)، ومن أشهر ما ألفه كذلك كتابه في أحكام (الجزية) ومجلد واحد في (السيرة النبوية) كان يتطلع إلى تصنيفه في خمس مجلدات إلا أن المنية سبقته فلم يكمل تأليفه هذا "[٣] .

---

[١]- انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (نزهة الخواطر وبهجة السامع والناظر) : الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني (٨/ ١٢٤١) دار ابن حزم ط١- ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩م بيروت لبنان .

[٢]- انظر : معجم المؤلفين (٨١١/١) .

[٣]- انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (نزهة الخواطر وبهجة السامع والناظر) ج (٨) ص (١٤٤١-١٢٤٨) .

جهوده في التصدي للتغريب :

لم يكن الشيخ شبلي رحمه الله بعيداً عن واقع الأمة الإسلامية بل عايش تلك الفترة بكل مشاعره، فقام بدور العالم الواعي مدافعاً عن دينه الحنيف وتاريخ أمته المجيد خير قيام ومما يحسب له في التصدي لتغريب الأمة ما يلي :

أولاً / إن من أهم مرتكزات أعداء الإسلام للقضاء عليه العمل على تشويه تاريخه بالتغاضي عن محاسنه والتركيز على أسوأ ما فيه، وكان هذا دأب المستشرقين ومن سعى سعيهم من خلال الموسوعات المعرفية كموسوعة البستاني هذه وهناك تآليف أخرى هوجم من خلالها ذلك التاريخ المجيد كما هو الحال في مقالات جورجي زيدان عن تاريخ التمدن الإسلامي مما حمل الشيخ النعماني على الرد على تلك المفتريات فأنشأ كتابه المسمى (انتقاد تاريخ التمدن الإسلامي) رداً على زيدان حين ذكر في كتابه " مثالب العرب دسيسةً يتطلع بها على إحساس الأمة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك أحد ، لم ينبض لأحد عرق ووجد الجو صافياً أرخى العنان وتمادى في الغي وأسرف في النكاية بالعرب عموماً وخلفاء بني أمية خصوصاً " [1]

وعلى صعيد آخر كان له تآليف أخرى تعنى بالسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء سيراً على هذا المنهج .

ثانياً / جابه الشيخ النعماني افتراءات المستشرقين الذين طعنوا في تشريعات الإسلام وأحكامه، حيث عمل على دحض شبهاتهم حوله وذلك من خلال كتابه (الجزية) .

- **السلطان العثماني عبد الحميد الثاني:**

[١٢٥٨ /١٨٤٢م]-[١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م] :

---

[1] - الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي للفاضل جورجي زيدان : للشيخ شبلي النعماني الهندي، القارئ محمد عبد الولي بن العلامة الآسي المرحوم ، ص ١.

المولد والنشأة : كان مولد السلطان عبد الحميد الثاني ابن السلطان عبد المجيد عام ١٨٢٤م " فقد أمه ولم يتجاوز عمره سبع سنوات، تعلم اللغتين العربية والفارسية ودرس كثيراً من الكتب الأدبية على يد أساتذة مختصين "[١] .

آثاره :

" أولاً/ تولى الخلافة في وقت بلغت الديون فيه على الدولة أموالاً طائلة فجابه الموقف رداً للاعتبار تجاه الدول الأجنبية .

ثانياً / وقعت عدة حروب في عهده مع دول الغرب أنفق تكاليف بعضها من خزينته الخاصة.

ثالثاً/ أنشأ العديد من دور التعليم والتثقيف، (كدار العلوم السياسية) و (كلية الهندسة العالية) و (مدرسة الزراعة) و (مدرسة اللغات) و (مدرسة الفنون النسائية) ....

رابعاً / قام بإصلاحات هامة في القطاع العسكري للنهوض به من كبوته لمجابهة الأعداء

خامساً / خُلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩م إثر مؤامرة يهودية، وبقي تحت الإقامة الجبرية في أحد قصور استانبول النائية حتى توفي هناك إثر نزيف داخلي وعمره يناهز الثامنة والسبعين رحمه الله "[٢].

جهوده في التصدي للتغريب :

لقد آثرت أن أذكر السلطان عبد الحميد الثاني ضمن الدعاة المتصدين لمخططات التغريب لما له من جهود ومواقف مشرفة أوضحت مدى بسالته وحبه لخدمة هذا الدين فكان أنموذجاً مثالياً لقادة المسلمين عبر العصور ولعلل أهم ما يمكن ذكره في هذا المقام من مآثر هذه الشخصية العظيمة ما يلي :

أولاً / كان السلطان عبد الحميد الثاني مدركاً للدور الخطير الذي تمارسه الدول الاستعمارية في دولته " لذا فقد اتسمت سياسته بالتصلب أمامها كلما استطاع ذلك، حيث لم يكن يواجه قوة

---

[١]- السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية ١٨٩١م- ١٩٠٨م ، ص ١١ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

[٢]- انظر : السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية، ص (١٢-١٥) .

واحدة بل كانت جميع القوى الأوروبية وروسيا القيصرية تطمع في الاستيلاء على دولته "[1] وخدمة لسياسات تلك الدول فقد استغلت " الإرساليات التبشيرية وتسترت تحت ستار الدين في إثارة الطوائف واستغلالها لأجل ذلك "[2]

ثانياً / أبدى السلطان عبد الحميد تعنتاً واضحاً إزاء كثير من المؤامرات الداخلية والخارجية التي تهدف إلى إخضاع الإمبراطورية لأوروبا سياسياً وفكرياً... ولذا " كانت حملات الصحف المارونية قد بدأت تشن هجومها على السلطان عبد الحميد وتصوره في صورة الطاغية "[3]

ثالثاً / حارب الفكرة القومية لكونها تتنافى ووحدة المسلمين حول رابطة الدين وقال في مذكراته " إن الإمبراطورية، دولة احتوت عدداً كبيراً من الأمم والشعوب، وتشكلت من الأتراك والعرب والأكراد.. حيث جمعتهم الرابطة الإيمانية وجعلتهم أفراداً في عائلة واحدة، فعلينا والحالة هذه أن نعتبر أنفسنا مسلمين قبل أن نكون عثمانيين وأن تكون صفة خليفة المسلمين فوق صفة الإمبراطور العثماني.. علينا أن نعترف وبكل أسف بأن الإنكليز استطاعوا بدعايتهم المسمومة أن يبثوا بذور القومية والعصبية في بلادنا "[4]

رابعاً / مكافحة التبشير النصراني:

حيث خاض المبشرون الغربيون غمار التنصير في أنحاء من السلطنة وتلقف بضاعتهم جمع من نصارى العرب وروجوا له في مدارسهم وجمعياتهم يقول السلطان عبد الحميد " مازال النصارى ينفقون الملايين في سبيل نشر النصرانية ببلاد الإسلام. وقد كان عليهم أن يفهموا من قبل بأن الحظ لن يحالفهم في هذه البلاد .... "[5]

خامساً / موقفه من الحضارة الغربية :

---

[1] - عبدا لحميد الثاني وفلسطين : رفيق النتشة ص (٥٢-٥٤) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣ – ١٩٩١م .

[2] - انظر : المصدر السابق ص ٥٧.

[3] - انظر : تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث (السلطان) عبد الحميد والخلافة الإسلامية :أنور الجندي ص٩٦، دار ابن زيدون ، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ .

[4] - السلطان عبد الحميد الثاني (مذكراتي السياسية) ص١٧٦.

[5] - المصدر السابق ص١٨٠.

كان مما يضير السلطان عبد الحميد انتشار سموم الحضارة الغربية في دولته ومما دونه بشأنها " إن الأفكار المستوردة من أوروبا تشكل خطراً كبيراً علينا وكارثة أليمة .. فلا أملك إلا أن أقاوم هذه الأفكار الأوروبية بكل ما أوتيت من قوة إنها سموم تخرب العقول والقلوب "[1]

سادساً / أثارت سياسات السلطان عبد الحميد الكثير من الأعداء حوله حتى كادوا المكائد لعزله فقد رفض إملاءات الغرب التي من ورائها اليهود حين طلب منه إقامة وطن يهودي في الأرض المقدسة " فلسطين " مقابل رشوة مالية حيث قال كلمته الشهيرة المدونة في مذكراته يخاطب الاتحاديين : " إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً .. فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين .. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أبداً "[2]

نتيجة :

أولاً/ تعتبر الفترة التي عاشها أولئك المصلحون فترة عصيبة تمر بها دولة الإسلام العثمانية حيث بدت في منعطفها الأخير نحو الانحدار والتفكك لذا كانت جل أعمالهم تتركز حول العمل على لحمة الدولة والإبقاء على كيانها .

ثانياً/ كان الوضع الفكري السائد في تلك الفترة مضطرباً حيث لم تحتد بعد المواجهة بين علماء وقادة الفكر الإسلامي في ذلك الوقت وبين من نسميهم دعاة التغريب كالبستاني وغيره.

ثالثاً/ ساد المجتمع المسلم حالة من الجهل والبعد عن العقيدة الصحيحة الصافية واللجوء إلى الخرافات الأمر الذي وجه أنظار كثير من العلماء إلى معالجة هذه الظاهرة ومحاولة القضاء عليها ، لذا لم تلق صيحات التغريب التي بدت تتعالى من يتصدى لها وينبري لمقاومتها في تلك الفترة كما هو الحال مع جهود العلماء المعاصرين .

---

[1] - المصدر السابق ص ١٩٦.

[2] - المصدر السابق ص٣٧ .

المبحث الثاني / جهود العلماء والدعاة في الوقت الحاضر

المبحث الثاني / جهود العلماء والدعاة في الوقت الحاضر

مع اشتداد حمأة الصراع بين الحق والباطل ظهر علماء ودعاة معاصرون يحملون راية الدفاع عن الدين ويكشفون المؤامرات المحاكة ضد هذه الأمة حيث حباهم الله تعالى بصيرة نافذة وفكراً وقادا، فتصدوا للتيارات الوافدة وعملوا على كشف الغمة والرد على إرجاف المرجفين ومازال في أمة محمد ﷺ خير ماداموا فيها كلما قضى أحدهم نحبه ظهر فيها من يجدد لها دينها حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

- الشيخ عبد الحميد بن باديس: [١٣٠٥هـ/١٨٨٧م]-[١٣٥٩هـ/١٩٤٠م]:

المولد والنشأة :

ولد عبد الحميد محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس " في مدينة قسنطينة بشرق الجزائر، وبدأ حفظ القرآن الكريم في صغره حتى أتمه في السنة الثالثة عشرة من عمره، ولحسن سيرته وشدة ذكائه قدم ليصلي بالناس صلاة التراويح في تلك السنة، وفي سنة ١٩٠٣م بدأ طريق العلم والجهاد فتعلم مبادئ العربية والمعارف الإسلامية، وحين بلغ سنه الخامسة عشرة زوجه والده ثم بدأ رحلته لطلب العلم حيث سافر إلى مدينة تونس في سنة ١٩٠٨م وانتسب إلى جامع الزيتونة ، فأخذ يتلقى الثقافة الإسلامية العربية ويأخذ عن أكابر علماء الزيتونة حيث كان من أساتذته الشيخ الخضر حسين، وبعد تخرجه علم سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرجين في ذلك الوقت، وكان من أجل مصاحبيه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور[١] الذي شاركه فيما بعد في إنشاء جمعية علماء الجزائر. ثم عاد الشيخ ابن باديس إلى الجزائر عام ١٣٣١هـ ، ١٩١٢م ، ليبدأ نشاطه الإصلاحي هناك "[٢].

---

[١]- هو محمد بن الطاهر بن محمد الشاذلي بن عاشور (١٢٩٦هـ - ١٣٩٣هـ)، نقيب أشراف تونس ولي قضاءها سنة ١٢٦٧هـ ثم الفتيا سنة ١٢٧٧هـ وتوفي بتونس. له من المؤلفات (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، مقاصد التشريع الإسلامي) . أنظر: الأعلام (١٧٣/٦) .

[٢]- انظر :ابن باديس، فارس الإصلاح والتنوير د. محمد بهي الدين سالم ص(١٣-٣٣) دار الشروق ،القاهرة ، ط١،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

آثاره :

" ترأس الشيخ ابن باديس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر من بدء قيامها سنة ١٩٣١م إلى وفاته وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلداً وكان شديد الحملة على الاستعمار، مما دفع الحكومة الفرنسة في الجزائر إلى استمالته بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع رحمه الله وأوذي واضطهد، وقاومه أبوه وهو مستمر في جهاده، كما أنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيراً من المدارس وظل خادماً للدعوة حتى توفاه الله بقسنطينة في حياة والده .

ومن مؤلفاته :

(تفسير القرآن الكريم) اشتغل بتدريسه ١٤ عاماً ثم جمع تفسيره لآيات القرآن باسم (مجلس التذكير)." [١]

جهوده في التصدي للتغريب :

كانت بلاد الجزائر كغيرها من بلاد المسلمين ترزح تحت احتلال الغرب الذي أخذ يفرض على الشعوب المسلمة حضارته وقيمه. ولا غرابة أن يجد أولئك المحتلون من يعمل على محاربة وجودهم وتحذير الأمة من طوفان أفكارهم وما الشيخ المجاهد ابن باديس إلا نموذجاً من نماذج مقاومة التغريب في تلك البلاد، وقد ترجم غيرته على دينه وأمته من خلال أعماله التي رصدها معاصروه، فمن ذلك:

أولاً/ يقول صديقه الإمام محمد البشير الإبراهيمي متحدثاً عن جهود هذا الإمام :" وحسبه من المجد التاريخي أنه أحيا أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير، وديناً لابسته المحدثات والبدع، ولساناً أكلته الرطانات الأجنبية، وتاريخاً غطى عليه النسيان ومجداً أضاعته ورثة السوء وفضائل قتلها رذائل الغرب "[٢]

---

[١] - انظر: الأعلام: (٣/ ٢٨٩).

[٢] - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي : جمع وتقديم نجله / د. أحمد طالب الإبراهيمي (٣/٥٥٢) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١_١٩٩٧م .

ثانياً / مع احتداد نشاط ابن باديس العلمي " كانت هناك حركة فكرية تغريبية تنادي بالاندماج التام مع فرنسا وكان لهذه الفئة صحافتها الخاصة .. وقد ظل هذا التيار قوياً حتى بعد انتشار حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس حتى إن أحدهم كتب ينفي وجود وطن جزائري ويؤكد أنه فرنسي وأمته هي الأمة الفرنسية، فرد عليه ابن باديس بأن الأمة الجزائرية موجودة متكونة منذ أقدم الأزمان، وأن الجزائر ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون كذلك. ولم تسع فرنسا إلى زيادة هذه الفئة، وإنما سعت إلى تمكينهم وتقوية شوكتهم بما مكنت لهم من المناصب والمكانة القيادية في المجتمع " [1]

ثالثاً / قام الشيخ بعدة رحلات دعوية كان من أهدافها :

" التعرف على نشاط التنصير والاستشراق والاستعمار في جذب بعض الجزائريين نحو فكره وثقافته ودعوته، وإبطال كيد هؤلاء بالتأكيد على وحدة الجزائريين المنبثقة من الإسلام فهاهو عالم من قسنطينة (شرق الجزائر) يزور الغرب والجنوب والشمال، ويشعر بأنه بين أهله في كل مكان ليؤكد هذا الإحساس لدى الشعب الجزائري "[2]

رابعاً / يؤمن ابن باديس انطلاقاً من فكره السياسي بضرورة وعي السلطة بكل ما يحيط بالمجتمع من المكائد داخلياً وخارجياً . يلاحظ هذا في معرض تفسيره لسورة النمل وعقب قوله تعالي (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)[3] حيث قال رحمه الله : " تعليم وقدوة : من حق الرعية على راعيها أن يتفقدها ويتعرف أحوالها إذ هو مسؤول عن الجليل والدقيق منها. يباشر بنفسه ما استطاع مباشرته منها ويضع الوسائل التي تطلعه على ما غاب عليه منها وينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحولها. حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن كلف بها "[4]

---

[1] - زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين : جمع وترتيب د/ سيد بن حسين العفاني (٥/ ٣٠٧) دار العفاني، القاهرة .

[2] - المصدر السابق (٣١١/٥) .

[3] - سورة النمل آية ٢٠.

[4] - مجلس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص٣٤٥، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، ط١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

خامساً / يرد ابن باديس على المولعين بحضارة الغرب التي جرّت الخراب والدمار في الأرض فيقول رحمه الله " رأى بعض الناس المدنية الغربية المسيطرة اليوم على الأرض وهي مدنية مادية في نهجها وغايتها ونتائجها، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان- فقال إن رجال هذه المدنية هم الصالحون الذين وعدهم الله بإرث الأرض .. فيا لله من للقرآن، وللإنسان من هذا التحريف السخيف كأن عمارة الأرض هي كل شيْ ولو ضلت العقائد وفسدت الأخلاق. واعوجت الأعمال وساءت الأحوال وعذبت الإنسانية بالأزمات الخانقة وروعت بالفتن والحروب المخربة الجارفة. وهدد بأعظم حرب على الإنسانية من أصلها والمدنية من أساسها. هذه هي بلايا الإنسان التي يشكو منها أبناء هذه المدنية المادية .. "[1]

- محمد البشير الإبراهيمي [١٣٠٦هــ/١٨٨٩م]-[١٣٨٥هــ/١٩٦٥م]:

المولد والنشأة :

ولد هذا الإمام العلم ونشأ " بدائرة (سطيف) (أسطيف) في قبيلة ريعة الشهيرة بأولاد إبراهيم (ابن يحيي بن مساهل) من أعمال قسنطينة إحدى مناطق الجزائر وتفقه وتأدب في رحلة إلى المشرق (سنة ١٩١١م) فأقام في المدينة المنورة إلى سنة ١٧ وفي دمشق إلى حوالي ١٩٢١م وعاد إلى الجزائر "[2] وهناك بدأ نشاطه الدعوي والعلمي .

آثاره : بعد عودة الإمام محمد من المدينة ثم منها إلى دمشق عقب الحرب العالمية الأولى حمل لواء الدعوة السلفية في الجزائر الداعية إلى العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى وانتظم " مع ابن باديس عام ١٩٣٠م في جمعية العلماء وخلفه عام ١٩٤٠م وأصدر (جريدة) البصائر عام ١٩٣٥م ثم توقفت (١٩٣٩م- ١٩٤٦م) ثم عاد إلى مصر فطاف بالشرق وأمضى بمصر سنوات الثورة الجزائرية (ضد المستعمر) ينافح عنها وينشر كتابها ودواوين شعرائها .. ثم عاد إلى الجزائر بعد استقلالها وقد هده الجهد والإعياء حتى توفي عن ٧٦ عاماً عريضة من

---

[1] - مجلس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس (٢٠٩- ٢١٠) .

[2] - الأعلام : (٥٤/٦) .

الكفاح والجهاد وخلف آثاراً من الفكر والأدب أجيالاً من الشباب المؤمن بوطنه وعروبته وإسلامه " [1]

من مؤلفاته :

للإمام الإبراهيمي العديد من المؤلفات والمقالات كما له عناية بالشعر " فمما كتبه في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار تصل إلى ٣٦ ألف بيت وكان ينشر مقالاته بجريدة البصائر وهو رئيس وهو رئيس تحريرها كما له كتاب (شعب الإيمان) في الأخلاق والفضائل وكتاب (أسرار الضمائر العربية)[2] ...

جهوده في التصدي التغريب :

يعد البشير الإبراهيمي من أعلام الفكر الإسلامي في الجزائر حيث جابه المستعمرين وظل أحد رموز مقاومة التغريب هناك مستغلاً كافة طاقاته وقدراته وعلى مختلف المنابر الصحافية والخطابية من أجل تحرير الوطن وتثقيف العقول وتربية النفوس فكان جهوده:

أولاً : الإسهام في تأسيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر " كرد فعل إيجابي على احتفال قرن من الزمان على احتلال الجزائر بعدما أيقنت أن الجزائر قد أصبحت قطعة منها مسيحية الدين فرنسية اللسان " [3]فجاءت هذه الجمعية المباركة لتبدد حلم الفرنساويين .

ثانياً / قيادة الحركة الدينية والثقافية بالجزائر: حيث كان من خطابات الجمعية التي ترأسها الإبراهيمي ما نصه " إن التفرق شر كله، وشر أنواع التفرق ما كان في الدين، وأشنع أنواع التفرق في الدين ما كان منشؤه الهوى والغرض، ونتيجته التعادي والتباغض وأثره في نفوس الأجانب السخرية من الدين والتنقص له واتخاذ أعمال أهله حجة عليه .. "[4]

---

[1] -أعلام وأصحاب أقلام : أنور الجندي ص ٨٥، دار النهضة ، مصر .

[2] - انظر : الأعلام (٥٤/٦) .

[3] - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (١١/١) .

[4] - المصدر السابق : (١٦٢/٢) .

الاتجاه الثاني / الاهتمام بتعليم المرأة المسلمة بعيداً عن إملاءات الغرب حيث جاء من توجيهات هذا الإمام رحمه الله قوله في تعلم المرأة الجزائرية اللغة الفرنسية إنه فجر كاذب لكون تلك اللغة " ليست من روحها ولا تقاليدها، واللغة الأجنبية إن حسنت فإنما تحسن بعد اللغة المتصلة بالروح والتاريخ والمقومات الأصلية "[1] ثم يتابع قوله " أما الفجر الصادق لتعليم الفتاة الجزائرية فهو يبتدئ من سنة ١٩٣١م أي منذ اثنين وعشرين سنة يوم تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .. وخطت خطواتها المشكورة في التعليم العربي الإسلامي علم نظم عصرية " [2]

الاتجاه الثالث / عداءه للمستعمر حيث أبان سوء نواياه ودسائسه للأمة وفي ذلك قال : " إننا أمة علم، لم ينقطع سندنا فيهما إلى آبائنا الأولين، وإننا أمة شكران لا أمة نكران فلو أن المعلم الذي جاءتنا به فرنسا علم ناصحاً، وربى مخلصاً، وثقف مستقلاً، وبث العلم لوجه العلم ونشر المعرفة تعميماً للمعرفة .. ولم يقيده الاستعمار ببرامجه، ولا سيرة على مناهجه، لظهرت آثاره الطيبة في الأمة، ولأنطقتنا تلك الآثار بالاعتراف والثناء بالجميل، ولكنه علم متحيزاً إلى فئة، وأورد على غير مشربنا، وغرس في نفوس أبنائنا التنكر لماضيهم، والتسفه لتاريخهم، والنسيان للغتهم ودينهم. أفهذه هي النعمة التي تمُنها فرنسا علينا وتتقاضانا شكرها؟ "[3]

الاتجاه الرابع / نقد الأفكار الوافدة التي نادى بها المستعمر: فمن جليل مواقفه ما جاء في قضية مشروع فصل الدين عن الحكومة في الجزائر حيث قال رحمه الله : "إن الاستعمار جاء إلى هذا الوطن بثلاثة أشياء ليمحوا ثلاثة أشياء : جاء باللاتينية ليغمر بها العروبة وجاء باللغة الفرنسية ليقضي بها على اللغة العربية، وجاء بالمسيحية لينسخ بها الإسلام يبدأ بالمجاورة ثم المضارّة، ثم ترحيل الأقوال للأضعف، وكل أعماله وشرائعه – بعد ذلك – حياطة لهذه المبادئ وتقوية لها، وما عمله في إحياء النزعات البربرية إلا مثالاً من المبدأ الأول، وما

---

[1] - المصدر السابق (٤/٢٦٤) .

[2] - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤ / ٢٦٥) .

[3] - المصدر السابق (٣/٩٨) .

ضغطه على التعليم العربي إلا مثالاً من القاعدة الثانية، وما تشجيعه للضلالات والبدع، وتلكؤه في فصل الإسلام عن الحكومة، ومشروع الإسلام الجزائري إلا أمثلة من المبدأ الثالث " [1].

- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[١٣٠٧هـ/١٨٨٩م]-[١٣٧٦هـ/١٩٥٦م]:

المولد والنشأة :

" ولد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل السعدي التميمي الحنبلي في مدينة عنيزة بالقصيم، وتوفيت أمه وله أربع سنين ثم توفي والده وهو في الثانية عشر من عمره فعطفت عليه زوجة والده فاهتمت بتربيته حيث نشأ تنشئة حسنة فدخل مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه وهو في الحادية عشر من عمره وحفظه عن ظهر قلب وهو في الرابعة عشر من عمره.

ثم اشتغل بطلب العلم فقرأ على جمع من علماء عصره فنون العلم الشرعي في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله والنحو، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم ويقضي أوقاته في ذلك . وفي الانكباب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام بن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم بتمعن وتفهم فانتفع بهذ المؤلفات غاية الانتفاع " [2]

آثاره :

دأب الشيخ ابن سعدي على صرف أوقاته في خدمة العلم والدعوة إلى الله شأنه في ذلك شأن العلماء الربانيين الذين قاموا بأمانة التعليم والنصح للأمة فكان من آثاره رحمه الله:

---

[1] - المصدر السابق (٣/١٦٠) .

[2] - انظر : مشاهير نجد وغيرهم : عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، ص ٢٩٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ط٢، ١٣٩٤هـ .

"أولاً / في العام ١٣٥٠هـــ انتهت إليه المعرفة التامة ورئاسة العلم في القصيم فاشتهر علمه وارتفع قدره حيث تتلمذ على يديه طلاب كثر من أشهرهم الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين رحمه الله والشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل عضو الإفتاء ورئيس الهيئة العلمية سابقاً.
ثانياً / كان إماماً وخطيباً في جامع عنيزة حتى توفاه الله، ففيه ألقى العديد من الدروس والمحاضرات .
ثالثاً / مارس القضاء والإفتاء وأصدر العديد من الفتاوى التي تتعلق بواقع المسلمين حيث تعدى نفعها إلى خارج البلاد "[1]
من مؤلفاته :
جاءت مؤلفات الشيخ في موضوعات بالغة الأهمية حيث جمع فيها الكثير من الفوائد العلمية ولعل من أهمها :
كتابه (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن) و(القواعد الحسان في تفسير القرآن) و (وطريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول) و (الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء المرسلين)[2] .

جهوده في التصدي للتغريب :

لكون هذه البلاد المباركة جزء من العالم جاز لنا القول بأن سلامة مجتمعها من خطر التغريب الذي ابتليت به بلاد المسلمين مرهونة ببقائه متمسكاً بمبادئ الإسلام وتلك مسؤولية تقع على عاتق العلماء إذ هم الأكثر تبصراً بواقع الأمة المعاصر والأقدر على مجابهة مخططات الأعداء، ولعل من جهود الشيخ ابن سعدي رحمه الله التي تبرز مدى اهتمامه بهذه القضايا ما يلي :
أولاً / حث الأمة على جهاد أعداء الإسلام بكل الوسائل ومنها الجهاد الفكري حيث قال في كتابه جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين " ولا يخفى على المسلم الذي يتحرق قلبه لنصرة دين الله أهمية هذا الموضوع وحساسيته في أيامنا هذه التي تكالب فيها الأعداء علينا

---

[1] - انظر : المصدر السابق (٣٩٣- ٣٩٦) .

[2] - معجم المؤلفين (٢ / ١٢٢) .

من كل جانب يشنونها حرباً شعواء بكل أنواع السلاح وأساليبه المادية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية. حتى غدا الجهاد فرض عين على الأمة "[1]

ثانياً / كتابة العديد من الرسائل المختصرة التي وجهها لعموم المسلمين محذراً من الأخطار المحدقة بالأمة كرسالته في التحذير من المدارس الأجنبية حيث اعتنى فيها بمعالجة واقع التعليم، مشيراً إلى ضرر المدارس الأجنبية أو ما يسمى بالتعليم اللا ديني حيث اعتبرها شركاً ومصائد يُصطاد فيها كل من تعلم فيها " فإنها تعمل على التحلل من الدين، ومن جميع تقاليده وأخلاقه وأخلاق أمته، وشعائره الدينية، وفضائله السامية، وتمسخ الجيل المتعلم بها مسخاً مشوهاً، تربي المتعلمين تربية تضعف عقولهم، وتسلب أخلاقهم، وتتمسك بأهداب الغرب المادية، وإنها حرية أن تنتج جيلاً يحيا في عزلة تامة عن كل ما يربطه بدينه وتاريخه المجيد"[2].

ثالثاً / حرصه على وحدة العمل الدعوي حيث كان دائم الصلة بإخوانه من علماء المسلمين يبادلهم المراسلات ويوصيهم بمواجهة الأفكار المستوردة بكل الوسائل كالصحف والمجلات وما كان متاحاً في ذلك العصر. وقد كتب الشيخ ابن سعدي رسالة إلى الشيخ رشيد رضا رحمة الله عليهما سنة ١٣٤٦هـ يقترح عليه فيها أن تعنى مجلته (المنار) بالرد على الملاحدة والزنادقة حيث إن علومهم أوهنت قوى المسلمين وسلطت عليهم الأعداء .[3]

- أبو الأعلى المودودي [١٣٢١هـ /١٩٠٣م]-[١٤٠٠هـ/١٩٧٩م]:

المولد والنشأة :

" هو أبو الأعلى ابن سيد أحمد حسن المودودي المولود بمدينة أورنك آباد إحدى مدن ولاية حيدر آباد الإسلامية في جنوب شبه القارة الهندية " ونشأ في أسرة عريقة متميزة بالعلم والتقوى، حيث حرص والده حرصاً تاماً على تربية ولده بمنهج الإسلام فعلمه التربية الدينية

---

[1] - جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص(٥-٦) دار ابن القيم، الدمام،١٤١١هـ -١٩٩١م .

[2] - التحذير من المدارس الأجنبية: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الإمام أحمد للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

[3] - مجلة المنار العدد (٢٩) شوال سنة ١٣٤٦هـ / أبريل ١٩٢٨م . عنوان الرسالة (من عنيزة إلى مصر) .

الابتدائية في البيت وتولى تدريسه بنفسه واختار بعض الأساتذة لهذا الغرض، فدرس القرآن والحديث والفقه واللغة الأردية والفارسية والعربية، ولشدة ذكائه وقوة حفظه تمكن من حفظ موطأ مالك عن ظهر قلب، ولقد ساعدت دراسته للعربية في قيامه بترجمة بعض الكتب التي تعنى بالإسلام من العربية إلى اللغة الأردية كما كان والده يشجعه على أعمال الخير والمحافظة على الصلوات الخمس، وبعد أن كبرت سنه انتقل إلى دار العلوم بحيدر آباد وهناك توسع في دراسة العلوم الشريعة.

آثاره :

انقطع المودودي في الفترة مابين ١٩١٦م – عام ١٩٢١م عن الدراسة ولكنه عمل رئيساً لتحرير جريدة جمعية العلماء المسلمين بالهند المسماة بـــ (المسلم) عام ١٩٢١م، ثم أكمل تعليمه فيما بعد. وفرغ نفسه للعمل الدعوي مع المطالعة الدائمة لأمهات الكتب في العلوم الدينية والعلوم الحديثة. ومن جهوده في مجال الدعوة كذلك إدارة مجلة ترجمان القرآن عام ١٩٣٢م وهي مجلة شهرية تصدر من مدينة حيدر آباد حيث ظل المودودي يستخدم هذه المجلة لنشر الدعوة حتى وفاته عام ١٩٧٩م، ولا تزال هذه المجلة تصدر على نفس المنهج حتى اليوم كما أسهم في إنشاء جمعية إسلامية تضم عدداً من العلماء والمثقفين الذين تأثروا بتوجهه الفكري "[١]

من مؤلفات الشيخ النافعة :

" كتاب (نحن والحضارة الغربية) و (الحضارة الإسلامية وأسسها ومبادئها) و (الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة) و (مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة)"[٢] وللشيخ العديد من المحاضرات التي صدرت فيما بعد في صورة كتيبات مستقلة ومنها " (الجهاد في سبيل الله) و (نظرية الإسلام والسياسة) و (منهج جديد للتعليم والتربية) و (الإسلام والجاهلية) و (معضلات الإنسان الاقتصادية وحكمها في الإسلام) "[٣].

---

[١] -انظر: أبو الأعلى المودودي/عصره – حياته- دعوته- مؤلفاته : أليف الدين الترابي ص (١٦-١٢٩) دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١ - ١٤٠٧هـــ - ١٩٨٧م .

[٢] -انظر : المصدر السابق ص١٢٩.

[٣] -انظر : المصدر السابق، ص١٣٥.

جهوده في التصدي للتغريب :

لقد كان لتردي أوضاع المسلمين في شبه القارة الهندية في القرنين الماضيين وبالتحديد في الفترة التي عاشها المودودي أثرها البالغ في إلهاب حماس الشيخ لمعالجة تلك الأوضاع حيث بدت ملامح التفرنج والانحناء للمدنية الغربية لذا كان من جهوده في اجتثاث هذه الظاهرة ما يلي :

أولاً/ حث المجتمع المسلم على الصمود أمام التيارات الفكرية المنحرفة وموجات التغريب الوافدة والأخذ بعرى الحضارة الإسلامية حيث يرى "أن استيراد هذه الأفكار اليونانية والفارسية في المجتمع المسلم نشر كثيراً من الضلال إلا أن هذه الأفكار الطارئة لم تنجح، إلى حد أن تقلب وجهة نظر المسلمين وتجعل تركيب عقليتهم شيئاً متنافياً مع الإسلام ولم تبلغ من تأثيرهم فيما لديهم من قوى العقل والفكر والتمييز أن يتركوا النظر بنظرة المسلم والتفكير بذهن المسلم .. إن ارتقاء المدنية والحضارة وإن انحرف كثيراً عن السبل التي خططها الإسلام، بتأثير المؤثرات الخارجية، إلا أن المبادئ التي رفعت عليها قواعد هذه الحضارة والمدنية موجودة في أساسها " [1]. ويصف حال اللاهثين وراء سراب الغرب من المسلمين بأنها بالعبودية الفكرية " التي غدت الأمم المسلمة فيها تحاكي أمم الغرب في الزي واللباس وتتشبه بها في مظاهر الاجتماع، وفي آداب المجالس وأطوار الحياة، حتى في الحركة والمشي والتكلم والنطق، وحاولوا تشكيل المسلم على الصيغة الغربية..... وأصبح المسلمون بأنفسهم يستحيون من كل ما نظر إليه أعداء الإسلام القدماء بين التحقير أو التعبير من وقائع التأريخ الإسلامي، وأحكام الشرع الإلهي وآثار الكتاب والسنة، وطفقوا يحاولون أن يمحوا تلك السُبّة عن أنفسهم "[2].

ثانياً/ دعا إلى وجوب حماية آخر معاقل المجتمع المسلم وهو المرأة من خطر السفور الذي ظهرت بوادره في ذلك العصر فقال : " وإنا نستطيع أن نقول بالنسبة للحضارة الإسلامية على

---

[1] - نحن والحضارة الغربية : أبو الأعلى المودودي ص٢٢٠، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

[2] - انظر : الحجاب :أبو الأعلى المودودي ص٤٩، تعريب محمد كاظم السباق ، دار الفكر بدمشق ، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

إن الحريم[1] هو الملجأ الأخير الذي يدافع الإسلام فيه عن مدنيته وحضارته، ولا ريب أن المصالح الكبرى التي جعل الإسلام المرأة من أجلها من وراء الحجاب أن يتطهر على الأقل ذلك الصدر الذي يتغذى بألبانه الطفل المسلم، فيبقى مشرقاً بنور الإسلام وأن يحفظ على الأقل ذلك الحجر الذي يتربى فيه الطفل المسلم من تأثير الكفر والضلال وفساد الأخلاق والأعمال"[2] .

ثالثاً/ يمقت المودودي رحمه الله نظام الغرب السياسي الذي فرض على امتنا فتلك النظم والنظريات " لم تكن لديننا ودنيانا أقل ضرراً من شيء آخر. فقد زعزت نظريتهم اللادينية كياننا الديني وكادت تأتي تصوراتنا وعقائدنا الدينية من القواعد، ومازلنا نرزح طوال قرن كامل تحت نظريتهم القومية والديمقراطية " [3]

رابعاً / قام المودودي رحمه الله بمشروع تجديدي إصلاحي متكامل أسسه أربعة وهي :

" الأساس الأول / تطهير الأفكار وتعهدها بالغرس والتنمية.

الأساس الثاني / استخلاص الأفراد الصالحين وجمعهم في نظام واحد وتربيتهم.

الأساس الثالث / السعي في الإصلاح الاجتماعي.

الأساس الرابع / العمل على إصلاح الحكم والإدارة "[4]

- الإمام حسن البنا [١٣٢٤هـ /١٩٠٦م]-[١٣٦٨هـ/١٩٤٩م] :

المولد والنشأة :

ولد الإمام البنا بالمحمودية في محافظة البحيرة على بعد تسعين ميلاً شمال غرب القاهرة. ولما تجاوز سن الطفولة وجهه والده الشيخ عبد الرحمن البنا وجهة دينية " حيث حفظ القرآن الكريم تمهيداً لإلحاقه بالأزهر ثم التحق بمدرسة الرشاد الدينية حتى سن الثانية عشر ثم درس الإعدادية والتحق بمعهد ديني بالإسكندرية ليكون أزهرياً ثم في السادسة عشر من عمره انتقل

---

[1] - حريم الرجل ما يدافع عنه ويحميه، ومنه سميت نساء الرجل بالحريم .

[2] - نحن والحضارة الغربية: ص٢٢٤.

[3] - موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم : المودودي ص١٧٩، دار الفكر، لبنان، ط٢،١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .

[4] - موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم: ص ٢٠٥ .

إلى القاهرة وعين مدرساً للغة العربية بإحدى المدارس الابتدائية الحكومية حتى استقالته عام ١٩٤٦م، ثم انتقل إلى الإسماعيلية ليعلم فيها الصبية نهاراً والآباء ليلاً كما اشتغل هناك بالوعظ والإرشاد.

آثاره :

أولاً /" تأسيس جماعة الإخوان المسلمين عام (١٣٤٧هـ-١٩٢٨م) وقد تعاهد فيها مع رفاقه بأن يكونوا إخوة في خدمة الإسلام.

ثانياً/ مع انتقاله إلى القاهرة عام ١٩٣٢م استطاع أن يثبت وجود الإخوان المسلمين هناك حيث عقد بها مؤتمرها الأول عام ١٩٣٣م، ثم أصدر بعض من الصحف والمجلات كالمجلة الأسبوعية للإخوان المسلمين التي صدرت بهذا المسمى .

ثالثاً/ حاول المستعمرون الإنكليز إغراء الأستاذ البنا بالمال تارة وبالمنصب تارة أخرى إلا أنهم فشلوا في ذلك فلجئوا إلى اعتقاله والتضييق عليه وعلى إخوانه، كما عملوا بعد ذلك على إفشال وصوله ومعاونيه إلى سدة الحكم إبان الانتخابات التي أعلنتها الحكومة .

رابعاً / أصبح حسن البنا قائداً ينطوي تحت قيادته حركات التحرر العربية والإسلامية مما شكل خطراً على مصالح المستعمرين وأذنابهم في مصر، مما حدا بهم إلى اتخاذ أسلوب التضييق الجسدية حيث عارض الإخوان وجود أي اتفاق بين مصر وإنجلترا. ثم في عام ١٩٤٨م عقد اجتماع بين انجلترا وفرنسا وأميركا للسعي في حل جماعة الإخوان المسلمين بواسطة السفارة البريطانية في القاهرة إلى أن تم اغتيال البنا بعد أن كان أمل الشرق في صراعه مع الغرب المستعمر " [1]

أما مؤلفاته :

فمن أشهرها " (مذكرات الدعوة والداعية)، (العقائد بين الإسلام واليوم)، (الإخوان المسلمون تحت راية القرآن)، (الجهاد)، (المناجاة) "[2]

---

[1] - انظر : الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية : نبيه زكريا عبد ربه، ص (١١٨ - ١٣٧) دار الثقافة ، قطر –الدوحة ،١٩٨٦م .

[2] - معجم المؤلفين ص (٥٣٥/١) .

جهوده في التصدي للتغريب :

راقب البنا عن كثب عمليات التبشير و التغريب التي تواصل العمل على تنفيذها في مصر تحديداً وفي غيرها من أقطار المسلمين، حيث لم تعد في خفاء فهاهي تلك العمليات تحدث جهاراً نهاراً وعلى جميع الأصعدة وعلى كل فئات المجتمع من شباب ونساء وأطفال على مرأى ومسمع من السلطات الحاكمة. فرأى رحمه الله توحيد جهود الغيورين وأخذ العهد على نفسه التصدي لتلك المؤتمرات انطلاقاً من شعوره بالمسؤولية فكانت حياته مليئة بالجهاد والتضحيات والمواقف الحازمة لمقاومة طوفان الباطل والتي منها :

أولاً / دعوته للعودة إلى تعاليم الإسلام الصافية لإنقاذ الأمة من نكبتها حيث جاء في مذكرات الدعوة والداعية قوله : " يا صاحب الرفعة : إننا ورثنا الإسلام وتعاليمه منذ أجيال، وانتهت إلى مصر زعامة الإسلام وإمامة المسلمين ما في ذلك شك، وسرت إلينا من أوروبا نظم وأفكار منها ما يتفق مع الفكرة الإسلامية، ومنها ما يصدمها ويتنافى معها، ولا زالت هذه الأفكار الأوروبية تفعل فعلها، وتتمكن من نفوس الكثيرين من المثقفين في مصر .. إن الطريق الوحيد للإصلاح هو أن تعود الأمة إلى تعاليم الإسلام فتطبقها تطبيقاً سليما، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة، شرقية أو غربية مالا يتنافى مع هذه التعاليم ويكون فيه الخير للأمة... "[1]

ثانياً/ أولى توعية المرأة المسلمة عناية فائقة نظراً لما لها من أهمية في بناء المجتمع المسلم حيث قال: (إن الأمة كما ترون في تدهور خلقي وخلل اجتماعي، بدت أعراضه في كل مظهر من مظاهر الحياة..... وأساس إصلاح الأسرة وأول إصلاح الأسرة إصلاح الفتاة، المرأة أستاذ العالم .. وإن على الفتاة المسلمة أن تفهم أن مهمتها من أقدس المهمات، إن أثرها في حياة أمتها أعمق الآثار وأن في مقدرتها أن تصلح الأمة إذا وجهت عنايتها لهذا الإصلاح) .[2]

ثالثاً/ تصدى للفكرة العلمانية التي استحسنها سُذاج الأمة كوسيلة لنهضة البلاد حيث إن " الأسباب التي دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف عن الإسلام واختيار تقليد الغرب؛ دراسة قادتها النهضة الغربية واقتناعهم بأنها لم تقم إلا بتحطيم الدين وهدم الكنائس والتخلص من

---

[1] - مذكرات الدعوة والداعية : الإمام حسن البنا ص (٢٩٨-٢٩٩) ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة.

[2] - المصدر السابق : ص (١٨٦- ١٨٧) .

سلطة البابوية وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية في الأمة، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تاماً، وذلك إن صح في الأمم فلا يصح أبداً في الأمم الإسلامية، لأن طبيعة التعاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أي دين آخر، وسلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة لا تملك تغيير الأوضاع ولا قلب النظام، مما جعل القواعد الأساسية في الإسلام على ممر القرون تساير العصور وتدعوا إلى الرقي وتعضد العلم وتحمي العلماء، فما كان هناك لا يصح أن يكون هنا " [1]

رابعاً / كشف عوار الثقافات الغربية الوافدة وكل ما جاءت به من فلسفات ونظريات فقال في رسائله : " ألسنا نرى هذه النظم والتعاليم والفلسفات حتى في العلوم وفي الأرقام يحطم بعضها بعضاً، ويقضي بعضها على بعض، ويرجع الناس بعد طول التجربة وعظيم التضحيات فيها بمرارة الغش وخيبة الأمل وألم الحرمان " [2].

خامساً / دعا البنا إلى محاربة الرذيلة والانحلال على جميع الأصعدة نظراً لكون " هذه الإباحية المغرية والمتعة الفاتنة واللهو العابث في الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع يناقض ما أوصى به الإسلام بأتباعه من عفة وشهامة وإباء وانصراف إلى الجد وابتعاد عن الإسفاف .. فكل هذه المظاهر وأشباهها على الأمم الإسلامية أن تبذل في محاربتها ومناهضتها كل ما في وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود، لا تني في ذلك ولا تتواكل " [3].

سادساً/ دعا إلى الوحدة الإسلامية وحدة (العقيدة) كبديل للقوميات التي جزأت الأمة حيث قال (وإذا كان في الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس القومية التي تستهوي قلوب الشعوب وتحرك عواطفهم، فإن هذه الدروس القاسية التي يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفيء الناس إلى الرشد ويعودوا إلى التعاون والإخاء.

ولقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة – أولاً – ثم وحد النظم بعد ذلك. وظهر هذا المعنى الساحر النبيل في كل فروعه العملية) [4].

---

[1] - مجموع رسائل البنا : الإمام حسن البنا، ص٢١١، مؤسسة الرسالة، بيروت .

[2] المصدر السابق ص ٣٣٧ .

[3] - المصدر السابق ص ١٦٦ .

[4] - المصدر السابق ص ٨٣ .

سابعاً / بين مثالب المدنية الغربية حيث هي الآن تفلس وتندحر " وتندك أصولها وتنهدم نظمها وقواعدها فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية يجتاحها الأزمات، ويشهد ضدها البائسين من العاطلين والجائعين، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان، وقد حار القوم في علاج شأنها وضلوا السبيل مؤتمراتهم تفشل، ومعاهداتهم تخرق، ومواثيقهم تمزق، وعصبة أممهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ له، ويد العظيم فيهم توقع مع غيره ميثاق السلام والطمأنينة)[1] .

- سيد قطب [١٣٢٤هـ/١٩٠٦م]-[١٣٨٦هــ/١٩٦٦م]:

المولد والنشأة :

" ولد سيد قطب إبراهيم حسن شاذلي في قرية (موشة) إحدى قرى محافظة أسيوط وعاش طفولته وصباه في قريته، وتلقى فيها دراسته الابتدائية. كان منشأه في أسرة متآلفة متجانسة، حيث أثر والداه على تربيته وتنشئته تأثيراً كبيراً. وظهرت لمساتهما على الكثير من جوانب شخصيته، فقد تميزا بصلاحهما وتمسكهما بتعاليم الإسلام، وكان من ثمار هذه التربية حفظه للقرآن الكريم في سني عمره الأولى. ثم سافر إلى القاهرة عام ١٩٢٠م والتحق بإحدى المدارس هناك لينال إجازة الكفاءة للتعليم الأولي، ثم أكمل دراسته حتى حمل شهادة البكالوريوس في الآداب عام ١٩٣٣م "[2]

آثاره :

كانت الأجواء التي عاشها سيد قطب في نشأته تربي فيه الحماس للعمل الدعوي حيث أبدع في ساحة الفكر الإسلامي فكانت له آثاره في هذا الميدان والتي منها :

أولاً/ بدأ سيد قطب عام ١٩٤٩م يشعر بأن الكتابات الإسلامية إذا لم تكن هادفة فإنها تبقى في عداد التراث الذي لا يوقظ أمة ولا يحيي قلوباً .

وعلى إثر ذلك بدأ مرحلة الكتابة الإسلامية الهادفة " فألف العديد من الكتب الإسلامية المنهجية دافع فيها عن الإسلام وأظهر محاسنه كنظام رباني ومنهج حياة، وهاجم المبادئ الوضعية

---

[1] - مجموع رسائل البنا، ص١٨٨.

[2] - انظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص(١٥-٦٠)، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١٤هــ - ١٩٩٤م.

والأفكار المستوردة ومن هذه الكتب (معركة الإسلام والرأسمالية) و(السلام العالمي والإسلامي) و(نحو مجتمع إسلامي) و (دراسات إسلامية)[1] وتأملاته في كتابه (في ظلال القرآن) ...

ثانياً/ " كان سيد قطب رحمه الله يشعر بآلام قومه في مصر وآلام المسلمين في كل مكان وكان يرى أن الطغاة لا يعرفون السلام لأن السلام عندهم استسلام الضعيف للقوي، فكتب عدة مقالات منعت من النشر ثم ألف كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) الكتاب الذي أحدث ضجة في مصر.

ثالثاً / أرسل سيد قطب عام ١٩٤٨م في بعثة ثقافية " إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة المناهج التعليمية فيها وبقي حوالي سنتين ونصف، فبدل أن تؤثر الحياة الغربية في سيد أوجدت عنده ردة فعل إيمانية نتج عنها الإيمان بأن حضارة الغرب خاوية وهي تسير نحو الإفلاس وأن البديل الوحيد لها هو الحضارة الإسلامية، وبعد عودته إلى مصر ناسب أن ينشر كتابه (الإسلام ومشكلات الحضارة) "[2]

رابعاً / " لما سجن سيد قطب إثر محاولات صهيونية صليبية استعمارية عملت على تدمير الحركات التجديدية في المنطقة تحقيقاً لمصالح تلك الجهات، ساعد هذا على النضج الفكري والعقائدي لدى سيد حيث ظهر له كتابات جليلة في هذه الفترة التي حكم عليه فيها بخمسة عشرة عاماً مع الأشغال الشاقة ثم أفرج عنه بعد قضاء عشرة أعوام منها عام ١٩٦٤م فظهر كتابه (معالم في الطريق) ثم أعيد اعتقاله ليصدر الحكم بإعدامه بتهمة تقويض السلطة عام ١٩٦٦م "[3].

خامساً/ بلغ عدد قصائد ومقالات سيد قطب المنشورة في العديد من المجلات والجرائد المصرية أربعمائة وخمسة وخمسين (٤٥٥) مقالة وقصيدة "[4]

---

[1] - الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية ص ١٤٣.

[2] - انظر : الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية ص (١٤٤-١٤٥) .

[3] - انظر : المصدر السابق ص (١٤٩-١٥٥) .

[4] - سيد قطب من الميلاد وإلى الاستشهاد ص ١٠٩.

جهوده في التصدي للتغريب :

بدا سيد قطب أكثر تعمقاً في تصوره لما يحيط بالأمة من أخطار حيث كشف لنا النقاب عن حقائق واقعية تعيشها الأمة في خضم معركتها الفكرية مع الغرب ومنها :

أولاً / حقيقة مخطط الصليبيين التبشيريين :

يقول في كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية) : نحن الغافلون في الشرق " لا ندرك ضخامة الجهود التبشيرية التي تبذلها أوروبا وأمريكا لنشر المسيحية في أرجاء العالم كله في مجاهل معمورة سواء..... وهذه الجهود لا يقوم بها المبعوثون وحدهم، بل تعتمد كل الاعتماد على الوطنية في البلاد الأخرى وتتخذ لها طرقاً وعنوانات شتى"[1] وهو يشير هنا إلى نصارى مصر والشام ومن على شاكلتهم.

ثانياً/ ومن الحقائق أن " الحضارة المادية الحديثة نشأت في جو من الشرود من الكنيسة، والنفور من ظلها، ومن ظل الدين ..كل الدين ..

ولم تكن لديهم الرغبة، لأنه أية محاولة لتكريم الإنسان، كانت ستذكر بمركزه الذي يعطيه الدين كله.. وكل شيء كان جائزاً في أوروبا إلا أن تجيء سيرة الدين وأن تكون لهذا الدين أية علاقة بأوضاع الإنسان (المدنية) وبالنظم الاجتماعية والاقتصادية، وبعلاقات العمل وارتباطاته وطرائقها الفنية ! بل كانت تتوافر عندهم الرغبة المضادة والحرص على البالغ على تحقير الإنسان، وتدنيسه وتلويثه، وإثبات حيوانيته وقذارته الجنسية من جهة، وضآلة دوره بإزاء المادة وقوانينها الحتمية .. "[2]

ثالثاً/ من الحقائق رداً على دعاة القومية العربية "أن الأمة العربية ليست سوى بضعة من جسم الوطن الإسلامي، ولن تكون إلا كذلك في يوم من الأيام، على الرغم من هذه الفقاعات التي تظهر بين الحين والحين !" [3]

رابعاً/ من الحقائق كذلك أن مبدأ معارضة الدين للعلم ما هو إلا " ملابسات أوروبية بحتة – وليست إنسانية عالمية – ومتعلقة بنوع معين من (الدين) لا بحقيقة الدين، وخاصة بحقبة من

---

[1] - انظر : معركة الإسلام والرأس مالية : سيد قطب (٩٥-٩٦)، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٣٩٣م .

[2] - الإسلام ومشكلات الحضارة : سيد قطب (١٠٩ - ١١٠) ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١١ ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .

[3] - دراسات إسلامية : سيد قطب ص١٦٨، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٠، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

التاريخ خاصة، تملك البشرية أن تتخلص من آثارها التعيسة، حين تفتح أعينها على الحقيقة من وراء دخان المعركة التاريخية ! [1].

- **مصطفى السباعي [١٣٣٣هـ /١٩١٥م]-[١٣٨٤هـ/١٩٦٤م]:**

المولد والنشأة :

" ولد الدكتور مصطفى بن حسني السباعي في مدينة حمص بين أسرة محبة للعلم حيث بدأ الطفل مصطفى بحفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم الشرعية على أبيه ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، وبعد تفوقه فيها التحق بالثانوية الشرعية حيث أتم فيها دراسته عام ١٩٣٠م فكان مع ذلك حريصاً على حضور مجالس العلم التي كان يعقدها والده مع كبار الفقهاء والعلماء، كما كان محباً للمطالعة والبحث في كتب الأدب والثقافة المختلفة. وفي أثناء ذلك كان يلقي خطبة الجمعة في كثير من الأحيان نيابة عن والده، ثم تابع دراسته الشرعية فسافر إلى مصر والتحق بالجامعة الأزهرية عام ١٩٣٣م "[2]

آثاره : كان للسباعي رحمه الله أعمالاً جليلة شهدت له بتفانيه في خدمة هذا الدين وسآتي على جملة منها :

"أولاً/ عمل السباعي على تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في مدارس حمص الابتدائية، ثم أسس معهداً يقوم على أسس من التربية السليمة وسماه بـــ (المعهد العربي الإسلامي) ثم اختير بعدها ليكون أستاذاً في كلية الحقوق بجامعة دمشق .

ثانياً / أنشأ كلية خاصة مستقلة للشريعة الإسلامية عام ١٩٥٥م . وكان أول عميد لها .

ثالثاً / كان له حضور في العديد من المؤتمرات والرحلات حيث ترأس الوفد السوري إلى المؤتمر الإسلامي العالمي في الباكستان عام ١٩٥١م .

رابعاً/ كان ممن قاوم المستعمر الفرنسي وألهب حماس الشعب لمناهضته مما أدى إلى اعتقاله مراراً من قبل السلطات الفرنسية. في الفترة من ١٩٣١م-١٩٣٣م .

---

[1] - المستقبل لهذا الدين : سيد قطب ص ٤٦، دار الشروق ، القاهرة، ط١٤، ١٤١٣هـــ - ١٩٩٣م .

[2] - انظر: مصطفى السباعي رجل فكر وقائد دعوة: عبد العزيز الحاج مصطفى ص (٢٠-٢١) دار عمار للنشر والتوزيع، عمان.

خامساً/ ناهض المحتل الإنجليزي المصري مع إخوانه من طلاب المعاهد وقاد مظاهراتهم ضد الاحتلال البريطاني فاعتقل على أثرها عام ١٩٣٤م .

سادساً/ عاش القضية الفلسطينية بكل مشاعره وكافح من أجلها. حين أقرت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين عام ١٩٤٨م "[١]

من أشهر مؤلفاته :

كتاب (السنة ومكانتها في التشريع) و (الاستشراق والمستشرقون ومالهم وما عليهم) و (من روائع حضارتنا) و (المرأة بين الفقه والقانون) و (السيرة النبوية دروس وعبر) وكانت نهاية هذه السيرة الحميدة أن ابتلي الشيخ مصطفى بالشلل في طرفه الأيسر وظل يعاني هذا المرض حتى توفاه الله "[٢]

جهوده في التصدي للتغريب :

تنوعت جهود السباعي رحمه الله في التصدي لمؤامرات التغريب تبعاً لتنوع الظروف التي مر بها هذا العلم فكان من أبرز تلك الجهود :

أولاً / الدفاع عن مصادر التشريع التي قدح في صحتها أعداء الإسلام وذلك من خلال مؤلفه (السنة ومكانتها في التشريع) حيث كان من الأسباب الدافعة لتأليف هذا الكتاب ما ذكره في مقدمته من دعاوى المستشرقين رد الأحاديث التي لا يقبلها العقل .[٣]

ثانياً / قاوم التوجهات الفكرية المتخاذلة لدى بعض أبناء المسلمين كطه حسين في (الأدب الجاهلي) وأحمد أمين [٤] في (ضحى الإسلام) حيث وصف كتاباتهم التي تدين بالولاء والإكبار

---

[١] - انظر: المصدر السابق ص (٢٢-٤٠).

[٢] - انظر : مصطفى السباعي رجل فكر وقائد دعوة، ص ١٣١ .

[٣] - انظر : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : د. مصطفى السباعي ص ٤٩، المكتب الإسلامي، دار الوراق، ط١، ٢٠٠٠م .

[٤] -(١٨٧٨م- ١٩٥٤م) ولد أحمد أمين بالقاهرة ودرس بالأزهر ثم تولى القضاء بمصر واختاره طه حسين للتدريس بكلية الآداب حتى صار عميداً لها . من مؤلفاته (فجر الإسلام ، ضحى الإسلام) . أنظر: معجم المؤلفين(١٠٦/١) .

[٤] - الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم) د. مصطفى السباعي ص١٠، المكتب الإسلامي ، دار الوراق .

للفرنج المستشرقين بأنها تمثل " دور العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلع نهضتنا العلمية والفكرية الحديثة " [1].

ثالثاً / هاجم في كتابه (من روائع حضارتنا) الحضارة الغربية وبين أنها تقوم على أساس مادي بعيد عن روحانية الدين وتأثيره في نفوس الأفراد والجماهير، ومازال الدين يفقد سلطانه على الغربيين شيئاً فشيئاً حتى وجد الغربيون أنفسهم في هذا المنحدر السحيق وهذا القلق الشامل العميق "[2] كما حكم عليها بالإفلاس " من الناحيتين الروحية والأخلاقية، وأخذ كثير منهم يتجه نحو الشرق عله يجد في ديانته ما يسد فراغه الروحي "[3] .

رابعاً / عمل السباعي على إصلاح المجتمع واستحث المصلحين على غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الشعوب إذ لا يعجبه أن " يجزع دعاة الدين والأخلاق عندنا من انتشار عدوى الخلاعة والاختلاط وتقليد الحياة الغربية في مساوئها دون محاسنها " [4]

ولا يقتصر اللوم في ذلك على الجمهور " فاستقامة المجتمع تكونت بأمرين متلازمين، عقيدة قوية متغلغلة في نفوس الأفراد، وسلطة حازمة ترى من واجبها الحيلولة دون إتحاف الجماهير " [5]

خامساً / حارب الدكتور السباعي دعاة السفور في بلاد المسلمين وأوضح في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون) " أن هؤلاء الذين يحرضون المرأة في أدبهم على الخروج على الآداب الصالحة التي عرفناها، ويغرونها بأن تتبع طريق المرأة الغربية، ويعملون على حرمانها من هدوئها وسعادتها، يحملون أكبر وزر من انحراف المرأة والمجتمع في هذا التيار الضار .. إن

---

[1] - الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم) د. مصطفى السباعي ص١٠، المكتب الإسلامي ، دار الوراق .

[2] - من روائع حضارتنا : مصطفى السباعي ص ٥، المكتب الإسلامي ، بيروت .

[3] - المصدر السابق ، ص ٩ .

[4] - هكذا علمتني الحياة: مصطفى السباعي ص ٢٧٩، المكتب الإسلامي، مكتبة الوراق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[5] - المصدر السابق، ص ٢٨٠ .

هؤلاء الناس من أدباء الجنس يحملون بأيديهم معاول التهديم في صرح كياننا الداخلي المتين"[1]

- أبو الحسن الندوي [١٣٣٢هـ /١٩١٤م]-[١٤٢٠هـ /١٩٩٩م]:

الولد والنشأة :

ولد علي أبو الحسن بن عبد الحي الحسني في قرية (تكية) من مديرية (رائي بريلي) من الولاية الشمالية بالهند، من أسرة ذات أصل عربي عريق، تعيش في الهند منذ قرون، وقد تلقى الشيخ دراسته الأولية في العربية على عدد من العلماء، وواصل تعليمه حتى تخرج في جامعة لكهنئو بتفوق ثم درس علم التفسير ونال إجازته من شيوخه وكان في هذه الفترة قد جمع علوم الأدب والتفسير والحديث من جهابذة العلماء "[2]

آثاره:

أولاً / " مكث الندوي في مجال التعليم والتدريس عشر سنين بعد انقضاء فترة التعليم المنتظم حيث عمل مدرساً للأدب والتفسير في دار العلوم عام ١٩٣٤م .

ثانياً/ نشر في مجلة الندوة سلسلة من المقالات، وهي مجلة طلعت عام ١٩٠٤م تحت رئاسة تحرير العلامة شبلي النعماني حيث كتب فيها جمع من كبار العلماء .

ثالثاً / بعد مضي عشر سنوات من التعليم آثر الندوي أن يخرج من دائرة التعليم المنحصر في تدريس ثلة من الطلاب إلى البدء في المساهمة في تصحيح مسار الأمة، ومن هنا توسع في قراءاته وزاد اطلاعه حتى شمل الكتب السياسية وكتب أدباء العرب.

رابعاً / التحق بعضوية الجماعة الإسلامية هناك بطلب من علمائها عام ١٩١٤م وكان دائم الصلة بالأستاذ المودودي الذي كان رئيساً لها .

خامساً / كان له العديد من الرحلات الدعوية في ولايات الهند والحجاز وانجلترا وغيرها من بلاد العالم، وله مشاركات عدة في مؤتمرات علماء المسلمين .

---

[1] - المرأة المسلمة بين الفقه والقانون: مصطفى السباعي، ص ١٣٣، دار الوراق، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[2] - انظر: علماء ومفكرون عرفتهم: محمد المجذوب (١٣٥/١) دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٩٩٢م.

سادساً / اختير لنيل جائزة الملك فيصل العالمية للخدمة الإسلامية عام ١٩٨٠م "[1]

من مؤلفاته رحمه الله :

للشيخ الندوي العديد من المؤلفات النافعة والتي تعالج في معظمها قضايا العالم الإسلامي ومنها على سبيل المثال :

" كتاب (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) و (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) و (الصراع بين الإيمان والمادية) و (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) و (إلى الإسلام الجديد) و (المسلمون وقضية فلسطين) " [2]

جهوده في التصدي للتغريب :

إن حياة الندوي كانت حافلة بالعديد من أعماله التي خدم بها دينه حيث انصبت جهوده على درء الأخطار المحدقة بالأمة جراء لهثها وراء سراب الغرب يأتي ذلك في صور عدة منها :

أولاً / تحذيره للأمة من نتائج التهافت على حضارة الغرب الزائفة إذ ليس ما تتلقفه شعوبنا منها خير محض يقول رحمه الله " وإذا لم يكن الاقتباس من الحضارة الغربية ومرافقها ومنتجاتها عن إرادة وبتصميم وباختيار وتمييز، وعن فقه وبصيرة، هجمت على هذا القطر أو المجتمع غصباً، وعلى الرغم من قادتها وولاة الأمر فيه، وعلى الرغم من علماء وزعماء الدين، ورحب بها أهل البلاد، وفتحوا لها الأبواب، والتهموها – بصالحها وفاسدها - في نهامة وجشع، واكتسحت القيم الدينية والخلقية وغلب قادة البلاد أو ولاتهم على أمرهم، وأفلت منهم الزمام إلى آخر الأبد "[3]

ثانياً / مساهمته رحمه الله في تنمية الفكر الإسلامي ونشر الفكر الإسلامي في أوساط الجامعات والكليات والمجامع العلمية بالعديد من المحاضرات التي يعد من أكثرها تأثيراً

---

[1] - انظر : أبو الحسن على الحسني الندوي في مسيرة الحياة ، دار القلم ، دمشق ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

[2] - انظر : علماء ومفكرون عرفتهم (١٤٤/١) .

[3] - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية : أبو الحسن علي الندوي، ص٢٢، دار الندوة، لبنان، ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

محاضرته التي ألقاها في الجامعة الملية الإسلامية بدلهي عام١٩٤٢م بعنوان (بين الدين والمدنية) حيث بين فيها خطورة الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين واستنهض عزائم الغيورين لمقاومته فقال : " لقد أصبح العالم كله خراباً يباباً بإغارتهم وغزوهم، يا باني الحرم، ويا خليفة إبراهيم، انهض لبناء العالم من جديد، انتبه من السبات العميق الذي طال أمده واشتدت وطأته "[1]

ثالثاً / حارب الفلسفات والمذاهب الغربية التي حملتها أوروبا إلى الشرق لكونها تقوم على إنكار أسس الدين وإنكار القوة المصرفة لهذا الكون (الإله، الخلق والأمر) وعلة إنكار عالم الغيب والوحي والنبوات .. وإنكار القيم الروحية والخلقية منها ما تبحث في علم الحياة والنشوء والارتقاء، ومنها ما تتصل بالأخلاق، ومنها ما تدور حول علم النفس، غزت هذه الفلسفات المجتمع الشرقي الإسلامي وتغلغلت في أحشائه وكانت أعظم ديانة ظهرت بعد الإسلام في التاريخ، أعظمها انتشاراً وأعظمها ظهوراً وأقواها سيطرة على العقول والقلوب، وأبل عليها زهرة البلاد الإسلامية وزبدتها عقلاً وثقافةً "[2]

رابعاً / إظهاره لزيف وخطر الشعارات القومية التي أضرت بالشعوب الإسلامية :

ذلك أن القوميين " في داخل البلاد وخارجها يزينون للشعوب الصغيرة القومية ويطرون أدبها ولسانها وثقافتها وتهذيبها، ويمجدون لها تاريخها حتى تصبح نشوانة بالعواطف القومية والخيلاء والكبرياء، وتدل بنفسها وتظن أنها مانعتها حصونها ما أعدت للحرب، وتنقطع عن العالم .. أو تهجم عليها الدول فلا تلبث إلا عشية أو ضحاها، وتذهب ضحية قوميتها وانحصارها في دائرة ضيقة، ولا يغني أولئك المسؤولون عنها شيئاً (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)[3] . "[4]

---

[1] - بين الدين والمدنية : أبو الحسن على الحسن الندوي، ص١٢٤، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

[2] - ردة ولا أبا بكر لها : أبو الحسن على الحسني الندوي ص ٦، مطبعة المدني، القاهرة ، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

[3] - سورة الحشر آية ١٦ .

[4] - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي ص ٢٠٧، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٨ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- أنور الجندي [١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م]-[١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م]:

المولد والنشأة :

" ولد أحمد أنور سيد أحمد الجندي في مدينة ديروط من مديرية أسيوط مصر ونشأ في بيت علم ودين، حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية، وكان والده مولعاً بمتابعة مقالات المعاصرين التي تنشرها الصحف والكتب الجديدة فكان من إيحاء ذلك الجو أن بدأ الجندي باتصاله بالكتب وذلك من خلال قراءته لما تحويه مكتبة والده، وفي دراسته الابتدائية ألقي محاضرة عن الأدب العربي الحديث فعجب الحضور من روعتها ومادتها الجيدة، وكان وثيق الصلة بأئمة المساجد في بلده مما ساعد على اختيار نوعية الأصدقاء، كما كان يحرص على حضور مجالس العلم في تلك المساجد، ولقد صقل شخصيته الفكرية العديد من الأحداث التي جرت في نشأته كأحداث تقسيم فلسطين وسقوط الدولة العثمانية وسيطرة المستعمرين وأذنابهم على الصحافة والإعلام والثقافة في مصر ".[1]

آثاره:

لقد كان الجندي رحمه الله من المفكرين البارعين الذين ساهموا في إبراز معالم الفكر الإسلامي النير حيث قضى جل عمره في مواجهة ما يسمى بــ (حرب الكلمة) تلك الحرب التي يتزعمها ويخطط لها المبشرون والمستشرقون قادة الغزو الفكري يقول رحمه الله متحدثاً عن نفسه (قد أمضيت الآن أكثر من أربعين عاماً في الكشف عن هذه الخطط والرد عليها في عديد من الدراسات، التي نشرتها في الصحف أو قدمتها في مؤلفات أو ألقيتها في مؤتمرات عالمية امتدت من إندونيسية إلى الجزائر " [2]

من مؤلفاته :

كتاب (ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي) و (تاريخ الصحافة العربية) و (وسقوط الأيدلوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ) و (مشكلات الفكر المعاصر) و (التيارات الوافدة) .....

---

[1] - انظر : علماء ومفكرون عرفتهم ج (٢) ص (٤٥-٥٢) .

[2] - علماء ومفكرون عرفتهم (٥٣/٢) .

جهوده في التصدي للتغريب :

في النقاط التالية سألقي الضوء على أهم الركائز التي قامت عليها جهود الجندي في تصديه للتغريب فأقول :

الركيزة الأولى :

أن تكونه الفكري قائم على القرآن والسنة أي بمفهومه الأصيل لذا رأى أن قضية الغزو الثقافي والتغريب " كبرى قضايا العصر وأولى تحديات النفوذ الأجنبي حيث تفنى أعمار المفكرين في سبيل تصحيح المفاهيم وتحرير القيم والكشف عن الزيوف والسموم المثارة المطروحة في أفق الفكر الإسلامي .. التي ترمي في مجموعها إلى القضاء على الهوية الإسلامية والذاتية والخاصة للمسلمين التي أقامها الإسلام (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)[1] حتى لا يذوب المسلمون في أتون العالمية أو الأمية التي تجعل منهم أشبه بالقطيع العام وتحول بينهم وبين ظاهرة التميز الخاصة التي أعطاهم الإسلام "[2]

الركيزة الثانية :

البحث عن أسباب الانحراف الفكري الذي خضعت له الأمة ومحاولة علاجها :

حيث رأي ضرورة إعادة النظر في مناهج الأدب والنقد الأدبي والتاريخ والنفس لأن " المناهج الغربية تعمل على تعرية الشخصيات وتبحث عن الشبهات وفصل الأدب عن الدين والأخلاق والاجتماع، وإطلاق الفنون والآداب من قيود الأخلاق وتبعية المجتمعات وأعرافها الأصلية "[3]

الركيزة الثالثة :

دراسة بعض الشخصيات الغربية المعارضة لمفاهيم الإسلام وكشف أهدافها وأخطائها "[4]

---

[1] - سورة البقرة آية ١٣٨.

[2] - شهادة العصر والتاريخ خمسون عاماً على طريق الدعوة الإسلامية: أنور الجندي ص٨، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

[3] - المصدر السابق ص١٢.

[4] - انظر: المصدر السابق، ص١٨١.

- الشيخ محمد الغزالي [١٣٣٥هـ/١٩١٧م]-[١٤١٦هـ/١٩٩٦م] :

المولد والنشأة :

"ولد الداعية المفكر محمد الغزالي السقا .. بمصر ونشأ في أسرة ريفية فقيرة ومتدينة في قرية (نكلا العنب) مركز(إيتاي البارود) محافظة البحيرة بدلتا مصر ، وقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره ، والتحق – طالباً للعلم – بالمعهد الديني التابع للأزهر الشريف ، بمدينة الإسكندرية ، فحصل على شهادة الإبتداية ومن نفس المعهد القسم الثانوي حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية سنة (١٩٣٧م) ثم التحق في العام نفسه بالتعليم العالي الأزهري كلية أصول الدين بالقاهرة وفيها تلقى العلم على كوكبة من كبار العلماء وتخرج من أصول الدين فنال شهادة العالمية سنة (١٩٤١م) كما حصل من نفس الكلية على إجازة الدعوة والإرشاد سنة ١٩٤٣م ، وعند ملاقاته بالإمام حسن البنا عام ١٩٣٧م بدأ أهم تحولات حياته الفكرية العلمية "[1]

آثاره :

" لقد عاش الشيخ محمد الغزالي للدعوة عمره ، وكانت هي أكبر همه ومحور فكره وعمله ولم يلهث وراء مال أو جاه ، ولم يركض وراء المناصب وقد استهل دعوته بعد دراسته الأزهرية المتعمقة حيث تنوعت أساليبه الدعوية متمثلة فيما يلي :

أولاً/ الخطب النافعة التي كان رحمه الله يربطها بالواقع لتقوم عوجه وتعالج أمراضه، وتسدد مسيرته في ضوء تعاليم الإسلام.

ثانياً/ كتاباته الصحفية : وقد زاول مهنة الصحافة وبرز بكتاباته النيرة منذ شبابه المبكر حيث كتب في مجلة (الإخوان المسلمين) وفي مجلة (المباحث) و(الدعوة) و (لواء الإسلام) بمصر و(الأمة) القطرية وكان له عمود أسبوعي بجريدة الشعب المصرية تحت عنوان (هذا ديننا) وصحيفة المسلمون السعودية تحت عنوان (الحق المر) .

---

[1] - انظر : الشيخ محمد الغزالي (الموقع الفكري والمعارك الفكرية). د/محمد عمارة ص ٢٩، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

ثالثاً/ نشاطه الإذاعي والتلفزيوني: وقد أذيعت للشيخ أحاديث كثيرة في أقطار شتى في الإذاعات المسموعة والمرئية ، عملت في تنوير العقول بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة وأحسب أنه كان لها أثر في امتداد الصحوة ونموها ، ورسوخ جذورها .. "[1]

مؤلفاته:

كثير ممن عرف الشيخ الغزالي لم يعرفه أولاً إلا من خلال نتاج قلمه فقد بلغ نحو ستين كتاباً " ومن قرأ للغزالي أدرك أنه أمام كاتب مقالة من الطراز الأول وأن القلم في يده أشبه بالسيف في يد ابن الوليد أو صلاح الدين فهو سيف الله المسلول على أعدائه ، به يدافع وبه يهاجم "[2] دون اعتداء على أحد . ولعل من أهم تلك المؤلفات كتاب (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين) و(ظلام من الغرب) و(قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) و(الاستعمار أحقاد وأطماع) و(الغزو الثقافي يمتد في فراغنا) و(فقه السيرة) ، وقبل أكثر من عشر سنوات رحل عن عالمنا هذا الإمام الجليل مخلفاً وراءه إرثاً فكرياً لا مثيل له .

جهوده في التصدي للتغريب :

لقد كان الغزالي نموذجاً فريداً من العلماء المجددين لكونه امتاز بوعيه " بأبعاد الحرب المعلنة – تاريخياً - ضد الإسلام وأمته وحضارته مدركاً لخطر الأمراض الداخلية التي تفترس الأمة ، والتي يحرسها الغرب الاستعماري لتظل أمتنا في حالة (الرجل المريض)"[3] .

وعلى هذا الصعيد يتضح لنا بجلاء أن الشيخ الغزالي استطاع أن يكشف مكمن الداء ويذب عن الأمة مخاطر تلك الأدواء التي توغلت في فكر الأمة ، وإليك نماذج من تلك الجهود :

أولاً/ خاطب ضمير الأمة داعياً إلى العودة إلى حياض الإسلام ونبذ الأفكار المستوردة التي فرقت ولم تجمع وأضرت ولم تنفع ، فقال : إن راية (العلمانية) لن تكسب خيراً، فهل نرجع إلى الإسلام عقيدة وجهاداً لا سياسة وشعاراً ؟

لعل أول ما كسبه العرب من تجاهل الإسلام هذا التفرق الشائن الذي سر أعداءهم وأرخص مكانتهم العالمية. إن الإسلام الضمان الوحيد للوجود العربي في هذه الدنيا ، قبل أن يضمن لهم

---

[1] - انظر الشيخ الغزالي كما عرفته . يوسف القرضاوي ص(٥٧-٦٥) دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

[2] - المصدر السابق . ص ٦٣

[3] - الشيخ الغزالي الشيخ محمد الغزالي (الموقع الفكري والمعارك الفكرية) ص ١١.

في الآخرة جنة عرضها السموات والأرض .. والعرب عندما يزهدون في الإسلام سوف يعودون قبائل متحاقدة لا تزن عند الله ولا عند الناس جناح بعوضة ..!"[1]

ثانياً / أعلن الجهاد الفكري ضد قوى الغزو الثقافي مستنهضاً همم المصلحين من أبناء هذه الأمة فقال : "إن قوى الكفر كلها تحارب الإسلام فينبغي أن يدافعها الإسلام بمجتهديه ومفكريه كلهم ، لا بواحد منهم وحسب ..... إن المذاهب المادية والأديان الخرافية رزقت دعوة على درجة ملحوظة من الذكاء والقدرة فاستكثرت من الأتباع وأغرت الكثير بالدخول فيه. وإذا انتصر الإلحاد على الإيمان في معركة فليس العيب في الإيمان ، ولكن في أتباعه والمنتسبين إليه .. ونعود إلى سماسرة الغزو الثقافي لنكشف خباياهم ونحذر منهم" .[2]

ثالثاً/ عمل الشيخ الغزالي على الحد من مساعي المستشرقين لهدم الإسلام واعتبر ذلك واجب كل غيور فإذا " كان الاستشراق قد قام على أكتاف الرهبان والمبشرين في أول الأمر ثم اتصل بعد ذلك بالمستعمرين ، فإنه مازال يعتمد هؤلاء وأولئك . ولو أن أكثرهم يكرهون أن تنكشف حقيقتهم ويؤثرون أن يختفوا وراء مختلف العناوين والأسماء . هل يلومنا أحد إذا وطنا العزم على استخرام هؤلاء المستشرقين من مكانهم ومزقنا الأغشية التي يلفونها على وجوههم في ميدان الجدل العلمي وجهاً لوجه .. ؟ إنهم يريدون الإتيان على الإسلام، فكيف نتحرج نحن أن نأتي بنيانهم من القواعد ؟! "[3]

رابعاً/ " سلط الضوء على بعض الدراسات الغربية حول مفاسد مساواة الرجل بالمرأة خاصة في مجال الأعمال كردٍ على دعواهم الباطلة التي تنادي بالمساواة بين الجنسين دون مراعاة للجانب الفطري لديهما " [4]. ومحذراً في نفس الوقت من خطر الاختلاط حيث قال: " إن الحجاب المشروع ، وغض البصر، وإخفاء الزينا، والمباعدة بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء في

---

[1] - سر تأخر العرب والمسلمين . محمد الغزالي ص ١١٢ ، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر ، القاهرة ، ط٧ ، ٢٠٠٥م .

[2] - انظر: ظلام في الغرب. محمد الغزالي ، ص ١٢٦ ، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٥م .

[3] - دفاع عن العقيدة والشريعة . محمد الغزالي ص ٨ ، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة ، ط٧، ٢٠٠٥م .

[4] - انظر : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، محمد الغزالي ، ص ٤٠، دار الشروق .

اختلاط فوضوي ، وملء أوقات الفراغ بضروب الجهاد العلمي والاجتماعي والعسكري – عند الحاجة – كل ذلك يؤتي ثماراً طيبة في بناء المجتمع على الفضائل .. "[1]

خامساً/ هاجم دعاة القومية من أبناء العرب لكونها طريقاً بائسة أعادتنا إلى الوراء وأذاقتنا الهزائم أمام القوى المعادية للإسلام وليس" أمام العرب عدة طرق يوازون بينها ويختارون منها . إنها سبيل واحدة يتعين عليهم أن ينطلقوا فيها لا يلوون على شيء ، تلك هي سبيل الإسلام ، الدين الذي أعز آباءهم ، وصنع حضارتهم ، وبوأهم القمم وكانوا من قبله صفراً . ونحن نعرف أن الهزائم الأخيرة أمام الزحف الصليبي واليهودي الحديث أوجدت عصابات من الساسة والقادة والكتاب والخطباء يشككون في قيمة الإسلام ، بل يدعون سراً وجهراً إلى الخلاص منه كلاً وجزءاً ، والإقبال على الغرب ظاهراً وباطناً "[2].

سادساً/ أسهم في فضح العلمانية وكشف عن أصولها الفاسدة التي نتج عنها النفور بين الدين والعلم حيث قال في كتابه صيحة تحذير من دعاة التنصير : إن " العقائد المتوارثة بين النصارى نبتت في الأرض ، ولم تنزل من السماء وهي وليدة مؤتمرات بشرية أشرفت عليها سلطات وثنية ، ولو افترضنا – كذبا- أن لها أسانيد قائمة فإن متونها تصادم العقل والمنطق . وتجعل الدين مرادفاً للأساطير والخرافات ... وهذا سر الصراع بين الدين والعلم ، وسر الشقة الواسعة بين الحضارة المنشودة وما يصبوا إليه رجال الكهنوت ...

إن العلمانية لا رواج لها إلا في عالم تقوده النصرانية ، وتحتكر فيه الحديث عن الدين .. "[3]

- محمد قطب [١٣٣٧هـ / ١٩١٩م]:

المولد والنشأة :

---

[1] - المصدر السابق ص ٤١.

[2] - حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث ، محمد الغزالي ص ٢١٥ ، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٥م .

[3] - صيحة تحذير من دعاة التنصير. محمد الغزالي ص ٩٦، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٥م.

ولد المفكر محمد قطب إبراهيم في بلدة موشة من محافظة أسيوط ونشأ كتنشئة أخيه سيد قطب، ففي بلدته موشة بدأ دراسته الابتدائية حتى أكمل تعليمه الثانوي " وكان يرغب في الالتحاق بكلية الآداب لدراسة اللغة العربية وآدابها غير أنه غير وجهته إلى قسم اللغة الإنجليزية بناء على رغبة شقيقه سيد حيث تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة حاملاً شهادة (الليسانس) مع دبلوم في التربية وعلم النفس .

ثم التحق بوظيفة تعليمية في وزارة التربية والتعليم، وقد وقع على محمد قسط كبير من المحنة والابتلاء باعتقاله من قبل السلطات مرتين عانا فيهما من قسوة التعذيب في تلك السجون مع آلاف المعتقلين من الإخوان المسلمين بمصر، ثم أفرج عنه في السبعينيات فسافر عقبها إلى المملكة العربية السعودية "[1] .

آثاره :

يعتبر الأستاذ محمد قطب أحد رواد حركة الفكر الإسلامي فهو صاحب نشاط دعوي منقطع النظير ومما يذكر في هذا الشأن :

أولاً/" أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية منذ عام ١٩٧٢م

ثانياً/ بدأ مسيرته في الكتابة الإسلامية بظهور أول كتاب له في هذا المجال باسم (الإنسان بين المادية والإسلام)

ثالثاً / عند التحاقه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة - فرع العقيدة - أشرف على عدد كبير من العلماء والدعاة ومن أبرزهم الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي رئيس قسم العقيدة سابقاً، حيث يرجع الفضل له بعد الله في تأسيس مدرسة فكرية إسلامية داخل الجامعات السعودية حيث كان لتلك الرسائل العلمية تأثيرها على العالم الإسلامي بعد أن طبعت في كتب .

رابعاً / حاز محمد قطب على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م عن كتاب (منهج التربية الإسلامية).

---

[1] - انظر: سيد قطب من البلاء إلى الاستشهاد، ص (٤٤ -٤٥).

خامساً / ألقى العديد من المحاضرات عن الدعوة الإسلامية بصفة عامة وعن التربية بصفة خاصة في الجامعات السعودية، كما شارك في العديد من المؤتمرات والندوات وملتقيات الفكر الإسلامي على مستوى العالم الإسلامي.

من مؤلفاته :

كتاب (دراسات قرآنية)و(واقعنا المعاصر) و(ومذاهب فكرية معاصرة) و (المستشرقون والإسلام) و (كيف نكتب التاريخ الإسلامي) و (المسلمون والعولمة) و (لا إله إلا الله عقيدة وشريعة) "[1].

جهوده في التصدي للتغريب :

لقد ربط الأستاذ محمد قطب بين الفكر والواقع عبر نشاطاته التي تحدثت عنها آنفاً ولذا نلاحظ أن الرجل ذا إلمام جيد بأبعاد قضية التغريب في بلاد المسلمين نلمس ذلك من خلال:

أولاً / إبرازه لنظرة الإسلام حول الإنسان رداً على النظريات الفلسفية الغربية التي راحت تتخبط يميناً وشمالاً في مساع لتحديد ماهية هذا الكائن وموقعه من العالم . حيث قال: (إن الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان، وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسموا إلى مستوى الملائكة من الطهر، ولكنه في حالته الطبيعية شيء من هذا وذاك) . وقال في كتابه (التطور في حياة البشر) : " وفي الغرب اصطدمت بالفعل فكرة التطور بمفهوم الدين. وقام بينهما صراع منذ ((عصر النهضة)) الذي قام على أساس لا ديني. وانتهى الصراع بتنحية الدين عن الحياة العلمية وعن الاقتصاد والاجتماع والسياسة "[2].

---

[1] - انظر : القضايا التربوية المتضمنة في كتابات محمد قطب ((دراسة تحليلية)) رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير - جامعة عين شمس - ((تخصص أصول التربية)) إعداد/ محمود محمد السيد ص(٣٧-٤٠) – ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

[2] - التطور والثبات في حياة البشرية : محمد قطب ص ٦ ، دار الشروق – القاهرة ط٨ – ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

ثانياً / ومن خلال كشفه أسرار أسباب نشوء العلمانية الغربية إذ يقول : " نعم .. لسنا نحن المسلمين الذين نقول إن الدين الذي اعتنقه أوربا لم يكن دين الله المنزل على عيسى عليه السلام، إنما يقوله مؤرخوهم وكتابهم، ويقوله كل من يعرف حقائق التاريخ ولقد كان مدى التحريف هائلاً جداً جداً في ذلك الدين الذي اعتنقه أوربا وظنت أنه دين الله .

ولم يكن التحريف في مجال العقيدة وحدها- وهو خطير في ذاتها ولكنه وقع في أمر آخر لا يقل خطراً عن العقيدة، هو فصل العقيدة عن الشريعة، وتقديم الدين للناس كأنه عقيدة فقط بغير شريعة "[1]

ثالثاً / توعية الجيل بحيث يكون قادراً على مجابهة المعادين للإسلام الذين يعملون على إثارة الشبهات حوله لأن " الرد الحقيقي على خصومه هو إخراج نماذج من المسلمين تربت على حقيقة الإسلام فأصبحت نموذجاً تطبيقياً واقعياً لهذه الحقيقة، يراه الناس فيحبونه، ويسعون إلى الإكثار منه، وتوسيع رقعته في واقع الحياة، هذا هو الذي ينفع الناس فيمكث في الأرض وهذا هو مجال الدعوة الحقيقية للإسلام .

رابعاً / بحثه عن الأسباب المفضية إلى انحراف الأمة وبعدها عن الدين حيث يكمن الداء في تخلفنا العقدي ولقد " نشأت كل ألون التخلف التي أصابت العالم الإسلامي .. التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والحربي والفكري والثقافي .. " [2]

لذا دعا للعودة إلى الكتاب والسنة لأننا كلما اقتربنا منهما " ومن حياة السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فنحن ((متقدمون)) عقيدياً (وسلوكياً كذلك بلا شك) وكلما تأخرنا عن الكتاب والسنة وعن حياة السلف الصالح فنحن متخلفون في مجال العقيدة (وبالتالي في مجال السلوك).

---

[1] - العلمانيون والإسلام : محمد قطب، ص ١٠، دار الشروق – القاهرة ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

[2] - واقعنا المعاصر : محمد قطب، ص ١٧٣، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩٠هـ .

وتلك أولى الحقائق المهمة التي ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا، سواء ونحن ندرس خط الانحراف وآثاره، أو ونحن نبحث عن طريق الخلاص، والتي ينبغي كذلك أن نستصحبها معنا دائماً لكي لا نضل الطريق " [1].

إن الدكتور محمد قطب شخصية نادرة وطاقة فكرية بارعة ينبغي أن لا تهدر فقد رسم طريقاً واضحة للأجيال القادمة مبنية على رؤية عميقة وقراءة متفحصة لمستقبل الأمة وكم تحتاج إلى مثله اليوم .

_ عبد الرحمن حبنكة الميداني [١٣٤٥هـ /١٩٢٧م]-[١٤٢٥هـ/٢٠٠٤]:

المولد والنشأة :

ولد الشيخ عبدالرحمن بن حسن حبنكة الشهير بالميداني نسبة إلى حي الميدان في دمشق في العام ١٩٢٧م وكان بيته أول بيئة علمية فتح عليها عينه، إذ كان ذلك البيت مثابة لطلاب العلم الشرعي، ولما أنشأ والده المعهد المسمى (التوجيه الإسلامي) التحق به وتابع دراسته النظامية حتى نهاية مراحلها .

وهناك تركزت نشأته الخلقية والفكرية وتحددت منطلقاته الأساسية في إطار الاتجاه الإسلامي الأصيل وبعد تخرجه تهيأ للتدريس فيه حيث أسندت إليه المواد العقلية والأدبية ومنه الفقه وأصوله والتوحيد ثم سافر إلى القاهرة للاستزادة من العلم حيث التحق هناك بكلية الشريعة بجامعة الأزهر وأكمل دراسته بها إلى أن حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس، ثم عاد إلى دمشق واستمر مدرساً إلى نهاية العام ١٩٦٠م .

آثاره :

وهب الميداني همة عالية جمعت له بين حب العلم وشغفه للدعوة إلى الله لذا كان له بصمته الواضحة في ميدان الإصلاح حيث من آثاره رحمه الله:

أولاً /" بعد انتقاله من التعليم ١٩٦٠م عمل بوزارة الأوقاف وأسندت إليه إدارة التعليم الشرعي فعمل على العناية به ليضاهي نظيره المدني إلا أن السلطات الحزبية حاربت توجهات

[1] - المصدر السابق ص١٧٣.

الميداني خاصة بعد توسع المدارس الشرعية وقيام ثانويات خاصة بالإناث على مستوى المناطق والمحافظات .

ثانياً/ عام ١٩٦٧م أتيح له التعاقد مع كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ثم تحول بعدها إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة .

ثالثاً/ شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية التي منها :

(مؤتمر التعليم الإسلامي) و (ومؤتمر للاقتصاد الإسلامي) و (مؤتمر رسالة المسجد) ثم (مؤتمر الأدب الإسلامي) في لكهنؤ و (ندوة الأدب الإسلامي) في المدينة المنورة " [١].

من مؤلفاته النافعة :

كتاب (مكايد اليهود عبر التاريخ) و (غزو في الصميم) و (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها) و (ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة : صيانة المنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي) و (الأخلاق الإسلامية وأسسها) و (صراع مع الملاحدة) .

جهوده في التصدي للتغريب :

قدم الشيخ الميداني رحمه الله من خلال أعماله جميل العطاء لأمته، حيث ظل طيلة حياته ذلك المفكر المسلم الذي دفعته حميته للدين إلى العمل على إفشال مخططات التغريب وكشف خباياها، موضحاً طريق الخلاص من المآزق التي تعيشها الأمة، يتضح هذا فيما يلي :

أولاً / من خلال سلسلة البحوث التي أعدها حيث تضمنت كشف مكائد أعداء الإسلام والمسلمين فقد قدم رحمه الله " طائفة من الحقائق التاريخية المستندة إلى الوقائع التاريخية، التي اشتملت على ألوان المكر الذي مكره بالإسلام والمسلمين تمثل ما يلي :

١- (جناح التبشير والمبشرين)
٢- (جناح الاستشراق والمستشرقين)
٣- (جناح الاستعمار والمستعمرين)" [٢] .

---

[١] - علماء ومفكرون عرفتهم (٣/٦٠) .

[٢] - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – الاستشراق – الاستعمار) : عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص١٣، دار القلم ، دمشق ط٧ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

ثانياً/ أجرى الدراسات الواعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي في مجالات (التعليم المنهجي) و (التثقيف العام) ورصد التوجهات والتوصيات في هذا الصدد [1].

ثالثاً/ شارك رحمه الله في المؤتمرات الإسلامية التي فندت الواقع الذي تعيشه الأمة ومما جاء في تلك المؤتمرات قوله (إن كتائب بل جيوش الغزاة من أعداء الإسلام، والمسلمين الذين يمثلون أحفاد أعداء القرون القديمة واللقطاء الذين التقطوهم من داخل الشعوب الإسلامية واحتضنوهم ثم ردوهم إلى أهليهم، بعد أن فصموا شخصياتهم قد استطاعت أن تدخل بين المسلمين، في مختلف حقولهم الاجتماعية والفكرية، لبث ما تريد بثه من أفكار مضللة لهم، بالوسوسة والإيحاءات الفكرية التي تسري سريان الداء، وبالمخالطة المقرونة بالإغراء. والمحفوفة بالشهوات المزينة للنفوس. فمن الشهوة المزينة طريق سرى يعبث بالأفكار ويفسدها)[2].

في ركب المتصدين للتغريب :

لقد برز كثير من العلماء والمفكرون الذين كان لهم قدم صدق في مجال التصدي لمؤامرات تغريب الأمة فعلاوة على ما ذكرت سأورد في عجالة بعضاً من تلك الشخصيات التي كان لها ولم يزل تأثير على ساحة الفكر الإسلامي ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً/ الدكتور محمد محمد حسين [١٣٣٠هـ/١٩١٢م]-[١٤٠٢هـ/١٩٨٢م]:

من جهوده في التصدي للتغريب :

١- عمل الدكتور محمد محمد حسين على تتبع أثر التغريب على الفكر الإسلامي الحديث خاصة عقب الحرب العالمية الثانية .[3]

٢- فضح المخططات والبرامج التي روج لها دعاة التغريب في المجتمعات الإسلامية

[1] - (تحدث الميداني في كتابه غزو في الصميم عن تلك الدراسات)، انظر: غزو في الصميم: عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم ، دمشق ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

[2] - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي، الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ . دار الثقافة والنشر بالجامعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

[3] - انظر كتابه (الإسلام والحضارة الغربية) .

كالاختلاط وإفساد مناهج التعليم .. ، وبين أن أصابع الصهيونية العالمية التي تطمع في إرث الأرض هي من وراء تلك الدعوات والدعايات . [1]

ثانياً / مالك بن نبي [١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م]-[١٣٩٣هـ/١٩٧٣م] :

من جهوده في التصدي للتغريب :

١- انطلاقا من وعيه بمسيرة العالم الحديث نادى بفكرة تجمع إسلامي جديد سماه (فكرة كومنولث إسلامي) يرسم إطاراً لمشروع يمنح العالم الإسلامي موقعاً له في خريطة العالم المعاصر[2] .

ثالثاً/ الشيخ : بكر أبو زيد [١٣٦٥هـ/١٩٤٦م]-[١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م]:

من جهوده في التصدي للتغريب :

١- واجه دعاة المرأة للرذيلة وكشف عن مساعيهم لإفسادها في كآفة المجالات مع رصد موثق لما آل إليه حال المرأة المسلمة في بلدان شتى . [3]

رابعاً / الشيخ عبد العزيز بن باز :

من جهوده في التصدي للتغريب :

نقد فكرة القومية العربية وبين مثالبها مع تقديم رؤية شرعية حيال هذا الفكر الوافد مبنية على الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم .[4]

خامساً/ الشيخ علي الطنطاوي [١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م]-[١٤٢٠هـ/١٩٩٩م]:

من جهوده في التصدي للتغريب :

١- في خضم الهجمة على التاريخ الإسلامي قدم الشيخ الطنطاوي صوراً رائعة لسير

---

[1] - انظر: كتابه (حصوننا مهددة من داخلها) .

[2] -انظر: كتابه (فكرة كومنولث إسلامي) .

[3] - انظر : كتابه (حراسة الفضيلة) .

[4] - انظر : كتابه (نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع) .

بعض أعلام الإسلام في مؤلف أسماه (رجال من التاريخ) كرد على شبه ومفتريات المعادين لذلك التاريخ المشرق .[١]

سادساً/ زينب الغزالي الجبيلي: [١٣٣٥هـ/١٩١٧م]-[١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م]:

من جهودها في التصدي للتغريب :

أنشأت مركزاً للسيدات عام ١٣٥٦هـ ومعهداً ملحقاً بالمركز يتولى تربية الفتيات من السادسة عشر وإعدادهن لمهمة الوعظ والإرشاد لكونها ترى ضرورة العمل الدائب لإقامة المجتمع الإسلامي المتكامل .[٢]

هذا ولا زال في ميدان الدعوة آخرون جددوا للصحوة الإسلامية روحها وأسهموا في تقوية بنيانها فكانوا خير خلف لخير سلف ومنهم :

سابعاً/ المفكر الإسلامي محمد عمارة [١٣٥٠هـ/١٩٣١م]:

من جهوده في التصدي للتغريب :

١- دافع عن الشريعة الإسلامية التي تحاول قوى الاستعمار استبدالها بالعلمانية باعتبارها تبعية فكرية غربية وذلك من خلال اختراق العقل المسلم والمجتمعات الإسلامية .[٣]

٢- أعطى تصوراً عن رؤية الغرب للعالم الإسلامي وما تهدف إليه مساعيهم مكراً بالإسلام وأهله

من خلال منطلقاتهم التي من أهمها (التركيز على الأقليات المسلمة و مشروع التجزئة بين بلاد المسلمين ، وجهود التنصير) .[٤]

---

[١] -انظر: كتابه (رجال من التاريخ) .

[٢] - انظر : علماء ومفكرون عرفتهم . (١٢٣/٢) .

[٣] - انظر: كتابه (الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية) .

[٤] - انظر: كتابه (الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين) .

ثامناً/ الدكتور: علي جريشة [١٣٧٢هـ/١٩٥٣م]:

من جهوده في التصدي للتغريب :

أولاً/ كان من أوائل من قدم حقوق الإنسان في التصور الإسلامي مقارنة بحقوقه المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة.

ثانياً/عارض فكرة إقصاء التعليم الديني في مدارس المسلمين ورأى وجوب اتحاد التعليم ليكون كله دينياً وذلك لفهم الشريعة الغراء ودراستها وتطبيقها في الأجيال القادمة . [١]

تاسعاً/ الشيخ الدكتور : يوسف القرضاوي [١٣٤٤هـ/١٩٢٦م]:

من جهوده في التصدي للتغريب :

١ - أسهم الشيخ القرضاوي في إيجاد صحوة إسلامية حقيقية أصيلة، تتميز بالرشد والنضج والاستنارة .[٢]

٢ - حذر من خطورة نتائج الرضوخ لرغبات أعداء الإسلام التي تنادي بتغيير خطابنا الديني تبعاً لإملاءاتهم لما تجره من آثار على واقع المسلمين واستقرار الشعوب . [٣]

- ٢

عاشراً/ الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي [١٣٧٥هـ/١٩٥٥م]:

من جهوده في التصدي للتغريب :

١ - قدم دراسة وافية عن العلمانية نشأة وتطوراً خدم بها مجال الفكر الإسلامي وفتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي في جامعات المملكة العربية السعودية . [٤]

---

[١] - انظر: كتابه (شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها).

[٢] - انظر : كتابه (من أجل صحوة راشدة).

[٣] -انظر : كتابه (خطابنا الإسلامي في عصر العولمة).

[٤] - انظر : كتابه (العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة)

هذه إضاءات على بعض جهود أولئك المصلحين عبر القرنين الماضيين اتضح لنا من خلالها أن الأمة بحمد الله مازالت تزخر بالعلماء المجددين والدعاة الغيورين على أمتهم الذين أفنوا أعمارهم في سبيل إعادة الأمة إلى جادة الصواب لتأخذ مكانها الحقيقي في أمم الأرض قال تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) [1]، ولم يدخر هؤلاء المصلحون جهداً في صد مكائد أعداء الإسلام وإبطال مخططاتهم وإنها لمسيرة مباركة توارثها علماء الأمة جيلاً بعد جيل يصدقها قول المصطفى ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) [2]. أليسوا هم الذين تحملوا أعباء الدعوة ودافعوا عن حياض الدين ، إن الساحة مليئة بالنماذج المضيئة في سماء الدعوة الإسلامية بيد أن فصلاً واحداً لا يفي باحتواء سير هؤلاء الأفذاذ وإنما هي إلماحة مختصرة أوردت فيها نتفاً من تلك الجهود مع ما يسره الله لي من مادة علمية ومصادر توثيقية، والله تعالى أعلم .

نتيجة:

بعد استعراض بعض سير أولئك المصلحين يمكن أن أخلص إلى النتائج التالية:

أولاً/ بدت حملات التغريب في هذه الفترة أكثر تنظيماً وأكثر نضجاً وتجسدت أفكارها ومبادؤها على أرض الواقع وجهر دعاتها بتمجيدها وتحسينها للناس واجتهدوا في تجفيف المنابع وتنشئة أبناء المسلمين على أفكارهم كل ذلك في ظل ضعف الدولة المسلمة الموحدة وازداد الأمر سوءاً خاصة بعد انهيار الدولة العثمانية .

ثانياً / رفض أولئك المصلحون رغبات الساسة من أبناء المسلمين الذين تشربوا أفكار الغزاة وفرضوا على الأمة واقعاً جديداً يقوم على سلخ الأمة من هويتها فهبوا لمناهضة هذا التغريب

---

[1] - سورة آل عمران آية ١١٠.

[2] - صحيح البخاري . كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: إنما قولنا لشيء (٦ /٢٧١٤)

بكل قوتهم حيث لا عذر لأحد في إدراك خطره الواضح ولم يبالوا بما عساه أن يصيبهم وقد تعرض كثير منهم للتعذيب والسجن والقتل .

ثالثاً / استغل أولئك الدعاة كل طاقاتهم وبذلوا مهجهم خدمة لهذا الدين لأن معايشتهم لواقع الأمة جعلتهم أكثر إصراراً على معالجة أدوائها بروح مؤمنة صابرة، لا يبتغون بذلك ثمناً إلا الجنة.

رابعاً / لا يكتب النجاح ولا ترى ثمرة جهود الداعية إلا بنزوله إلى الميدان ومخالطة الناس هذا ما رأيناه من خلال سيرهم . ولذا كتب الله لهم القبول عند الأمة.

خامساً / كانت مواقف الدعاة والعلماء مع المستعمرين مواقف صلبة حازمة حيث لم يرضخوا لرغباتهم ولم تثنهم عن مقاصدهم المغريات والتهديدات لأن ثبوت الداعية على مبادئه تعليم للأمة على الثبات على الحق .

سادساً / العمل بروح الجماعة وتوحيد الصف وجمع الكلمة من أولويات العالم المسلم .

سابعاً / أن المتأثرين بالمجتمع الغربي حضارة وفكراً يعدون أداة قوية تؤثر في ثقافة المجتمع لذا يستغلها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً لتحقيق مآربهم وهي حقيقة ينبغي أن يعيها كل مسلم فضلاً أن يكون داعية مصلحاً .

الخاتمة

بعد انتهاء هذا البحث المتواضع الذي دار حول قضية التغريب من خلال دائرة المعارف العربية لمؤلفها المعلم الماروني بطرس البستاني فإني أحمد الله تعالى أن أعانني على إتمامه آملاً أن أكون قد وفقت في عرض أرائه وأطروحاته وبينت خطر ما احتوته دائرته على فكر القارئ المسلم لذا أخلص في نهاية بحثي إلى النتائج التالية :

أولاً/ إن الصراع بين دعاة الحق ودعاة الباطل قائم ما دامت السموات والأرض تلك سنة الله في خلقة ومرد ذلك الصراع إلى اختلاف الدين وتباين العقائد البشرية وقد بين الله تعالى ملامح من ذلك في كتابه الكريم فقال سبحانه { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } [1].

ثانياً/ لم تزل الحرب الصليبية على المسلمين قائمة منذ انتشر الإسلام وتوسع نفوذه، فإن كانت في حقب مضت من التأريخ قائمة على السيف والسنان فإنها اليوم تأخذ أشكالاً تفوق ذلك أثراً على المسلمين، إنها اتجهت نحو حرب الكلمة وتخريب العقول المسلمة يقول تبارك تعالى: { وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء } [2].

ثالثاً/ إن ما يمارس من امتهان الشريعة المحمدية وانتقاصها لا يعدو كونه محاولات يائسة للصد عن الدين الحق إلا أن الله حافظ دينه، لأن بقاءه يجسد صدق قول الله تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [3]

---

[1] - سورة الأنبياء آية ١٨.

[2] - سورة النساء آية ٨٩ .

[3] - سورة الحجر آية ٩ .

رابعاً/ سار بعض أبناء المسلمين من حملة الأقلام والعاملين في قطاع الإعــلام اليــوم علــى النسق الذي انتهجه البستاني في موسوعته فكانت لهم كتابات مضللة تحمــل فكــر مــسموما، وأضحى المسلمون بين مروجٍ للشبه وبين من يتشربها. فكان الأثر على الأمة أشــد والجــرح أنكى.

خامساً/ أن كتابات البستاني فيما يتعلق بالفتح الإسلامي لتتفق تمامــاً مــع مفهــوم الإرهــاب العالمي الذي يسعى العالم اليوم لمناهضته، ولقد جمع البستاني في دائرته مادة تدين الإســلام وأهله، اعتمد فيها المكذوب والمنقوص والمجتزأ والموجه لغير وجهته .

سادساً/ العلماء ورثة الأنبياء يرثونهم علماً وصبراً وتضحية ودفاعاً عن الإسلام وما زال فــي الأمة خير ما داموا فيها .

سابعاً/ خاض البستاني في مواد موسوعته في الكثير من المسائل الشرعية ودقــائق الأمــور الفقهية التى كانت مثار خلاف بين العلماء المتضلعين في الفقه فعمد إلى ذكــر الآراء الــشاذة وضرب الأقوال بعضها ببعض خدمة لأغراضه، وفي أمتنا اليوم متفيقهون عملوا علــى تبنــي مثل تلك الآراء فخاضوا في مسائل تورع العلماء الراسخون عن الخوض فيها فسئلوا فــأفتوا وضلوا وأضلوا .

ثامناً/ المذاهب الفكرية الغربية والأفكار الفلسفية الهدامة ماهي إلا نبت شيطاني يحاول أعــداء الإسلام غرسه في جسد الأمة وإن مما يندى له الجبين أن ترى تلك النظريات التــي تناولهــا البستاني في موسوعته على استحياء تدرس اليوم في كبرى الجامعات العربية .

تاسعاً/ إن ما خلفه البستاني في دائرته بمثابة البذور حين كان يعرض للإسلام غمزاً وتلميحــاً وأحياناً تصريحاً وما آلت إليه الأمور اليوم على أيدي أتباعه تجسدت ثمرته اليــوم وأصــبحت

الحرب على الإسلام سافرة مستعرة لا يتحفظ أربابها وهذا يضاعف من مسؤولية العلماء والأمراء .

توصية :

في ختام هذا البحث هذه بعض التوصيات التي رأيت تدوينها والتنبيه على ضرورة الأخذ بها فهي خلاصة جهدي وثمرة اجتهادي فإن كان صواباً فمن الله وحده وإن خطأً فمن عجزي وحولي وقوتي ولا حول ولا قوة إلا بالله فأقول :

أولاً/ ضرورة العمل على إنشاء دائرة معارف إسلامية تنتقى ما صح نقله وتتحرى ما وافق الشرع منه. يقوم عليها من أبناء الأمة من هم مؤصلون شرعياً ومؤهلون فكرياً. وذلك لسد الفراغ الفكري الذي يستغله أعداء الإسلام لبث سموهم من خلاله.

ثانيا/العمل على إبراز الوجه المشرق للفتوحات الإسلامية والتاريخ الإسلامي برمته في شفافية ووضوح وبدون قيود من خلال استغلال جميع المنافذ المتاحة في عصرنا الحاضر (صحف، مجلات، قنوات فضائية، مواقع الكترونية ...)

ثالثاً/ العمل على بيان خطر المذاهب المنحرفة والأفكار الغربية المستوردة من خلال استغلال منافذ التعليم المتقدمة بحيث يكون مشروعاً تلتزم بلدان المسلمين تنفيذه صيانة للأجيال القادمة، ومحاولة لتصحيح مسار الأمة. وهذا يلزم إعادة النظر في أمر الابتعاث من جهة لتصحيح مسيرته وكذلك من يتولى زمام التوجيه في التربية والتعليم .

رابعاً/ الدعوة إلى تقنين عمل القنوات الفضائية والتضييق على كثير منها لكونها تعمل ليل نهار على غرس مفاهيم الانحلال الفكري والعقدي لدى أبناء المسلمين فإن كان من يجيد القراءة في زمن البستاني هو وحده المتضرر بأفكاره، فإن الأمة اليوم بكل فئاته سيذهب ضحية إفرازات تلك القنوات شعر أو لم يشعر.

خامساً/ وجوب مواصلة جهود الدعاة للتصدي لمشاريع تغريب الأمة مع ضرورة الأخذ بمبـــدأ العمل الجماعي الموحد ومواكبة تطورات العصر.

سادساً / إن واجب العلماء والأمراء اليوم عظيم لبيان عوار هذه المذاهب ومظاهر التغريـــب، وكذلك بيان حقيقة الإسلام في مقابلها ووفائه بكل نافع مفيد من الـــشعارات التـــي يرفعونهـــا وقدرته على محو كل الآثار الضارة التي يوقع فيها الجهل والهوى .

﴿ اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴾

الفهارس العامة

أولاً/ فهرس الآيات القرآنية

ثانياً/ فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً/ فهرس البلدان والأمكنة

رابعاً/ فهرس الأعلام

خامساً/ فهرس المراجع

سادساً/ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)	آية ١١٠	٣٠٣
{ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }	آية ١٣٩	١٢٢
(وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)	آية ١٦١	٤٧
(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)	آية ١٦٩	٦٥
سورة النساء		
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء)	آية ١	٢٢٣
(وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)	آية ٢٥	١٧٠
(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)	آية ٦٥	٢٢٨
(مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)	آية ٨٠	٢١٦
(وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء)	آية ٨٩	٩١
(وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً)	آية ٩٤	١٠٧
(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ)	آية ١٥٧	٨٢
(رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)	آية ١٦٥	١٩٠
سورة المائدة		
(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ)	آية ٥	١٧٠
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)	آية ٥١	٢٢٨
(لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ)	آية ٧٢	٩٤
سورة الأنعام		
(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)	آية ٣٨	٢٠٧
(قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ)	آية ٩١	٧٥
(قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ)	آية ١٤٥	١٠٣
سورة الأعراف		
(يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)	آية ١٥٧	٩٣
(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ)	آية ١٥٧	١٠٤

سورة الأنفال		
(لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)	آية ٦٣	٢٢٤
سورة التوبة		
(الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)	آية ٢٠	٢٥
(قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ)	آية ٢٩	٥٠
(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)	آية ٣٣	١٠٩
(لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)	آية ٦٦	١٨٧
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ	آية ١١٣	٨٧
(وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ)	آية ١٢٠	٦٤
(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)	آية١٢٩	٧٣
سورة يونس		
(أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)	آية ٩٩	٤٢
سورة هود		
(وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ)	آية ١٢٣	٩٥
سورة الحجر		
(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)	آية ٩	١١٠ ٣٠٥
(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)	آية ٢٧	١٦٨
سورة النحل		
(وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)	آية ٨	١٥٥
سورة الإسراء		
(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)	آية ٩	٢٣٥
(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ)	آية ٧٠	٢٠٤
سورة الكهف		

<table dir="rtl">
<tr><td>(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)</td><td>آية ٨٨</td><td>٧٧</td></tr>
<tr><td>(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)</td><td>آية ٢٩</td><td>٤٢</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الحج</td></tr>
<tr><td>(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ)</td><td>آية ٤٠</td><td>٢٤٣</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الأنبياء</td></tr>
<tr><td>{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }</td><td>آية ١٨</td><td>٣٠٥</td></tr>
<tr><td>(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)</td><td>آية ٢٥</td><td>١٨٩</td></tr>
<tr><td>(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)</td><td>آية ١٠٧</td><td>١١٠</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة النور</td></tr>
<tr><td>(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)</td><td>آية ٣١</td><td>١٧٢</td></tr>
<tr><td>(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)</td><td>آية ١٩</td><td>١٦٦</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الشعراء</td></tr>
<tr><td>(وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)</td><td>آية ١٩٦</td><td>٩٣</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة النمل</td></tr>
<tr><td>(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)</td><td>آية ٦</td><td>١٠٩</td></tr>
<tr><td>(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)</td><td>آية ٢٠</td><td>٢٦٧</td></tr>
<tr><td>(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)</td><td>آية ٦٥ .</td><td>٩١</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة العنكبوت</td></tr>
<tr><td>(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)</td><td>آية ٤٦</td><td>٤١</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الروم</td></tr>
<tr><td>(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)</td><td>آية ٣٠</td><td>٤٠</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الأحزاب</td></tr>
<tr><td>(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)</td><td>آية ٢٣</td><td>٧٨</td></tr>
</table>

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)	آية ٣٣	١٦٢
(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً)	آية ٣٢	١٦٤
(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا)	آية ٣٧	١١٧ ١١٨
(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ)	آية ٤٠	١١٨
سورة يس		
(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)	آية ٦٩	٧٤
سورة الزمر		
(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)	آية ١٨	١٥٥
سورة غافر		
(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ)	آية ٦٧	٢٠٤
سورة فصلت		
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)	آية ٢٦	٧٧
{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }	آية ٤٢	٢١٧
سورة محمد		
(حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء)	آية ٤	٦٦
سورة ق		
(أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ)	آية ٦	١٥٤
سورة الحشر		
(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ)	آية ١٦	٢٨٨
سورة الصف		

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون)	آية ٧	٧١
سورة الملك		
(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)	آية ١٤	١١١
سورة الحاقة		
(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ { ٤٤ } لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)	آية ٤٤ و ٤٥	٢١٦
سورة المزمل		
(وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)	آية ١٠	١٥٥
سورة القيامة		
(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)	آية ١٧	٧٧
{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى { ٣ } إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }	آية ٣و٤	٧٥
سورة الإنسان		
(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)	آية ٨	٦٦
سورة الغاشية		
(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)	٢١-٢٢	٤٢

فهرس الأحاديث

عليه النبي ﷺ	كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة أبي طالب	
إن أثقل ما وضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن	صحيح ابن حبان (١٢ / ٥٠٦) كتاب الحظر والإباحة باب الاستماع المكروه وسوء الظن والغضب والفحش	١٦٥
أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة	صحيح البخاري (٣ / ١٠٩٨) كتاب الجهاد والسير باب قتل الصبيان في الحرب	٦٤
أن رجلاً قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال : نعم ، مكلم	صحيح ابن حبان ٦٩/١٤ كتاب التاريخ ، باب بدء الخلق	٢١٢
إن الرقى والتمائم و التولة شرك	سنن أبي داود (٤ /٩) كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم ،	٩٢
إن لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحد	صحيح البخاري (٦ /٢٦٩١) كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدا	١٧٩
إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم	سنن أبي داود كتاب الملاحم باب في خبر الجساسة ج(٣٤٢١) (١١٧/٤)	٨٣

إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	مسند أحمد بن حنبل ، حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ح (٨٩٣٩) (٣٨١/٢)	١٠٩
إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها	صحيح مسلم (٣ /١٤٧٢) . كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول	١٤٦
إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون	صحيح مسلم (٣ / ١٤٨٠) كتاب الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك	١٤٦
بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له	مسند أحمد بن حنبل (٢ /٩٢) حديث ابن عمر رضي الله عنه	٥١
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	صحيح البخاري (٥ / ٢٣٦٢) كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها	١١٤ ١٤٥
خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة	صحيح مسلم (٢/ ٥٨٥) ح (٨٥٤) كتاب الجمعة ، باب فضل يوم الجمعة	٨٤
الرجل يقاتل للمغنم	صحيح البخاري (٣ / ١٠٣٤) كتاب الجهاد والسير ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	٥٢

رغم أنف رجلٍ ذُكرت عنده فلم يصل عليّ	سنن الترمذي (٥ / ٥٥٠) كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل	١٨٩
سحر النبي ﷺ رجل من بني زريق	صحيح البخاري (٥ / ٢١٧٥) كتاب الطب ، باب هل يستخرج السحر	٧٦
صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة	صحيح البخاري (١ / ٢٣١) كتاب الجماعة والإمامة باب وجوب صلاة الجماعة	٩٨
غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك	صحيح البخاري (١ / ٥٠) كتاب العلم باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم	١٦٤
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم	سنن الترمذي . كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ح (٢٦٨٥) (٥/٥٠)	١١٥
فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه	مسند أحمد بن حنبل (٥ /٣٤٤) حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه	٢٢٧
فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر فيهدى له أم لا	صحيح البخاري (٢ / ٩١٦) كتاب الهبة وفضلها ، باب من لم يقبل الهدية لعلة	١٠٦

كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن	صحيح البخاري (٥ / ٢١٧٥) كتاب الطب ، باب هل يستخرج السحر	٧٦
لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة	صحيح البخاري (٣ / ١١١٨) كتاب الجهاد ، باب الغلول وقول الله تعالى (ومن يغلل يأت بما غل)	٤٧
لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه	صحيح مسلم (١٧٠٧/٤) كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم .	١٩٥
لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا	صحيح مسلم (١ / ٧٤) كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها	١٠٧
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة	صحيح البخاري (٥ / ٢١٥٨) كتاب الطب ، باب الجذام	٩٢
لا يحل دم رجلٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	صحيح مسلم (٣/ ١٣٠٢) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ما يباح به دم المسلم	١٩١
لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم	صحيح البخاري (٣ / ١٠٩٤) كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يؤذن له	١٧١

لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله	صحيح البخاري (٦ / ٢٧١٤) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (إنما قولنا لشيء)	٣٠٣
لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	صحيح البخاري (٣ / ١٢٧٢) كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل	١٤٢
لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن	صحيح البخاري (٦ / ٢٦٨٥) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى	٣٦
لو أعطى الناس بدعواهم لادعى أناس أموال الناس ودماءهم	مسند أحمد (١/ ٣٦٣) ح (٣٤٢٧) حديث ابن عباس رضي الله عنه	١٠٤
ما تعدون الشهيد فيكم	صحيح مسلم (٣ / ١٥٢١) كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء	١٠٠
مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه	سنن الترمذي (٤ / ٣٣٢) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار	١٩٤
من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من سحر ما زاد زاد وما زاد زاد	مسند أحمد بن حنبل (١ /٣١١) حديث ابن عباس رضي الله عنه	٩٠
من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه	صحيح مسلم (٤ /١٧٧٠) كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير	١٠٤
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة	صحيح مسلم (٢ / ٥٨٥) كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة	٨٤

وأحلت لي الغنائم	صحيح البخاري (١ / ١٦٨) كتاب الصلاة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا	٥١
والذي نفسي بيده لا يُكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكُلم	صحيح البخاري (٣ / ١٠٣٢) كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله عز وجل	٦٥
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني	صحيح مسلم (١ /١٣٤) كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل السابقة .	٩٤
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم	صحيح البخاري (٢ / ٧٧٤) كتاب البيوع باب قتل الخنزير	٨٤
يا رسول الله ما القتال في سبيل الله	صحيح البخاري (١ /٥٨) كتاب العلم ،باب من سأل وهو قائم عالما جالسا	٢٩

فهرس البلدان والأمكنة

البطاح	١١٨
بغداد	٢٤٨
بلاد الحبشة	٣٧
بلاد فارس	٤٣
بندول	٢٥٩
بهنسا	٤٨-٥٧
بيروت	٣-٧-١٨-١٩-٢٠-٥٩-١٦٠-٢٤٦-٢٨٨
تركيا	٢٢٢-٢٣٤-٢٥٦
تكية	٢٨٥
تنيس	٣٣-٣٤
توقاد	٢٤٩
تونس	٢٥٤-٢٥٥-٢٦٥
الجزائر	٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠
الحجاز	٥-٢٨٦
حمص	٢٨٣
حيدر آباد	٢٧٣-٢٧٤
الدبيَّة	٢-٣
دلهي	٢٨٧
دمشق	٦-٦٠-٢٥٤-٢٥٥-٢٦٨-٢٩٧-٢٩٨
دمياط	٦٧
دير القمر	٦
ديروط	٢٨٨
الديلم	٤٣

القصيم	٢٧١
القلمون	٢٥٢
قنسرين	١٢٠
القيروان	٣٧
الكوفة	١٤٠
اللاذقية	٦
لبنان	٢-٣-٧-١٧-٢٤٧
لكهنو	٢٥٩
ليبيا	٥
الليس	٤٤
المدينة المنورة	٢٧-١٣٩-١٦٣-١٦٤-١٦٩-٢٦٨
مراكش	١٧٨
مصر	٥-١٥ -١٧-٥٨-٢٤٧-٢٥٢- ٢٧٧-٢٨١-٢٨٣-٢٨٩-٢٩٠-٢٩٤
مكة المكرمة	١٦٤
المملكة العربية السعودية	٢٩٤
موشة	٢٨٠-٢٩٤
نسا	٤٣
نفطة	٢٥٤
نكلا العنب	٢٩٠
نورس	٢٥٦
الهند	٢٥٩-٢٨٥-٢٨٦
الولايات المتحدة	١٨-٢٧٧-٢٨١
اليمن	٣٦-٤٦

فهرس الأعلام

بطرس بولس البستاني	٤٩-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢- ٦٨-٦٩-٧١-٧٢-٧٤-٧٥-٧٦-٧٩- ٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٨- ٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٦-٩٧- ٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣- ١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٢- ١١٣-١١٤-١١٥-١١٧-١١٨-١١٩- ١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٦-١٢٨-١٢٩- ١٣٢-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٨-١٣٩- ١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٥-١٤٦-١٤٧- ١٥٠-١٥١-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦- ١٥٧-١٥٩-١٦١-١٦٢-١٦٦-١٦٧- ١٦٨-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٦- ١٧٧-١٧٨-١٧٩-١٨٠-١٨٥-١٨٦- ١٨٧-١٨٨-١٩٢-١٩٣-١٩٥-١٩٦- ١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠--٢٠٣- ٢٠٥-٢٠٦-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٤- ٢١٨-٢٢١-٢٢٢--٢٢٨-٢٢٩- ٢٣٠-٢٣٣-٢٣٤-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨- ٢٣٩-٢٤١-٢٤٦-٢٦٠

- فهرس المراجع

- أولاً/ القرآن الكريم

- ثانياً/ كتب السنة

- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م ، ط٣ ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأسدي ، دار الفكر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (صححه الألباني) .

- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٥/٥٠) ح (٢٦٨٥) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق محمد شاكر وآخرون .

- مسند أحمد ،أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة – قرطبة - القاهرة .

- صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ -١٩٩٣م – ط ٢ ، نحقيق شعيب الأرناؤوط

- ثالثاً/ المصادر :

- دائرة المعارف العربية : بطرس بولس البستاني ، دار المعرفة بيروت- لبنان .

- أدباء العرب في الأعصر العباسية (حيلتهم ، آثارهم ، نقد آثارهم) : بطرس البستاني (المقدمة) دار مارون عبود ، ١٩٧٩م .

- قطر المحيط : بطرس البستاني / (مادة : علم) ، بيروت ١٨٦٩م .

- محيط المحيط : بطرس البستاني ، بيروت (١٨٧٠م – ١٢٨٦هـ) .

- رابعاً / الكتب العامة :

- ابن باديس ، فارس الإصلاح والتنوير د. محمد بهي الدين سالم ، دار الشروق ،القاهرة ، ط١٤٢٠،١هـ-١٩٩٩م .

- أبو الأعلى المودودي / عصره – حياته- دعوته- مؤلفاته : أليف الدين الترابي، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- أبو الحسن على الحسني الندوي في مسيرة الحياة ، دار القلم ، دمشق ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- اتجاهات نظرية في علم الإجتماع د/ عبدالباسط عبدالمعطي - عالم المعرفة الكويت- . ديوان الحماسة ، التبريزي ، دار القلم – بيروت -١٩٩٨م

- الاتجاهات العقلانية الحديثة : د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الفضيلة – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة [١٧٩٨م-١٩١٤م] الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية : علي الحافظ ، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، الحمراء ، ١٩٨٧م .

- آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية : د. محمد خليفة حسن أحمد ، عين للدراسة والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، عام ١٩٩٧م.

- أثر المعلم بطرس البستاني في النهضة في لبنان ١٨١٩م-١٨٨٣م : فائز علم الدين القيس ، دار النشر الفارابي .

- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – الاستشراق – الاستعمار) : عبد الرحمن حبنكة الميداني، ، دار القلم ، دمشق ط٧ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

- أحكام القرآن - أحمد بن علي الجصاص أبو بكر ، تحيق محمد الصادق قمحاوي . دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ ،

- أحكام القرآن - أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان .

- أحكام أهل الذمة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي ، تحقيق يوسف أحمد البكري و شاكر توفيق العاروري . رمادي للنشر – دار ابن حزم - الدمام – بيروت -ط ١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

- إحياء علوم الدين : محمد محمد الغزالي أبو حامد - دار المعرفة بيروت .
- أخبار العلماء بأخيار الحكماء ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي .
- إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي ، دكتور. محمد إسماعيل - ط١ ١٩٩٦م.
- أدب الطلب ومنتهى الأدب : محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق عبد الله يحيى السريحي ، دار الحزم – لبنان – بيروت - ط ١ – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث : بطرس سليمان البستاني ، دار نظير عبود
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبي السعود محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد : محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد - الدار السلفية – الكويت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .
- الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم) د. مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، دار الوراق .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري ، تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري: دار الكتاب - الدار البيضاء - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة : الأولى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: أدورد فنديك ، دار صادر - بيروت - ١٨٩٦م .
- الإسلام شريعة الزمان والمكان : عبد الله ناصر العلوان ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .
- الإسلام والعروبة : محمود عمارة ، دار الشروق، عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه : د/ يوسف القرضاوي ، مكتبة وهيبة – القاهرة ، ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

- الإسلام ومشكلات الحضارة : سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

- الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : علي محمد البجاوي دار الجيل - بيروت -الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- أصل الأنواع : تشارلز دارون ، ترجمة / مجدي محمود المليحي، تقديم سمير رضا صادق ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٤م ، ط١ – الجزيرة القاهرة .

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، ط ١٣_ ١٩٩٨م .

- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية : زكريا محمد مجاهد (٩٩٦/٣) ، دار الغرب الإسلامي – بيروت - لبنان، ط٢ ، ١٩٩٤م .

- أعلام الصحافة العربية : د/ إبراهيم عبده ، مكتبة الآداب بالجماميز، ج٢ ، عام ١٩٤٨م .
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، تحقيق أحمد حجازي السقا .دار التراث العربي ، القاهرة .

- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (نزهة الخواطر وبهجة السامع والناظر) : الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، دار ابن حزم بيروت لبنان - ط١- ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩م .

- أعلام وأصحاب أقلام : أنور الجندي ، دار النهضة، مصر .

- أعمال الجمعية السورية : يوسف قزما خوري ، ١٨٨٦م- ١٨٦٩م ، دار الحمراء ط١ ، ١٩٩٠م

- أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم : حسن السندوبي ، ط١ ، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م .

- الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق علي بن مهنا وسمير جابر. دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان .

- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، أدورد فنديك ، دار صادر - بيروت - ١٨٩٦م .
- الإماء الشواعر : أبو الفرج الأصبهاني ، تحقيق : د.نوري حمودي القيسي - د. يونس أحمد السامرائي ، عالم الكتب - بيروت/لبنان - الطبعة : الأولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- أمالي بن سمعون : أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي .
- الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي للفاضل جورجي زيدان : للشيخ شبلي النعماني الهندي - القارئ محمد عبدالولي بن العلامة الآسي المرحوم .
- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي ، تحقيق : د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي ، دار الوفاء - جدة الطبعة : الأولى - ١٤٠٦ هـ .
- الأنساب: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر - الطبعة : الأولى - بيروت - ١٩٩٨م .
- أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري .
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل : علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء : مكتبة المعارف – بيروت .
- بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي استانبول (٢٧-٢٩/ ١٩٩٢م) ، سوزلر للنشر ، القاهرة .
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن قاسم . مطبعة الحكومة – مكة المكرمة ، ط ١ .
- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب : أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ابن عذاري المراكشي ، محمد بن محمد

- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، دكتور محمد عبدالعظيم يوسف أبو النصر ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - مصر . ط١ ، ٢٠٠١م .

- بين الدين والمدنية : أبو الحسن على الحسن الندوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
- تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، دار الهلال .

- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر د. حسن حلاق .
- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرعيل الأول من القرن العشرين : الأب لويس شيخو اليسوعي ، ط٣ ، المشرق بيروت – لبنان ، عام ١٩٩١م .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت - ط١ ، عام ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م .

- تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية بيروت - ١٤٠٧هـ .

- تاريخ الدولة العثمانية : إبراهيم بك ، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
- تاريخ الدولة العثمانية العلية : محمد فريد بك ، ط١، مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش قدم بمصر المحمية عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م .
- تاريخ الصحافة العربية : الفيكونت فيليب دي طرازي: المطبعة الأدبية ، ط١، عام ١٩١٣م .

- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (٩٨٧هـ - ١٤٠٠هـ / ١٤٩٢م – ١٩٨٠م) ، إعداد إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر ، دار المريخ للنشر المملكة العربية السعودية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل : أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥ م.
- تاريخ العصر الحديث: مصر من محمد علي إلي اليوم .
- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية : ميرسيا إليا ، ترجمة عبد الهادي عباس ، (٧/١) ، دار دمشق – دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٧م .
- تاريخ أوروبا : د/ شوقي الجمل ، ود/ عبد الله عبد الرزاق ، الناشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة – ٢٠٠٠م .
- تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة الفاجارية (٢٠٥ هـ - ٨٢٠م/ ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥م) ، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه د. محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع /ش . سيف الدين المهراني _ الفجالة - ١٩٨٩م .
- تاريخ بغداد : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- تاريخ الخلفاء : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - مصر - الطبعة : الأولى - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وذكر من حل الأماثل : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تحيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري . (١٦/ ٢٦٣) دار الفكر ، بيروت ١٩٩٥م .
- تاريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. دار صادر – بيروت .
- التحذير من المدارس الأجنبية / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار الإمام أحمد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- تذكرة الحفاظ : أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، الطبعة : الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : محمد بن عبد الرحمن المباركفوري أبو العلا . دار الكتب العلمية – بيروت.
- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس-

١٩٩٧م
- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر: جرجي زيدان - مطبعة الهلال ، مصر ط٣ ، ١٩٢٢م .
- تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث (السلطان) عبد الحميد والخلافة الإسلامية :أنور الجندي ، دار ابن زيدون ، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ .
- التطور والثبات في حياة البشرية : محمد قطب ص ٦ ، دار الشروق – القاهرة – ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- التعريفات : علي بن محمد الجرجاني - دار الكتاب العربي ، بيروت، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط١ - ١٤٠٥ هـ.
- التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب : أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري القرطبي الحنفي .
- تفسير الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي- تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي و د.أحمد النجولي الجمل . دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .
- تفسير البغوي معالم التنزيل : أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية ، ط١_١٤٢٣هـ .
- تفسير الطبري / محمد بن جرير الطبري دار الفكر بيروت ، ١٤٠٥هـ .
- تفسير القرآن : عبد بن محمد بن أدريس الرازي تحقيق أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية – صيدا ،
- تفسير القرآن العظيم ، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء الوفاة: ٧٧٤ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١هـ .
- التفسير الكبير : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٣٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- تفسير زاد المسير في علم التفسير : عبدالرحمن بن محمد بن الجوزي - المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

- تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري تحقيق : الشيخ زكريا عميران . دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، الطبعة : الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- تفسير مقاتل بن سليمان . أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة : الأولى - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد - سوريا -الطبعة : الأولى - ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م .
- تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج - تحقيق : د. السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة : الأولى – ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- التنصير الأمريكي في بلاد الشام [١٨٣٤ م– ١٩١٤ م] : د. عبد الرزاق عيسى ، ص ٣٠٩ ، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط١، عام ٢٠٠٥م .

- تهذيب الأسماء واللغات ، محي الدين بن شرف النووي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر - بيروت - الطبعة : الأولى - ١٩٩٦ م.
- تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار الفكر - بيروت - ط١ - ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م .

- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة : أبو عبد الله القلعي الشافعي ، تحقيق : إبراهيم يوسف مصطفى عجو - مكتبة المنار ، ط١الأردن الزرقاء .

- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري - تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة : الأولى - ٢٠٠١م .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .

- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني .
- الثقات : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، ط١ تحقيق السيد شرف الدين أحمد - دار الفكر ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
- الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المؤصل : يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت الماروني ، ص٥٣٣ ، المطبعة العمومية الكاثوليكية - بيروت ، ١٩٠٥ م .
- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الشعب القاهرة .
- جذور العلمانية ، الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨م : د/ السيد أحمد فرج ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ، ط ٤ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي - الطبعة : الأولى .
- جهد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين : الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي دار ابن القيم ، الدمام،١٤١١هـ -١٩٩١م .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية تحقيق : علي سيد صبح المدني ، مطبعة المدني – مصر.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، (١٧٣/١) ، دار الكتب العلمية – بيروت .
- جوامع السير : أبو أحمد علي بن أحمد القرطبي الظاهري .
- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة: ابن عابدين. ، دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر- ط ٣، ١٣١٨ هـ .
- الحاوي في الطب : أبو بكر محمد بن زكريا الرازي تحقيق : اعتنى به: هيثم

خليفة طعيمي - دار احياء التراث العربي – لبنان - بيروت - الطبعة : الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني : علي بن حبيب الماوردي البصري الشافعي - تحقيق الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١- ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
- الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية : نبيه زكريا عبد ربه _ دار الثقافة ، قطر –الدوحة ،١٩٨٦م .
- حركة التنوير العربية في القرن التاسع عشر ، حلقة حلب دراسة ومختارات : جمال باروت ، منشورات وزارة الثقافة – مكتبة الأسد - سوريا – دمشق- ١٩٩٤م
- حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة: عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السيوطي .
- الحسين عليه السلام سماته وسيرته : السيد محمد رضا الحسين الجلالي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، قمّ المقدسة ، الجمهورية الإسلامية في إيران .
- حليه البشر في تاريخ القرن الثالث عشر : عبدالرزاق البيطار- دار صادر – بيروت- ط٢، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م
- الحياة الجنسية : سيجموند فرويد ترجمة جورج طرابيش ، دار الطليعة للطباعة – بيروت – لبنان – ط١- ١٩٨٢م .
- الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – لبنان- بيروت - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- خديعة التطور : هارون يحيى .
- خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي - تحقيق عصام شقيو - دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٧م .
- الخطوة الأولى : سليمان صالح الخراشي ، دار ابن الأثير، الرياض – ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م .

- الخلافة :الشيخ محمد رشيد رضا ، الزهراء للاعلام العربي - مصر / القاهرة
- الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م .
- درء تعارض العرض والنقل : تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .
- دراسات إسلامية : سيد قطب، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٠، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني تحقيق : مراقبة / محمد عبد المعيد ضان_ مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند - الطبعة : الثانية - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .
- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون : القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، تحقيق : عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - الطبعة : الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- الدعوة إلى الإسلام : سيرتوماس وأرنولد ترجمة، د/ حسن إبراهيم حسن ، إسماعيل النحراوي ، عبد المجيد عابدين ، مكتبة النهضة – ط٣ .
- الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث د/ إسماعيل ياغي، ص ١٣١ ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- ديكارت والعقلانية : جنفيان روديس لويس ، ترجمة : عبده الحلو ، منشورات عويدات – بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٨م .
- رحلات الإمام رشيد رضا : جمعها محققها د.يوسف إيبش ، بدر للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٠م .
- الرد على الزنادقة والجهمية : أحمد بن حنبل الشيباني - تتحقيق : محمد حسن راشد- المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ .
- ردة ولا أبا بكر لها : أبو الحسن على الحسني الندوي ، مطبعة المدني، القاهرة - ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
- رسالة اللاهوت والسياسة : إسسبيتوزا : ترجمة : د/ حسن حسني ص٨٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت ط ١ ، ٢٠٠٥م .

- رشيد رضا الإمام المجاهد : د/ إبراهيم أحمد العدوي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

- رفع الإصر عن قضاة مصر : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني تحقيق : د.علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - الطبعة : الأولى - ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

- الروائع : فؤاد أفرام البستاني - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط٣- ١٩٦٦م .
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٥ م – ١٩٧٥م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي أبو الفضل : دار إحياء التراث العربي بيروت .

- الروض الأنف : السهيلي
- رينيه ديكرت : فيلسوف فرنسي له كتاب (تأملات ميتا فيزيقية في الفلسفة الأولى) " Beditations on first philosophy " عاش في الفترة من ١٥٩٦م- ١٦٥٠م .

- زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين : جمع وترتيب د/ سيد بن حسين العفاني دار العفاني، القاهرة .
- السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية ١٨٩١م- ١٩٠٨م ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

- السلوك لمعرفة دول الملوك : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – لبنان -بيروت الطبعة : الأولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : د. مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي، دار الوراق، ط١، ٢٠٠٠م .
- السيد رشيد رضا إخاء أربعين سنة : الأمير شكيب أرسلان - دار الفضيلة، القاهرة .
- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب د. إبراهيم السامرائي .
- سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة : التاسعة –١٤١٣ هـ
- السيرة النبوية ، ابن هشام ،(٣ / ٧٨) ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الخير دمشق ، بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .
- شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي - المكتب الإسلامي ،دمشق ، بيروت - تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش ، ط٢. ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
- شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي - المكتب الإسلامي – بيروت - ط٤ . ١٣١٩ هـ.
- شرح صحيح البخاري / أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم - مكتبة ابن رشد ، السعودية ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- شرح نهج البلاغة / أبو حامد عز الدين هبة الله المدائني ، تحقيق محمد عبد الكريم النمري دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان - ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- شهادة العصر والتاريخ خمسون عاماً على طريق الدعوة الإسلامية : أنور الجندي ، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- الصارم المسلول على شاتم الرسول : أحمد بن عبدا لحليم بن تيمية الحراني تحقيق محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير أحمد شودري ، دار ابن حزم - ط١ .
- صبح الأعشى في كتابة الإنشا : القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري -

تحقيق : عبد القادر زكار - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨١ م .
- صحيح مسلم شرح الإمام النووي ، دار ابن الهيثم - القاهرة .

- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية : أبو الحسن علي الندوي ، دار الندوة، لبنان، ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

- صفوة الصفوة : عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج ، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٩٧م .

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله- ط٣- دار العاصمة – الرياض – ١٤١٨هـ -١٩٩٨م .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت
- طبقات الحفاظ : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل : دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة : الأولى - ١٤٠٣ هـ .
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية : تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق ، ط ٣ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو - هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة : ط٢ - ١٤١٣هـ .

- طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، الطبعة : الأولى ، مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .

- عبدا لحميد الثاني وفلسطين : رفيق النتشة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣ – ١٩٩١م .

- العرب النصارى عرض تاريخي : حسين العودات ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢م .

- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب : محمد حامد الناصر ، مكتبة الكوثر / الرياض ، ط٢، ٢٠٠١م – ١٤٢٢هـ .

- العقيدة الواسطية : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق : محمد بن عبد العزيز بم مانع. الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء - الرياض ، الطبعة : الثانية - ١٤١٢هـ.

- العقيدة في الله : د/ سليمان الأشقر - مكتبة الفلاح – الكويت – ط٥- ١٩٨٤م .

- العلم والدين منهاج ومفاهيم : د/ أحمد عروة ، دار الفكر – دمشق – سوريا ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب دار الشروق، القاهرة ، ط٤، ١٩٩٢م .

- العلمانية تحت المجهر ،د/ عبد الوهاب المسيري و د/ عزيز العظمة ، دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة : د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، ط١- ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م .

- العلمانيون والإسلام : محمد قطب ، دار الشروق - بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبس صلى الله عليه وسلم : محمد بن أبي بكر العربي ، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد مهدي الاستنابولي ط٢، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - ط٢ - ١٣٩٤هـ .

- الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د/علي محمد جريشه ، ومحمد شريف الزيبق ،

دار الاعتصام ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي، الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ . دار الثقافة والنشر بالجامعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- غزو في الصميم: عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم ، دمشق ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- فتح الباري لابن حجر شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار المعرفة – بيروت - ١٣٧٩هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر - بيروت .
- فتوح الشام : أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، دار الجيل - بيروت .
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها :غالب علي عواجي ، مكتبة لينة للطبع والنشر، ط١- ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .
- فلسفة الثورة الفرنسية : بونار غروتو يزنا ، ترجمة : عيسى منصور ، ، منشورات عويدات – بيروت – باريس ، ط١ ، ١٩٨٢م .
- الفهرست : محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ هـ– ١٩٧٨م .
- فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي تحقيق : علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود .
- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق – بيروت – لبنان – ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي المكتبة التجارية الكبرى ، ط١ - مصر ١٣٥٦هـ ، .
- القانون في الطب : أبو علي الحسين بن علي بن سينا ، تحقيق : وضع حواشيه محمد أمين الضناوي .

- القضايا التربوية المتضمنة في كتابات محمد قطب ((دراسة تحليلية)) رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير - جامعة عين شمس - ((تخصص أصول التربية)) إعداد/ محمود محمد السيد – ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

- قضية التنوير في العالم الإسلامي / محمد قطب ، دار الشروق / القاهر- ط٣، ٢١٤٢ هـ - ٢٠٠٢م .

- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : محمد جمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- القول الحق في بيروت ودمشق : عبد الرحمن بك سامي ، دار العربي بيروت ، لبنان - (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

- القومية والعلمانية مدخل علمي ، د/ عدنان زرزور ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي ، تحقيق : محمد عوامة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة - الطبعة : الأولى - ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م .

- الكامل في التاريخ : أبو الحسن على بن أبي الكرم بن محمد الشيباني ابن الأثير ، تحقيق عبدالله القاضي- ط٢ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ .

- الكبت – تحليل نفسي : سيجموند فرويد ، وليم شتيكل ، ترجمة على السيد حضارة ، المكتبة الشغبية ٣٩ شارع عبدالعزيز - القاهرة .

- الكفاية في علم الرواية : أحمد بن على بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي - تحقيق أبو عبد الله السورقي ـ إبراهيم حمدي المدني - المكتبة العلمية – المدينة المنورة.

- كليات رسائل النورسي سيرة ذاتية : بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي .

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفمي ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م ، تحيق عدنان درويش ومحمد المصري .

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي تحقيق : محمود عمر الدمياطي . دار الكتب العلمية – بيروت - ط ١ – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .**

- **كونت الفلسفة والعلوم : بيارا تيري ، ترجمة د/ سامي أدهم . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .**

- **لبنان والنهضة العربية الحديثة : جبران الخوري مسعود ، رسالة قدمت إلى الدائرة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت أستاذ في العلوم ، ١٩٥٣م.**

- **ما وراء التاريخ : وليام هاولز ، ترجمة وتقديم : د/ أحمد أبو زيد ، ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .**

- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٨ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .**
- **مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا (شهادة ألمانية) : القس د/ جوتفرايد كونزلن ، تقديم وتعليق ، د/ محمد عمارة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٩٩م .**

- **المبسوط : شمس الدين السرخسي : دار المعرفة – بيروت .**

- **مجلس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، ط١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .**

- **مجموع الفتاوى : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد القاصمي النجدي مكتبة ابن تيمية ، ط٢ .**

- **مجموع رسائل البنا : الإمام حسن البنا ، مؤسسة الرسالة، بيروت .**

- **محاضرات في تاريخ الفلسفة : هيغل ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان – الحمراء ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .**

- **المحلى : علي بن محمد بن سعيد بن حزم الظاهري - تحقق لجنة إحياء التراث العربي - دار الآفاق الجديدة ، بيروت .**

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي- دار الكتاب العربي – بيروت ، تحقيق محمد حامد الفقي – ط٢ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

- المدخل إلى علم الجمال : هيغل ، ترجمة جورج طربيش ، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت .

- مذكرات الدعوة والداعية : الإمام حسن البنا ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة.

- المرأة المسلمة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ، دار الوراق ، دار السلام ، القاهرة ، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- مرقاة المفتاح شرح مشكاة المصابيح : علي بن سلطان محمد القاري ، دار الكتب العلمية ، لبنان بيروت .

- مروج الذهب : أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي .
- المستقبل لهذا الدين : سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة، ط١٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

- مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر : جرجي زيدان ، مطبعة الهلال مصر - ط٣ ١٩٢٢م .

- مشاهير علماء الأمصار ، اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق : م. فلايشهمر ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩ م .

- مشاهير نجد وغيرهم : عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ط٢، ١٣٩٤هـ .

- مصطفى السباعي رجل فكر وقائد دعوة : عبد العزيز الحاج مصطفى ، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان.

- معارك العرب في الشرق والغرب : بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، ١٩٨٧م .

- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة : الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .
- معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار الفكر - بيروت .
- المعجم الفلسفي ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الميرية- ١٤٠٤ هـ ـــ ١٩٨٣م .
- المعجم الكبير : سليمان بن أحمد أيوب أبو القاسم الطبراني - تحيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء – الموصل، ط٢- ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة : الثالثة - ١٤٠٣ هـ .
- المعجم المختص بالمحدثين : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق - الطائف - الطبعة : الأولى - ١٤٠٨ هـ .
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية : عمر كحالة - مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٤١٤،١هـ-١٩٩٣م .
- المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية - القاهرة ‘ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ، دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله . تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة : الأولى - ١٤٠٤ هـ .
- معركة الإسلام والرأس مالية : سيد قطب - دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٣٩٣م .
- معركة السفور والحجاب : محمد أحمد إسماعيل - دار الوطن للنشر – الرياض – ط ١ – ١٤١١هـ .

- معنى الجمال نظرية في الأستطيقا : ولترت ستيس ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة /٢٠٠٠م .

- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي - دار الفكر بيروت ، ط ١٤٠٥ هـ .

- مفاتيح العلوم : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي - دار الكتب العلمية – بيروت .

- مقال عن المنهج : رينيه ديكارت ، ترجمة : محمود محمد لخضيري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٥م .

- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي - دار القلم - بيروت - الطبعة :الخامسة- ١٩٨٤م .

- من روائع حضارتنا : مصطفى السباعي - المكتب الإسلامي ، بيروت .

- من قضايا التحديات في القرن الواحد والعشرين (التعليم في ضوء سعيد النورسي) : د.محمد إبراهيم أبو محمد ، شركة سوزلر للنشر، ط١، ٢٠٠٢م ، القاهرة .

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج - دار صادر - بيروت - الطبعة : الأولى – ١٣٥٨هـ .

- المنتقى / شرح الموطأ : القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف البابجي الأندلسي- دار الكتاب الإسلامي – القاهرة - ط٢.

- منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، جورج ضو ، ترجمة : بهيج شعبان ، ط٣ - ١٩٨٢م .
- منهاج السنة النبوية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس - تحقيق د/ محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة ، ط١ - ١٤٠٦هـ .

- منهاج الطالبين وعمدة المفتين / يحيى بن شرف النووي أبو زكريا ، دار المعرفة - بيروت .

- مواد التاريخ الوهابية : للرحالة جوهان لود فيج بوركهارت .

- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم : المودودي ، دار الفكر، لبنان، ط١٣٨٦،٢هـ - ١٩٦٧م .

- الموجز في التحليل النفسي : سيجموند فرويد ترجمة سامي محمد على – مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع - ٢٠٠٠م .

- المورد القريب / قاموس عربي انجليزي : الدكتور روحي البعلبكي ، دار العلم للملايين / بيروت لبنان / ط٧ / ١٩٩٥م .

- موسوعة مشاهير العالم د. نبيل موسى دار الصاقة العربية - بيروت ـ ط١-٢٠٠٢م .

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة :إشراف /مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٤ _١٤٢٠هـ.

- الموضوعات : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي تحقيق : توفيق حمدان -دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة : الأولى - ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م .

- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين : مصطفى صبري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١م .

- موقف المستشرقين من دعوة محمد بن عبد الوهاب (عرض ونقد) : رسالة ماجستير : مرسال عبد الله مرسال المحمادي .

- الميثولوجيا الإسكندنافية (مقالات تجميعية حول الميثولوجيا الإسكندنافية) . Beauty ‘darkness& رودلفوس لسترانج ، نشر :

- Anonymous &Beauty ‘The darkness& رودلفوس لسترانج .

- نثر الدرر في المحاضرات : أبو سعد منصور بن الحسين الآمدي- تحقيق خالد بن عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان - ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر .

- نحن والحضارة الغربية : أبو الأعلى المودودي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع : للشيخ عبد العزيز بن باز - المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣_ ١٣٩٩م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري تحقيق : مفيد قمحية وجماعة - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة : الأولى - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل ، بيروت، ١٩٧٣م .
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : اسماعيل باشا البغدادي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م .
- هكذا علمتني الحياة : مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، مكتبة الوراق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الوافي بالوفيات : صلاح بن أبيك الصدفي ، تحقيق أحمد الأناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- واقعنا المعاصر : محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩٠هـ .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : علي بن أحمد الواحدي - تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم - الدار الشامية - دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
- الوحدة الإسلامية : محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي – القاهرة .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة - لبنان .
- يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية : جورج أنطونيوس ، ترجمة د/ ناص الدين الأسد ، و د/ إحسان عباس ، دار العلم للملايين – ط٨- بيروت – ١٩٨٧م .

خامساً / المجلات والدوريات :

- مجلة البيان : العدد ٣ ، ص٣٩ ، شوال ١٣١٥ هـ - فبراير ١٨٩٨م .

- مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- دمشق العدد ٤٨، السنة ١٢تموز يوليو١٩٩٢م، المحرم ١٤١٣هـ ،

- مجلة المنار للشيخ رشيد رضا ، المجلد١ ، العدد ١ ، شوال ١٣١٥هـ - فبراير ١٨٩٨م

فهرس الموضوعات

